رحلة الكتاب العربي

إلى ديار الغرب فكراً ومادة

القسم الأول

دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي
والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية



تأليف
محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات

مؤسسة الرسالة

رحلة الكتاب العربي

إلى ديار الغرب

فكراً ومادة

القسم الأول

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ - ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

رحلة الكتاب العربي
إلى ديار الغرب
فكراً ومادة

القسم الأول

دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي
والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية

تأليف
محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة الكتاب العربي

إلى ديار الغرب

فكراً ومادة

القسم الأول

دراسة منهجية لانتقال الفكر العربي الإسلامي
والكتاب العربي إلى ديار الغرب وأثره في النهضة الأوروبية

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

حمداً لك اللهم حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وصلاة وسلاماً تامين متلازمين إلى يوم الدين على حبيبك ورسولك وصفوتك من خلقك الذي أيدته بسلطانك وخصصته بشفاعتك. وبعد .

فإن المؤلف يحمد الله مولاه على ما أولاه من نعم لا تحصىٰ . وبشكل خاص على أن متعه بالصحة وأتاه العزيمة والهمة حتى تمكن أن ينجز ما أنجز . وإن من دواعي سرور المؤلف أن يترجم نعم مولاه عليه إلى عمل يدخل في نطاق اختصاصه وفي حدود قدرته واستطاعته ، فيقدم إلى القراء الأعزاء ـ وجميع قرائنا أعزاء ـ هذا الكتاب الذي استغرق إعداده سنوات طوالاً ، والذي يرجو أن يجعله الله تعالىٰ له في صفيحة أعماله لا عليه .

هذا وإذا كان في هذا الكتاب ما يؤخذ عليه من مآخذ ، فهذا ضعف الإنسان وعجزه والمؤلف لا يدعي الكمال ، فالكمال لله وحده ، ونحن بشر لنا ضعف البشر وقصورهم وعجزهم ، ولكن شفيعه عند الله تعالىٰ وعند الناس هو أنه بذل جهده وعمل ما في وسعه ليأتي هذا الكتاب قريباً من المثل الأعلىٰ الذي ننشده جميعاً .

لذلك نرجوا أن لا يقسو أحد علينا في حكمه، إن كان هناك أخطاء أو هفوات ، ونأمل أن ننبه عليها علنا نستطيع تداركها في طبعة قادمة . والله نسأل أن يجعل الناس ينظرون إلينا بعين المحبة والتقدير .

وإن المؤلف يشكر كل من ساعده في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود .

والشكر لله العلي القدير أولاً وآخراً . وهو المسؤول أن يجعل أعمالنا خالية من الرياء ، مقصوداً بما وجهه الكريم ، وأن ينفع بعلمنا وعملنا ، إنه سميع مجيب .

دمشق في: ١٦ رجب الفرد ١٤٠٨ هـ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ **د . محمد ماهر حمادة**
٤ آذار ١٩٨٨

المقدمة

إن قضية انتقال الكتاب العربي إلى العالم الغربي تشمل عدة قضايا وتثير كثيراً من المشاكل . والكتاب ، باعتباره وعاء المعرفة ، يعتبر فكراً ومادة ، وهذا هو ما حاولناه في الصفحات التالية . ذلك إننا درسنا الموضوع من وجهتي نظر تكمل إحداهما الأخرى ولا يمكن أن تنفصل عنها ، إذ إن بحث انتقال الكتاب العربي كمادة ، يتطلب، دراسة المحتوى ، ومدىٰ تأثر الغرب بهذا المحتوى .

وإن هذه الدراسة ، لابد وأن تؤدي إلى دراسة الاستشراق وعلاقته بهذه القضية ، لأن هذه العملية هي من أوائل وأهم اختصاصات الاستشراق .

والواقع أن اهتمامي بالموضوع قديم جداً ، فقد سبق أن ذكرت في كتابي الموسوم باسم **المكتبات في الإسلام** . . . عند كلامي عن انتقال التراث المكتبي العربي الإسلامي إلى الغرب طرفاً من الموضوع ، وذكرت في نهاية الكتاب نبذة تؤخذ على أنها وعد في بحث الموضوع بشكل أوسع وأعمق ، وهذا هو ما أحاوله الآن .

وكما سبق أن ذكرت آنفاً فهذا البحث له علاقة بالاستشراق ، وهي علاقة كبرىٰ وثيقة ، وله علاقة بالاستعمار والتبشير ، وله علاقة بالحضارة الإسلامية أبان عهودها الزاهرة ، وله علاقة بأوضاع الغرب الحضارية مدىٰ

العصور، إذ هو بالجملة انعكاس حقيقي لأوضاع الشرق والغرب من القرن العاشر الميلادي حتى الآن. . .

وطبعاً لا أحد يستطيع أن يبحث مثل هذه الموضوعات كلها دفعة واحدة ، فهذه تحتاج إلى عدد كبير من المتخصصين ، يكتب كل في اختصاصه ، ونحتاج إلى زمن طويل وإلى عشرات المجلدات . ولكننا حاولنا أن نوضح المعالم الرئيسية التي تساعد على توضيح الموضوع وإزالة الغموض عنه .

هذا ويتألف هذا الكتاب من قسمين أساسيين متكافئين .

الأول : دراسة منهجية في دراسة انتقال التراث العربي المخطوط إلى ديار الغرب وكيف استفاد الغرب منه وكيف نقل هذا التراث إلى لغات الغرب وأشهر النقلة ، والطرق والمعابر التي انتقل عبرها . وما هي نظرة القوم إلى العملية ، وما هي الصعوبات التي واجهتهم ، وما هي اهتماماتهم ، كذلك بحثنا في استفادة الغرب من معطيات الشرق وكيف أثرت هذه المعطيات في نهضة الغرب وما هي الوسائل التي اتخذها الغرب لحسن استفادته من هذه المعطيات . كذلك ذكرنا الموضوعات التي اهتم بها الغرب أكثر من غيرها وكيف كان التركيز عليها .

وأوضحنا التحالف الذي تم بين الكنيسة والاستشراق من أقدم العصور لتحقيق هذه الأهداف، وإلى أي مدىً نجح القوم في تحقيق أهدافهم .

هذا في المرحلة الأولىٰ من عملية تمثل المعطيات الحضارية للإسلام والعرب.

أما في المرحلة الثانية وهي مرحلة تفوق الغرب في جميع المجالات وشعوره بتفوقه ، فقد بدأت الغارة على العالم الإسلامي وتحالف من أجل هذه الغاية الاستعمار والاستشراق والتبشير وأدى الأمر إلى وقوع القسم الأعظم من العالم الإسلامي بين براثن الاستعمار . وأوضحنا اهتمام القوم بتراثنا

وكيف جمعوه من جميع بقاع دنيا العروبة والإسلام وبمختلف الوسائل وكيف حفظوه وحققوه ونشروه وترجموا كثيراً من عيونه وألفوا حولنا وحول حضارتنا الكثير والكثير جداً .

وأوضحنا بشكل خاص دور الجامعات في هذا المضمار وما فعلته من أجل هذه الغاية .

أما القسم الثاني فهو لائحة بيبليوغرافية حسب الموضوعات بأسماء أشهر الكتب التراثية العربية التي حققها غربيون أو حررها أوربيون أو نقلوها إلى لغتهم أو طبعت في بلدان أوربا وأمريكا . وهي لائحة طويلة عريضة تحوي جميع فروع المعرفة الإنسانية .

هذا، ومن المشاكل التي واجهت المؤلف ، وتواجه كل باحث في هذا الموضوع ، هو عدم كفاية المصادر ، ففي أكثر الأحيان نحصل على مصادر عن المواد لا المواد نفسها . وقد يكون في هذه المصادر أخطاء كثيرة وتحريف مهم . ولذلك ينعكس ذلك على من يعتمد عليها وعلى انتاجه كذلك ، قد تكون هذه المصادر غير حاوية ولا شاملة لكل شيء ، لذلك يأتي البحث ناقصاً حسب المصادر.

وقد ألف القوم وحققوا الكثير بلغاتهم المختلفة ، وليس من المفروض ولا من المعقول أن يكون الباحث ملماً بكل هذه اللغات، فهذا شيء فوق طاقة الإنسان .

هذه مشاكل كثيرة تواجه الباحث ، إلى جانب مشاكل اخرىٰ كالتفرغ والنشر وتحقيق المخطوط وضبطه وجعله جاهزاً للطبع والمشاكل المالية . . .

كذلك ، فإن مثل هذه الموضوعات تحتاج إلى الارتحال والتنقيب في المكتبات العامة والخاصة وإجراء المحادثات العلمية وما ماثل ، وهذا كله غير متوفر في حالة المؤلف .

ومع كل ذلك فقد حاولنا جهدنا، وبذلنا ما في وسعنا في أن يأتي عملنا

أقرب ما يكون إلى تحقيق الممكن ، والا نكون قد غفلنا عن أشياء أساسية في الموضوع .

وقبل أن أنهي مقدمتي هـذه لابد لي من ذكـر عدد من الكتب الأسـاسية في الموضوع والتي ساعدت الباحث أجل مساعدة في هذا المجال .

وأول كتـاب يجب ذكره هـو كتاب الاستـاذ جـورج سـارتـون المسمىٰ : مقـدمة في تـاريخ العلم . هـذا الكتاب لا زال بـاللغة الانكليـزية وهـو كتـاب ضخم يقع في عـدة أجزاء . وأحيـانـاً يخلط بعض النـاس بين هـذا الكتـاب وكتاب آخر لنفس المؤلف اسمه تاريخ العلم ، والواقع أن الكتابين مختلفان . وإن الكتاب الأول هو الأهم بما لا يقاس ، فهو سجل يكاد يكون كاملاً للانتاج العربي ككل وبشكـل خاص لـلانتاج العلمي . والمؤلف منصف إلى حـد يثير الإعجاب وهو دقيق كل الدقـة في أبحاثـه وفي مصادره وفي أحكـامه ، وعنـده تتبع عجيب وقدرة تحليلية وتركيبة تأخذ بالألباب، ويصل في بحثـه حتى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلاديتين .

وهو عمدة المؤلف ومصـدره في كل مـا له عـلاقة بـالنقل والتـرجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوربية القديمة .

هناك كتاب آخر مؤلفه فرنسي ، والكتاب منقول إلى العربيـة وهو كتـاب الدوميلي الذي نقله إلى العربية عبد الحليم نجار ومحمد يوسف موسى بعنوان العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي .

هـذا وإن ميزة الكتـاب الأساسيـة في اشتمالـه على قـدر كبيـر جـداً من أسماء الكتب العلمية العربية التي حققها أوربيون أو ترجموها إلى لغاتهم .

وفي حقل المادة البيبليوغرافية يأتي كتاب بروكلمان تاريخ الأدب العربي في المقـام الأول . ولسوء الحظ لم تكمـل ترجمتـه إلى اللغة العـربية ، ومـع ذلـك فقـد استعـان المؤلف بـالأصـل الألمـاني وبـالقسم المتـرجم إلى اللغـة العربية .

وهناك كتاب جيد للسيدة بنت الشاطىء عائشة عبد الرحمن اسمه تراثنا بين ماضٍ وحاضر استفاد منه المؤلف المعلومات التي يحتاجها من أجل أوراق البردىٰ العربية .

وأخيراً حوى كتاب الباحث اللبناني فيليب دي طرازي معلومات قيمة عن طرق انتقال المخطوطات العربية إلى أوربة ، وكذلك كتاب المرحوم محمد كرد علي خطط الشام حوى معلومات مؤثرة . وقد استفاد الباحث من جميع هذه الكتب ، إلى جانب كتب أخرىٰ ، على درجات متفاوتة .

الناشر

الفَصْل الأوَّل
البدايات الأولى

الفصل الأول
البدايات الأولى

إن العلاقة بين الشرق والغرب قديمة جداً وأقدم مما يتصور كثير من الناس ، وإذا ذكرنا هذه العلاقة وهذا الاحتكاك تقفز إلى ذاكرتنا الحروب الطاحنة والمعارك الدامية التي خاضها الفريقان منذ عهد داريوس الأول والإسكندر الكبير ومن أتىٰ بعدهما من الحكام حتى أيامنا هذه . ولكن هذه العلاقة لم تكن عدوانية فقط ، فقد رافقها علاقات تجارية وسياسية واقتصادية وثقافية ، ذلك إن الحروب لم تكن مستمرة أبداً وإنما كان يتخللها فترات سلم ، طويلة أو قصيرة ، يتم خلالها ذلك التبادل المذكور آنفاً . .

ولما كانت حضارات الشرق أقدم بكثير من حضارات الغرب وأعرق ، فمن المفروض ومن المعقول أن الغرب لما بدأ يأخذ بأسباب المدنية ، اتجه صوب الشرق يستعين بحضاراته الأرقىٰ والأعرق حتى يستطيع تسيير أموره .

والواقع أن الغرب كان في ظلام حضاري دامس عندما كانت الحضارات المصرية والسورية والأكادية والسومرية والبابلية في أوجها ، وإن أول الشعوب الأوربية تحضراً هي تلك الشعوب التي احتكت بالشرق وحضاراته عن طريق التجارة وأعني بذلك الشعوب القاطنة فيما يسمىٰ الآن بلاد اليونان . وإن بدايات تحضر الشعوب اليونانية لم يبدأ إلاَّ في القرن السابع ق. م فما بعد ، وهم كانوا شعوباً بحرية تجوب البحار المحيطة بها من أجل التجارة ، ولذلك فقد تأثروا بالشعوب القاطنة على شواطىء البحر المتوسط والتي هي أعلى ثقافة

وحضارة منها مثل المصريين والفينيقيين وغيرهما من الشعوب ، وقد أخذ اليونانيون عن الفينيقيين الأبجدية والأرجوان وصناعة الزجاج وعبادة الإلٓه ديونيسيوس وذلك باعترافهم هم أنفسهم كما هو ظاهر من اسطورة قدموس . كذلك أخذوا عن المصريين وعن البابليين بعض مبادىء الفلك والحساب وما ماثل .

ولقد حاول امبراطور الفرس غزو بلاد اليونان الذين توسعوا خارج البر اليوناني وبشكل خاص في سواحل آسيا الصغرىٰ المطلة على البحر الأبيض المتوسط وبذلك احتكوا بالامبراطورية الفارسية وأدىٰ ذلك إلى صدام دام بين الطرفين . ولكن الحرب لم تكن لها نتائج حاسمة ولم يتمكن الجيش الفارسي من تحقيق هدفه فارتد إلى بلاده . ولكن اليونانيين والأوربيين عامة يعتبرون هذه الحرب صداماً بين المدنية والبربرية ، ويتجاهلون أن الفرس آنذاك كانوا أرقىٰ حضارياً من اليونان . ومنذ ذلك الزمن بذرت بذرة العداء بين الشرق والغرب .

وبعد فترة من الزمن برزت الحضارة اليونانية كنبراس يضيء في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ، وقد ساهم في تشكل وتكوين هذه الحضارة مؤثرات شرقية كثيرة .

ويجب هنا أن نتوقف لنقول أن أغلب الحضارات اقتبست من بعضها وليس في هذا غضاضة لأن الحضارة شعلة من نور لا يستمر نورها في التألق والانبعاث والانتشار إلاّ إذا استمرت تغذيتها باستمرار ومن جميع الناس في مختلف المناطق والأمصار وعلى مدىٰ الدهور والأعوام .

ولم ينس اليونانيون حقدهم على الفرس ، بل لعل كر الأيام زاده حدة وعنفاً ، ولكنهم كانوا عاجزين عن عمل شيء ما ضدهم ، واستمر الوضع هكذا فترة تقرب من القرون الثلاثة أو ربما تزيد حتى ظهر الفاتح المكدوني الإسكندر الكبير الذي أخذ علىٰ عاتقه أن ينتقم من آسيا على ما فعلته ببلاد اليونان . وعندما قرر الإسكندر الكبير تنفيذ مشروعه هذا ، كانت الامبراطورية

الفارسية مفككة غير متماسكة تمزقها الفتن والحروب الداخلية وينخر فيها الفساد الإداري وتتناحر فيها القوميات المختلفة فتمكن الإسكندر الكبير من هزيمة جيوش الفرس عدة مرات أدت به إلى احتلال القسم الأكبر من تلك الامبراطورية ، وأخيراً تمكن الإسكندر من هزيمة آخر ملوك الفرس داريوس الثالث هزيمة حاسمة أدت إلى تقويض دعائم تلك الامبراطورية واحتلال عاصمتها . ولم يكن هناك حدود لطموح الفاتح الكبير فأراد أن يواصل فتوحاته حتى الهند، ولكن جنده شغبوا عليه ولم يتمكن من تحقيق أحلامه ورجع إلى مدينة الفرس Persepolis حيث توفي هناك وهو لا زال شابا .

ولما لم يكن له ولي عهد كبير فقد اقتسم قواده امبراطوريته الواسعة فأسس بطليموس الأول دولة البطالمة في مصر وأسس سلوقس الأول دولة السلوقيين في بلاد الشام وأسس أتالوس الأول دولة الأتاليين في آسيا الصغرىٰ .

وقد تم ذلك في فترة زمنية قصيرة نسبياً إذ أن الاسكندر حضر إلى الشرق سنة ٣٣٠ ق. م وتوفي سنة ٣٢٣ ق. م ولم تأت سنة ٣٠٠ ق. م حتى كانت تلك الامبراطورية الشامخة قد اقتسمت وكثير من أجزائها النائية انفصلت عنها نهائياً .

ولقد حاول الاسكندر إزالة الفوارق بين الشرق والغرب ، وذلك بصبغ الشرق بالصبغة الهيلينية ولذلك أكثر من بناء المدن اليونانية وحث على زواج اليونان من الشرقيين. وقد تابع خلفاؤه من بعده هذه السياسة فانتشرت في ربوع الشرق الأسماء اليونانية والآلهة اليونانية واللغة اليونانية وبدأ تيار مستمر من الهجرة اليونانية إلى بلاد الشرق يتدفق طيلة ثلاثة قرون أو أكثر .

ونتيجة لذلك فقد حصل وتم تمازج حضاري مهم كل الأهمية وكان نتاج هذه الحضارة بروز حضارة جديدة تحوي عناصر من كلا الحضارتين اليونانية والشرقية تسمىٰ الحضارة الهلنستية أي الحضارة الهيلينية المطعمة بالحضارة الشرقية .

ولقد ورثت روما اليونان في حكم بلاد الشرق وتمكن الرومان من احتلال جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط وقد تم ذلك في أوائل القرن الأول الميلادي زمن الأمبراطور اغسطس . ولما كان الرومان أقل تحضراً من اليونان فقد اقتبسوا الحضارة اليونانية ـ الشرقية التي وجدوها وتبنوها وساروا في نفس الطريق . وقد زادت التأثيرات الشرقية بروزاً وظهوراً في الأمبراطورية الرومانية حتى قيل أن نهر الأورنت [العاصي في سورية الحالية] يصب في التيبر [النهر الذي يمر في روما] وعندما انقسمت الأمبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي وغربي زادت التأثيرات الشرقية بروزاً في الحضارة البيزنطية التي سادت في القسم الشرقي من الأمبراطورية الرومانية .

ولقد استمرت الأمبراطورية الرومانية في الغرب فترة من الزمن حتى سقطت سنة ٤٧٦ م ذلك أن الأمبراطورية الرومانية تعرضت منذ أواخر القرن الثالث لغارات مدمرة قام بها شعوب جرمانية متبربرة استطاعت بعد حروب كثيرة وطاحنة أن تدمر القسم الأكبر من المؤسسات الحضارية في الأمبراطورية الرومانية الغربية وأن تقتل قسماً كبيراً جداً من السكان وأن تحل الخراب والدمار في كل مكان وطئته أقدامها وتمكن قواد هذه الشعوب من تأسيس دويلات لهم على أنقاض الأمبراطورية الرومانية كما فعل كلوفيس في بلاد الغال [فرنسا] والقوط في اسبانيا والفاندال في شمالي افريقيا . وأخيراً سقطت عاصمة الأمبراطورية الرومانية الغربية بيد البرابرة سنة ٤٧٦ م ويسجل ذلك بداية العصور الوسطىٰ ونهاية العصور القديمة .

وقبل أن نتابع بحثنا هذا لابد لنا من أن نوضح ما هو المقصود بمصطلح العصور الوسطىٰ . فقد اعتاد المؤرخون ، وبشكل خاص مؤرخو الغرب ، تسهيلاً للبحث ولاعتبارات أخرىٰ كثيرة أن يقسموا مجرىٰ التاريخ الإنساني إلى أقسام ثلاثة ، لكل منها صفات معينة تتصف بها وهي : العصور القديمة وتنتهي في عام ٤٧٦ م والعصور الوسطىٰ التي تبدأ نفس العام وتنتهي أمام سنة ١٤٥٣م سنة سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين ، أو سنة ١٤٩٢ م سنة اكتشاف أمريكا وسقوط غرناطة بيد الأسبان وإخراج المسلمين من شبه الجزيرة

الايبرية ، والعصور الحديثة التي تبدأ منذ ذلك الوقت وهي مستمرة حتى الوقت الحاضر .

إن فكرة تقسيم مجرى التاريخ الإنساني إلى عصور معينة محددة تفصل بينها سنوات بعينها هي فكرة غير صحيحة وغير عملية ولا يمكن تطبيقها على مختلف الأصقاع والحضارات والأمم ، لأنه لا يمكن القول إطلاقاً أن العصور القديمة التي لها صفات معينة وسمات بارزة امتازت بها انهارت كلها دفعة واحدة في يوم واحد من عام ٤٧٦ م ، وإنه في نفس اليوم بدأت العصور الوسطى التي لها صفات وسمات تخالف سمات وصفات العصور القديمة وقد تعاكسها . ولكن يمكن القول إنه حدث تغير كبير وبطيء في سير الحضارة وإن ذلك استغرق عدداً من القرون مما أدى إلى زوال العصور القديمة ذات الحضارة المتميزة ، وإلى ولادة العصور الوسيطة في أوربا التي لها صفات خاصة تختلف بل وتتناقض مع حضارة العصور القديمة .

وكما قلنا آنفاً فإن ما ينطبق على قطر قد لا ينطبق على غيره ، إذ أن هذا التقسيم محلي وليس عاماً . فمثلاً نحن العرب المسلمين يختلف تاريخنا عن تاريخ أوربا اختلافاً جذرياً . فعادة توصف العصور الوسطى أنها عصور مظلمة ساد فيها الجهل والفقر والمرض والظلم وسيطر فيها الإقطاع والتأخر والفوضى ، وتحكمت الكنيسة في البلاد والعباد وسيطرت على الأبدان والعقول والنفوس ، وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة للغرب فهو غير صحيح كلياً لنا نحن العرب المسلمين ، ذلك إن نفس العصور شاهدت ولادة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وانبثاق نور الإسلام من شبه جزيرة العرب وانتشاره في أرجاء العالم وبالتالي نشوء الحضارة الإسلامية وانتشارها في بقاع كثيرة من أقطار الأرض ، ورافق ذلك العلم والفن والأدب وازدهار الحضارة الإسلامية ازدهاراً رائعاً . ففي الوقت الذي كانت أوربا غارقة فيه في الجهالة والفوضى كانت البلاد الإسلامية تزهو بحضارتها وجامعاتها وعلومها وكتبها ومكتباتها . ولذلك فإذا وصفت العصور الوسطى أنها عصور مظلمة فإن ذلك صحيح بالنسبة للغرب وحده ، أما بالنسبة لنا فهي عصور زاهية راقية انتجت حضارة عظيمة ونشرت

النور في العالم ، فعصورهم المظلمة هي عصورنا المضيئة ، وعصورهم المنيرة هي عصورنا المعتمة لسوء الحظ . ولقد بدأ العالم الإسلامي يتمزق ويفقد وحدته وتسيطر عليه روح الجهل والتعصب وبدأ يدخل عصوره المظلمة السوداء في نفس الوقت الذي بدأت فيه أوربا تستيقظ من سباتها وتأخذ بأسباب الحضارة والمدنية .

ولقد حدث في القرن السابع ميلادي حدث مهم جداً ، وهو أهم حدث في التاريخ من وجهة نظرنا نحن ، هو ميلاد الرسول عليه السلام وبعثته بالإسلام ونشره الإسلام وهجرته عليه السلام ، وقد تم ذلك في مكان بعيد كل البعد عن مواطن الحضارة السابقة ، وفي بقعة صحراوية لا تلفت الأنظار ، في قلب الجزيرة العربية ذلك أن العرب قبل الإسلام كانوا فقراء فأغناهم الله بالإسلام وكانوا جهلة فأكسبهم الإسلام علماً خالداً ، وكانوا متفرقين فتوحدوا بالإسلام ، وكانوا أذلة فأعزهم الله بالإسلام . بل لقد عهد إليهم الله تعالىٰ بمهمة تحرير العالم من ربقة الطاغوت والطغيان ونشر عبادة الواحد الديان فقاموا بها خير قيام . وقد بدأت المحاولات الأولىٰ لهذه العملية زمن الرسول عليه السلام إذ أنه وجه الجيوش بقيادته إلى مشارف الشام في غزوة تبوك، وأرسل الجيوش بقيادة زيد بن حارثة لنفس الغاية في غزوة مؤته .

ولقد سارت العملية شوطاً بعيداً جداً زمن خلفائه الكرام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فقد وضع الخليفة الراشدي الأول الخطة لتحرير العالم من ربقة الطاغوت ووجه الجيوش إلى بلاد الشام والعراق ، وإذا لم يطل العمر بأبي بكر ليرىٰ ثمار ما غرسته يداه ، فإن خليفته من بعده عمر بن الخطاب سار بالعملية إلى أقصىٰ مجالاتها وتحررت في عهده بلاد الهلال الخصيب وفارس من جهة ومصر وبرقة من جهة أخرىٰ . ولقد أصاب عملية التحرير هذه بعض الاسترخاء حتى أتىٰ زمن الوليد بن عبد الملك الذي تابع العملية بحزم وقوة فضم إلى الأمبراطورية الإسلامية أجزاء مختلفة من الأرض في ثلاث قارات تمتد من حدود فرنسا غرباً إلى حدود الهند والصين شرقاً ، وانتشر الإسلام في تلك الأصقاع وأصبح الخضوع إلى الله العلي العظيم

والإيمان بالرسول الكريم وبما جاء به من تعاليم إسلامية قطب الرحىٰ في حضارة كبيرة عظيمة وحدت به أجزاء الأمبراطورية الإسلامية المتباعدة ، ووحد به أقوام مختلفون في العرق واللغة ، وأصبح الإسلام واللغة العربية رباطهم الوثيق الذي يشد بعضهم بعضاً . وهذا لا يعني أن الإسلام أزال جميع الفوارق التي كانت موجودة بين تلك الأقوام المختلفي اللغات والعروق والمشارب ، ولكنه قدم أساساً متيناً من أجل بناء حضارة عريقة وبناء امبراطورية عظمىٰ(١).

ومما يثير الإعجاب إن أسلافنا العرب المسلمين الذين خرجوا من شبه جزيرتهم منساحين في الأرض تبنوا حضارات الأمم السابقة ، أو بالأحرىٰ اقتبسوا منها ما لاءم حياتهم ومثلهم ورقوها وأبدعوا ما شاء لهم الإبداع ، ذلك أن المرء قد يتوقع في حالة قبائل منعزلة بدوية أن تدمر كل ما يصادفها من معالم الحضارة في البلاد التي تقدر لها أن تطأها بأقدامها كما فعل الجرمان من قبل وكما فعل المغول والتتار من بعد ، ولكن الذي حدث هو عكس ذلك تماماً ، لم يدمر المسلمون شيئاً مما وجدوه وإنما تبنوه واحتضنوه وطوروه وتمثلوه ، وبعد فترة أبدعوا حضارتهم الذاتية المعبرة عن شخصيتهم ، ولكن العجب يزول عندما يتذكر الإنسان أن المسلمين زمن الفتوح كانوا حملة رسالة سامية ، وهذه الرسالة تحض على العلم والتعلم وهي إنسانية في أساسها أتت من أجل خير الإنسان واحترامه بصرف النظر عن دينه أو لونه أو عرقه أو جنسه ، وتطبيقها يعني إكمال الإنسان لإنسانيته ، وهذا هو الفارق الرئيسي بين المسلمين وبين غيرهم من الغزاة ، يحرر المسلمون النفوس قبل الأراضي ويحطمون الطواغيت التي تمنع من تحقيق إنسانية الفرد ويسمحون لحيوية الأفراد وإمكاناتهم أن تتضح وأن تبدع ، وأما الآخرون فيغزون لدوافع هي ضد الإنسانية ولتدميرها .

---

(١) حمادة ، محمد ماهر . المكتبات في الإسلام . . . الطبعة الثانية . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨ م ص ٨.

بدأ المسلمون حضارياً ، وفي كثير من المجالات من نقطة الصفر كما يقال وتتلمذوا علىٰ أيدي سكان البلاد المحررة ، ولكن لم يمض جيلان أو ثلاثة حتى أصبح المسلمون أنفسهم سادة الحضارة ، ذلك أنهم اتقنوا ما تعلموه ثم أبدعوا وهذه هي مهمة التربية الحقيقية الأساسية .

لقد أحب المسلمون الكلمة الطيبة وكانت تسحرهم البلاغة والفصاحة ، ولما تحضروا واستقروا في البلاد المفتوحة استمروا على تأثرهم بالبلاغة والفصاحة ، وأضيف إلى ذلك حب الكتب واحترامها . لقد أحضروا معهم من شبه جزيرتهم كتابهم المقدس القرآن الكريم الذي تمركز حوله عدد كبير جداً من الدراسات ، ولكنهم وجدوا في البلاد الأخرىٰ كتباً كثيرة ، فلم يدفعهم حبهم واحترامهم لكتابهم العزيز إلى احتقار واتلاف الكتب الأخرىٰ ، بل بالعكس اهتموا بها ونموها وطوروها وحفظوها في أماكن لإيوائها هي ما كانوا يسمونه خزائن الكتب وهي ما تعرف الآن بالمكتبات . والواقع أن إحدىٰ مميزات الحضارة الإسلامية الرئيسية هي حبها للكتب ونشرها للمعرفة عن طريق الكتب واحتضانها المكتبات وتعميمها وجعلها في متناول جميع أفراد الشعب دون اعتبار للعمر أو الجنس أو الدين أو اللون أو الثقافة ، ولم يبزّ شعب من شعوب الأرض كلها المسلمين في حربهم على الكتب وحبهم لها .

هذا وينظر كثير من مؤرجي الغرب إلى التحرير الإسلامي لبلاد الهلال الخصيب ومصر وشمالي أفريقيا وفارس وغيرها على أنها عملية غزو وسطو قامت بها قبائل جائعة متوحشة بقصد السلب والنهب ، كما وإن فريقاً آخر منهم يتهمون الإسلام والمسلمين أنهم فرضوا دينهم على سكان البلاد المحررة بقوة السيف، على حين أن الشيوعيين ومن لف لفهم من مؤرخي هذه الأيام يعطون الأولوية للدافع المادي الاقتصادي .

هذا وإن جميع هذه التعليلات مضحكة ومضللة وباطلة ولا أساس لها من الصحة . فلو كان الدافع للفتح اقتصادياً لوجب أن يدمر الغزاة المنشآت

الحضارية كما فعل الجرمان والمغول ولوجب أن تتأخر البلاد اقتصادياً ، وهذا شيء لم يحدث إذ ازدهرت البلاد المحررة اقتصادياً بما لا يقاس عما كانت عليه قبل التحرير ، إلى جانب ازدهارها الفكري . أما قضية فرض الإسلام بالقوة فهذا شيء تكذبه النصوص التاريخية ولا يتماشىٰ مع القصيدة الإسلامية القائلة « لا إكراه في الدين »[1] و﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[2] .

والواقع أن حروب الإسلام الأولى حروب تحريرية بكل ما في الكلمة من معنىٰ . لم يهدف أوائل المسلمين من حروبهم هذه مغنماً ولا ضماً للأراضي وإنما أرادوا تحرير الأرض وتحرير الإنسان. ويجب علينا أن نلاحظ أن أغلب الأراضي التي حررها المسلمون احتلها الإسكندر الكبير وبقيت في قبضة الغرب زهاء ألف سنة ، وقد حاول هؤلاء السكان استرجاع شخصيتهم الشرقية فثاروا ضد حكامهم عدة مرات ولكنهم عجزوا عن ذلك حتى أتىٰ الإسلام العظيم فحررهم وأعاد لهم شخصيتهم . ولقد يدهش المرء من السرعة التي انتشر بها الإسلام في البلاد المحررة ، ولكن ذلك لايدهشنا إذا نحن عرفنا أن الإسلام دين الفطرة السليمة ، وإنه إذا عرض بشكل واضح جيد على شخص ذي فطرة سليمة فإن ذلك الفرد ، غالباً سيعتنق الإسلام ديناً . والإسلام في حربه حطم القوى التي تمنع الإنسان من الانعتاق والاستجابة لنداء الفطرة . فإذا تحطمت تلك القوىٰ [المتمثلة في قوة الدولة والكنيسة وما ماثل] استجاب الناس ذوو الفطرة السليمة لنداء الفطرة يوجهه لهم الإسلام .

وهناك رأى يورده المؤرخ توينبي حول انتشار الإسلام ، فهو ينظر إليه كرد فعل ناجح ضد طغيان أوربا على الشرق ، ذلك أن العادات الغربية انتشرت في الشرق وانتشرت اللغة اليونانية والأسماء اليونانية والحضارة اليونانية

---

(١) سورة البقرة: الأية ٢٥٦ .

(٢) سورة يونس : الأية ٩٩.

حتى خيل للمراقب السطحي أن الفروق بين الشرق والغرب قد زالت أو أن الشرق قد تغلب . ولكن ذلك كان بالظاهر فقط ذلك أن الشرق له أصالته وشخصيته المميزة له ، وعلى الرغم من أن أغلب ردود فعل الشرق ضد الغرب من أجل استرجاع شخصيته لم تنجح ، إلاَّ أن ظهور الإسلام أعاد للشرق شخصيته المميزة له ، وبمنتهىٰ السهولة زالت اللغة اليونانية والعادات اليونانية والأخلاق الأوربية فكان الإسلام رد الفعل الناجح ضد تحدي الغرب للشرق . أما المعارف فهي تراث إنساني ، وعلى الرغم من أن المسلمين لم يطرحوه جانباً وإنما احتضنوه واعتنقوه إلاَّ أنهم لم يكونوا عبيداً له ، فقد نقلوا تراث الأمم القديمة دون تفريق - من يونان وقبط وفرس وهنود وآشوريين وكلدان وسريان . . . إلى اللغة العربية ثم تمثلوا ما عربوه وأبدعوا بعد ذلك تفكيرهم وآراءهم المستمدة من ثقافتهم المتلائمة مع أوضاعهم ومثلهم وأخلاقهم ومشاريعهم ، وبهذا يكون المسلمون هم الورثاء الطبيعيين لحضارات البحر الأبيض المتوسط القديمة العظيمة السامية بتقاليدها العائدة إلى أقدم العصور ، وبهم بلغت تلك التقاليد ذروتها ووصلت إلى نقطة كمالها ، كما وإن حضارة البحر الأبيض المتوسط استرجعت بهم شخصيتها المميزة لها ، كما استرجع الشرق وجهه الحقيقي بالإسلام والمسلمين .

هذا ، ونود أن نعرف بحال الغرب المسيحي أبان القرون الوسطىٰ ، وذلك قبل أن نتابع بحثنا في انتقال الفكر الإسلامي والكتاب العربي إلى ذلك الغرب أبان تلك الفترة ، لأن من الضروري إلقاء الأنوار على حال الغرب آنذاك ولا سيما من الناحية الثقافية والعقلية .

لقد ذكرنا سابقاً أن البرابرة غزوا الأمبراطورية الرومانية في الغرب وأسسوا فيها دويلات لهم ، والواقع أن انحطاط الغرب بدأ قبيل الغزو الجرماني البربري له ، فقد غرق القوم في الترف وابتعدوا عن الثقافة والأدب والتعليم وتفسخت اخلاق القوم ، وأغلقت المعاهد التعليمية وبشكل خاص المكتبات ، فنجد أن أميانوس مرسيلينوس Ammianus Marcellinus من

رجـال القـرن الـرابـع ينعي « المكتبـات التي أغلقت إلى الأبـد وأصبحت كالمقابر »[1] .

وقد كان البرابرة الجـرمان قسـاة جهلاء وثنيين وقـد استقروا في الأمـاكن المفتوحة ، ولما كانت بقايا الحضارة الرومانية أرقىٰ من حضارتهم البدائية فقد اهتدوا إلى المسيحية بعـد فترة من تـأسيسهم دويلاتهم . ولقـد تضافـر الجهل والإهمال مع الغارات البربرية على انحطاط معاهد التعليم القديمـة والمكتبات وتـدميرهـا وزوالها . ويجب أن نـلاحظ أن غريغـوري الكبير الـذي كان يلقي الخطب الجنائزية المشهورة حزناً على روما التي قهرها اللومبارديون واحتلوها ، هـو نفسه أمـر بإحـراق مجموعـات الكتب الأمبراطوريـة[2] . هـذا وإن عنف الهجمات البربرية في الغرب أزالت قسماً كبيراً جداً من السكان وجعلت قسماً كبيراً ممن بقي على قيد الحياة يحاول إنقاذ حياته بإيجاد ملاجىء له في الأديرة والكنائس . وكذلك وجدت بعض الكتب طـريقها إلى الـدير والكنيسـة كملجأ تحتمي به .

هذا وإن زوال أو ضعف السلطة الزمنية وتحطم الغـرب إلى عدد كبـير من الدويلات واهتـداء البرابـرة إلى الدين المسيحي ، وانتشـار الأمية بشكـل كبير جـداً في أوربا ، وتحـطم المؤسسات الـرومانيـة القـديمـة الإداريـة والثقـافيـة والتربوية والعسكرية أدىٰ ، مع عوامل أخرىٰ إلى بروز الكنيسة كأقـوىٰ مؤسسة حضـارية ، وأدىٰ ذلك بالتـالي إلى سيطرتهـا على الحياة الـروحية والثقـافية في الغرب فترة تزيد علىٰ الألف عام .

ولقد انتشرت الأديرة في الغرب انتشاراً واسعاً ، ذلـك لأنه قـدم ، وسط الفوضىٰ التي انتشرت نتيجة للغزوات البربرية ، ملجأً للبشر الصالحين ، فقـد

---

(١) هيسيل الفرد . تـاريخ المكتبـات . تأليف الفـرد هيسيل تعـريب شعبان عبـد العزيـز خليفة . القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٣ م . ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢) حمـادة ، محمد مـاهر . المكتبـات في العالم . . . الـريـاض ، دار العلوم ، ١٩٨١ م . ص ١٢١ .

نجت الأديرة من أهوال الحرب إلى حد ما ، وكانت تقدم لها المنح والأراضي وتعفى من الضرائب.

ففي ذلك الجو المضطرب انحصر التعلم والتعليم - وهو ديني صرف - بيد رجال الدين المسيحي ، وكان مقره الدير والكنيسة ، وكانت لغة التعليم اللاتينية . وكان الكتاب المقدس أساس التعليم ولبه وعموده الفقري ، وبعد فترة وجيزة أصبحت كتابات أخرىٰ مهمة أيضاً . فعندما بدأت المسيحية تنتشر كان أغلب معتنقيها من الفقراء والمضطهدين والأميين . ولقد تأسست الكنائس بالتدريج وبدأت الخدمة التعليمية فيها ، وقد بدأت الكنائس تدخل في تعليمها شروح آباء الكنيسة وتعليقاتهم على الكتاب المقدس ، وهذه تزداد غزارة مع الزمن . وقد أثبتت هذه الشروح والتعليقات أنها أكثر أهمية بكثير من مجموعات الكتب الخاصة مهما كانت كميتها أو غناها أو موضوعاتها . ومع مرور الزمن تركز التعليم بهذه الشروح والتعليقات وأهمل إلى حد كبير الكتاب المقدس نفسه .

ولم يكن آنذاك في الغرب شيء اسمه جامعات أو كليات ، وإنما هذا شيء أتىٰ فيما بعد وبعد أن احتك الغرب بالشرق وبدأ بالاطلاع على حضارته وتقليده فيما هو آخذ به من أسباب الحضارة والعلم .

ولقد اقفرت أوربا آنذاك أو كادت من العلم اليوناني ، وانحصرت بضاعتها العلمية في متون خاصة عقيمة هي تلك التي وضعها مارسيانو كابلا Marciano Capella الذي عاش في شمالي افريقية في عهد الفندال في القرن الخامس أو التي وضعها بوتيوس Boéco في القرن السادس في إيطاليا في عهد القوط الشرقيين ، أو تلك التي كتبها القديس ايسيدور الذي عاش في اسبانيا في القرن السابع على عهد القوط الغربيين ، وأخيراً ما كتبه بيد Béde الوقور الذي عاش في بريطانيا في القرن الثامن . كانت هذه المتون خلاصات شاحبة لآثار ضئيلة من العلم اليوناني فبقيت الدراسة في أوربا تافهة كل التفاهة

محصـورة في فئة نـادرة من الرهبـان ، وما كـان يمكن لهذه الـدراسة أن تغيـر مجراها إلاّ إذا أمدها مصدر خصب جديد(١) .

هذا ولقد كانت العلاقات بين المسلمين وبلاد الغرب عدوانية في أغلب الأحيان فقد كان القوم يضطرمون حقداً وغيظاً وكرهاً للمسلمين الـذين اقتطعـوا من المسيحية أبهى مقاطعـاتها ومهـدها . وقـد غذت الكنيسـة الكاثـوليكية في الغـرب تغذيـة بالغـة هذا الحقـد ، وصور المؤلفـون الأوائل ورجـال الكنيسـة والتقاليد الشعبية الموروثة المسلمين على أنهم قتلة وثنيون مجرمون مدمرون لا أخلاق لهم ولا وازع يردعهم من ضمير أو أخلاق .

يقـول الـدكتـور سعيـد في كتـاب الاستشـراق « إن مـا كـان يشعـر بـه المسيحيون تجاه الجيوش الإسلامية هو أنها تحمل مظهر سرب من النحل لهـا أيدي ثقيلة . . . تدمر كل شيء . هذا ما كتبـه Erchembert الراهب في ديـر مونت كاسينو في القرن الحادي عشر . ولقد نظر القوم في أوربا إلى الإسلام على أنه تجسيد للرعب والدمار ، واتباعه على أنهم قبائل شيـطانية من البـرابرة المكروهين»(٢) .

ولقد تعمدت الكنيسة أن تشوه صورة الإسلام والمسلمين عند اتباعهـا ، كمـا وإن حقـد الكنيسـة ضـد الإسـلام تمـركـز في شخص رسـول الله عليـه السلام . ولقد كانت أوربا مهتمة بالرسول وبالإسلام ، ولكنـه اهتمام من نـوع خـاص ، اهتمام قصـده تصويـر الرسـول في العقل الغربـي على أنه المسيـح الدجال والنبي الكذاب ومؤسس اشنع وأقبح الفرق في تاريخ المسيحية(٢) .

---

(١) بدوي ، عبد الرحمن ، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي .الطبعة الثانية .القـاهرة، مكتبـة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ م . ص ٧.

(1) Said, Edward **Orientalism**. London, Routledge. 1918. p. 59.:

(٣) شو ، س ، س . الهلال والوردة : الإسلام وانكلترا في عهد النهضة . نيويـورك ، مطبعـة جامعة اكسفورد ، ١٩٣٧ م . ص ٣٨٨.

ولقد أدت هذه الروح العدوانية والتعصب الأعمىٰ وعداء الكنيسة ، مع عوامل أخرىٰ كثيرة إلى أن شنت الكنيسة الغربية حرباً مقدسة ضد الإسلام وفي بلادهم بقصد تدمير الإسلام واسترجاع البيت المقدس إلى أحضان الكنيسة، وهي الحروب المعروفة باسم الحروب الصليبية. وعلى الرغم من أن دوافع الحروب الصليبية لم تكن كلها دينية ، إلاّ أن التعصب والكره والحقد هي التي غذتها طوال قرنين من الزمان.

ولقد مرت الحضارة الإسلامية في ثلاثة أدوار حتى تبلورت وظهرت شخصيتها وأمكنها أن تشع وتعطي الآخرين .

فأول هذه الأدوار هو دور قصير تميز بجمع القرآن الكريم في طرس واحد وضبط نصه وتوزيعه على الأمصار وذلك حسماً للخلاف بين مختلف الفئات . والقرآن كما هو معلوم هو أساس الحضارة الإسلامية ولبها وتمركز حوله عدد كبير جداً من الدراسات المبتكرة ولذلك فإن حفظ نص هذا الكتاب المقدس وتعميمه إرساء للأساس الصلب للحضارة الإسلامية .

أما الدور الثاني فهو دور نقل التراث الهيليني والفارسي والسرياني إلى اللغة العربية وقد تم ذلك على مدىٰ قرنين من الزمان وأكثر . كما رافق هذا الدور جمع للتراث العربي من شعر ونثر ومعاجم ولغة وأنساب وقصص وأمثال وما شاكل .

ويأتي الدور الثالث تتويجاً للدورين السابقين فيبدأ التأليف الأصيل في جميع فروع المعرفة بلا استثناء وفي طول البلاد الإسلامية وعرضها .

ومما يجب ملاحظته أن هذه الأدوار ليست منفصلة عن بعضها بحواجز زمانية أو مكانية وإنما هي متداخلة مع بعضها تداخلاً عجيباً .

وقد بلغت الحضارة الإسلامية ذروة مجدها وقمة نضوجها ابتداءً من القرن الرابع هجري واستمر الوضع كذلك حتى القرن السابع هجري وما بعده ، بل قد استمر هذا التألق في بعض فروع المعرفة حتى القرن التاسع والعاشر هجريين .

والـذي ساعـد على هذا الازدهـار الحضاري هـو انتشار التعليم انتشـاراً واسعاً جداً ، وتسامح المسلمين في نقل الكتب ولو كانت مخالفة لعقائـدهم ، وكـذلك تسـامحهم مع أهـل الذمـة حتى تعاون هؤلاء معهم عن طيب خـاطـر ورضا ، كذلك كان لتشجيع الحكام العلماء علىٰ العمل والتـأليف والنقل أثـر طيب جـداً وأمثال هؤلاء كثيـرون كالمنصـور والرشيـد والمأمون وسيف الدولة الحمـداني وآل سامـان وغيرهم كثيـرون . ومما سـاعد علىٰ ازدهـار الحضـارة ورقيها إيجاد المؤسسات التعليمية لجميع المراحل بـدءً من الكتاب وانتهاءً مع الأكـادمية العلميـة . وقد تـأسست في العالم الإسـلامي المعاهـد والجامعـات والكليات والمراصد والمكتبات الكبرىٰ ، وكلها كانت أماكن للبحث والـدرس والتأليف الأصيل .

ولقد غمط كثير من مؤلفي الغرب الحديثين والمستشرقين هذه الحضـارة حقها فوصفوها بأوصاف تكشف عن حقدهم وتعصبهم ضد الإسلام ومؤسساتـه الحضارية وصدق الله العظيم عندما قـال : ﴿ **وإن فريقـاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾[1] .

على أن هنـاك نفــراً منهم درسـوا هـذه الحضـارة دراسـة وافيـة وأبـدوا إعجـابهم بها فيقـول تومـاس أرنولـد . كانت العلوم الإسـلاميـة وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوربا في القرون الوسطىٰ[2] . ويقول جورج سارتون في كتابه مقدمة في تاريخ العلم : إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنسـاني اضطلع بـه المسلمون ، فـالفارابي أعـظم الفـلاسفـة . . . والمسعـودي أعـظم الجغـرافيين ، والـطبـري أعــظم المؤرخين[3] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

(٢) ارنولد ، توماس (محرر) . **تراث الإسلام** . تحرير توماس ارنولـد تعريب جـرجيس فتح الله . الطبعة الثانية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٢ م . ص ٥٠٦ .

(٣) عقيقي ، نجيب . **المستشرقون** . الطبعة الثالثة . . . القـاهرة ، دار المعـارف ، ١٩٦٤ م . ج١ - ٨٨ .

كـذلك يبـدي تومبسـون إعجابـه بالعلم العـربي « إن انتعـاش العلم في العالم الغربي نشأ بسبب تأثـر شعوب غـربي أوربة بـالمعرفـة العلمية العـربية وبسبب الترجمة السريعة لمؤلفات المسلمين في حقل العلوم ونقلها من العربية إلى الـلاتينية لغـة التعليم الدوليـة آنذاك[1] ويقـول في مكـان آخـر : إن ولادة العلم في الغـرب ربما كـان أمجد قسم وأعـظم إنجـاز في تـاريـخ المكتبـات الإسلامية[2].

هذا وقد أبدىٰ الباحث اليهودي فرانز روزانتال إعجـابه الشـديد ودهشتـه البـالغة لسمـو الحضارة الإسـلامية وسـرعة تشكلهـا ، ذلـك أن تـرعـرع هـذه الحضارة هو موضوع مثير ومن أكثر الموضوعات استحقاقاً للتأمل والدراسـة في التاريخ . ذلك إن السرعة المذهلة التي تم بها تشكل وتكون هذه الحضارة أمر يستحق التـأمـل العميق وهي ظـاهـرة عجيبـة جـداً في تـاريـخ نشـوء وتـطور الحضـارة ، وهي تثيـر دومـاً وأبـداً ، أعـظم أنـواع الإعجـاب في نفـوس الـدارسين ، ويمكن تسميتها بـالحضـارة المعجـزة ، لإنهـا تـأسست وتشكلت وأخذت شكلها النهـائي بشكل سـريع جـداً ووقت قصير جـداً ، بحيث يمكن القول إنها اكتملت وبلغت ذروتها حتى قبل أن تبدأ[3].

وقد أشاد أحد الباحثين بـالحضارة الإسـلامية وخص العلم العـربي فيها بهذه الإشادة « إن القوة التي غيرت وضع العالم المادي كانت من نتـاج الصلة الوثيقة بين الفلكيين والكيميائيين والمدارس الـطبية . وكـانت هذه الصلة أثـراً من آثـار البلاد الإسـلامية والحضـارة العربيـة . إن معظم النشـاط الأوربي في مجال العلوم الطبيعية إلى القرن الخامس عشر ميـلادي كان مستفـاداً من علوم العرب ومعارفهم ، وإني قد فصلت الكلام في الـدور الذي لعبتـه العربيـة في

---

(1) Thompson , J.W. The Medieval Library. N.Y. Hafner Publishing Compony, 1967. p. 263.

(2) Ibid, p. 363.

(٣) روزنثال ، فـرانز. علم التاريخ عند المسلمين . ليدن ، بريل ، ١٩٥٢ م . ص ٢٨ .

اليقظة الأوربية، لأن الكذب والافتراء كانا قد كثرا في العصر الحاضر ، وكان التفصيل لابد منه للقضاء عليهما[1] .

هذا وقد انتقل الكتاب العربي والحضارة الإسلامية إلى الغرب عن طريق ثلاثة منافذ أو ثلاث بوابات إن صح التعبير ، فأولىٰ هذه البوابات هي البوابة الصقلية والثانية هي بوابة الأندلس والثالثة هي بوابة الحروب الصليبية .

هذا وإن الاحتكاك الذي تم بين المسلمين والأوربيين في الحروب الصليبية هو أقل الاحتكاكات مردوداً وأضعفها نتاجاً . ذلك إن الصليبيين بعد أن نجحوا في تأسيس دويلاتهم اللاتينية في بلاد الشام لم يكونوا في وضع يمكنهم من السير بعملية التبادل الثقافي شوطاً بعيداً وذلك عائد إلى عوامل كثيرة . فأولاً لم يكن مستوىٰ القوم الثقافي ناضجاً إلى الحد الذي يدفعهم إلى التماس المعرفة عند المسلمين ، كذلك كان الحقد والتعصب الأعمىٰ يأكل قلوبهم ويعمي أبصارهم وبصائرهم ، إلى جانب أن العمليات الحربية بينهم وبين المسلمين كانت مشتعلة أغلب أوقات وجودهم في الشرق .

ومع ذلك فقد ارتحل إلى الشرق [الممالك اللاتينية] عدد من البحاثة اللاتينيين ، ويبدو أنهم تأثروا إلى حد ما بالمستوى الرفيع للحضارة الإسلامية المعاصرة ، فمن هؤلاء البحاثة الذين زاروا الشرق وتأثروا تأثراً عميقاً بحضارته وفهموا المستوى الرفيع الذي وصل إليه الفكر الإسلامي أديلارد دوبات Ade-lard de Bath ، فقد ارتحل إلى الشرق (١١١١ ـ ١١١٦) ، ولما رجع بدأ نشاطه في حقل التأليف والترجمة ، فقد ألف كتاباً في مسائل الطبيعة يظهر فيه التأثير العربي واضحاً كل الوضوح[2] ، كما وإنه نقل عدداً من الكتب العلمية

(١) الأميني، محمد تقي. الإسلام تشكيل جديد للحضارة تأليف محمد تقي الأميني تعريب مقتدى حسن ياسين . الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٤ ، ص ١٤ وهذا قول روبرت بريفولت .

(٢) الدوميلي . العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي . تعريب عبد الحليم نجار ومحمد يوسف موسى . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٢ م . ص ٤٣٨ .

العربية إلى اللاتينية وصار هو نفسه أحد المترجمين الأوائل بين أولئك الذين كانوا على اتصال مباشر بالقارة الآسيوية .

كذلك عاش في الممالك اللاتينية في الشرق التي أسسها الصليبيون مترجم آخر قام بنقل عدد من كتب الطب العربي إلى اللاتينية هو ستيفان من بيزا Stephan di Pisa ويسمىٰ أيضاً ستيفان الفيلسوف ويسمىٰ أيضاً Etienne d' Antioch ، وقد اشتهر بترجمته الجديدة تماماً والأقرب كثيراً إلى النَص العربي من ترجمة قسطنطين الأفريقي للكتاب الملكي لعلي بن عباس[1] .

ولقد حرر المسلمون صقلية ونشروا فيها الإسلام والحضارة الإسلامية مدة تزيد عن القرنين وهناك أسسوا فيها المدارس والمعاهد وتألقت حضارتهم ومكتباتهم فيها . ولقد كانت بيزنطة تحتل آنذاك شمال إيطاليا . وأدىٰ الاحتكاك بين الحضارتين إلى تبادل ثقافي مثمر والتقىٰ العلم العربي والعلم اليوناني في مدارس سالرنو واوترانتو ومونت كاسينو ، ذلك إن هذه المدارس كانت أماكن لتدريس الطب بشكل خاص ، وكان المدرسون يشعرون بحاجتهم إلى دماء جديدة ومعارف طبية أرقىٰ من معارفهم فوجدوها في مؤلفات العرب الطبية فلجأوا إليها واستفادوا منها وبعد فترة حلت محل المؤلفات الأخرىٰ .

وبعد أن استرجع النورمانديون صقلية من المسلمين حاولوا الاستفادة من حضارة المسلمين فاتبعوا سياسة التسامح مع جميع الأديان وقربوا إليهم المسلمين واليهود ، فقد عاون روجه الثاني (١١٠١ م) على تأسيس مدرسة الطب في سالرنو، وقيل إن مؤسسيها أربعة لاتيني ويوناني ومسلم ويهودي[2] ، كذلك تقاطر إلى صقلية علماء مسلمون أجلة من أمثال الشريف الإدريسي المتوفى سنة ١١٨٠ م الذي خدم ملك صقلية وألف له كتاباً جغرافياً لم يؤلف في بابه مثله حتى وقته وسماه باسمه الكتاب الرجاري . كذلك تابع

---

(١) نفس المصدر . ص ٤٤٠ .

(٢) عقيقي . المصدر المذكور آنفاً . ج١ ـ ١٠٨ .

بقيـة ملوك صقلية سيـاسة التسـامح هـذه وازدهـر نقـل التـراث الإسـلامي إلى اللاتينية في عهدهم كما فعل فريدريك الثاني وشارل أنجو وغيرهما . وسيكون لنا حديث أوسع شمولاً عن الموضوع فيما بعد . وأما اسبانيا فقد كانت البوابـة الرئيسية التي تدفقت عبرها الثقافة الإسلامية إلى الغرب . والمـلاحظ أن أشهر علمـاء الأنـدلس لم ينبغـوا زمن الأمـويين الـذين استمـر حكمهم من (١٣٩ ـ ٤٢١ هـ) وإنما نبغوا فيما بعد . ولكن التبادل الثقافي ، أو بـالأحرىٰ استمـداد أوربا المعارف الإسلامية عن طريق الأندلس تم من وقت مبكر جداً من تاريخها.

أطلق المسلمـون اسم الأنـدلس على القسم الـذي احتلوه من شبـه الجزيرة الايبرية . وقـد ارتقت الحضارة الإسـلامية في تلك المنـطقة من دنيـا الإسـلام ارتقاءً رائعـاً ونافست الحضـارة الإسلاميـة فيها حضـارة الإسـلام في المشرق ، وبلغ من عظمـة قرطبـة وازدهارهـا وخاصـة إبان العهـد الأموي في الأندلس إنها كانت أعظم مـدينة في أوربـا كلها وتـأتي على قدم المسـاواة مع القسطنطينية وبغداد إبـان عزهمـا . وناهيـك ببلدة بلغ عدد مسـاجدهـا ١٦٠٠ مسجداً وحماماتها ٦٠٠ وفيهـا مائتـا ألف دار وثمانـون ألف قصر ، منهـا قصر دمشق شيده الأمويون حاكوا به قصورهم في بلاد الشام . وقد بلغ عدد أرباض قرطبة (ضواحيها) تسعـة أرباض كـل ربض كالمـدينة الكبيـرة ، ودور قرطبـة ثلاثون ألف ذراع ، وفي ضواحيها ثلاثة الآف قرية في كل واحدة منبـر وفقيه . وقد قدر بعض المؤرخين عـدد سكان قـرطبة في أيـام مجدهـا وعزهـا بمليوني نسمة ، وكان بالربض الشرقي من قرطبة مائـة وسبعون امـرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي[1] . هذا في ضاحية من ضواحيهـا ، فكيف ببقية الضـواحي ، وقـد كانت شـوارعها مبلطة وتـرفع قمـاماتهـا وتنار شـوارعها ليـلاً بالمصـابيح ويستضيء الناس بسروجها ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنهم الضـوء . وهذا شيء لم يحـدث في أوربا إلاَّ في أواخـر القرن السـابع عشـر وأوائـل القـرن الثـامن عشر .وطبعـاً لم تكن قرطبة وحدها بهذا السمو فهنـاك طليطلة التي كـانت لا

(١) كرد علي ، محمد . الإسلام والحضارة العربية . طبعة ثانيـة مزيدة منقحة . القـاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ م . ج ٢ ـ الجزء الأول ، ص ٢٥٦ .

تقل تألقاً وبهاءً عن قرطبة ، وهناك إشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية . . . وإنما ذكرنا قرطبة كنموذج لما كانت عليه بقية المدن الأندلسية ، لذلك لا غرابة إن انتشرت المكتبات والكتب في جميع أنحاء البلاد وكثر عشاقها وكثر التأليف والمؤلفون ، ولا سيما إنه وجد حكام شجعوا العلم وهم أنفسهم كانوا مثلاً عالياً في حب الكتب وجمعها والاهتمام بها كالحكم الثاني وغيره .

ولقد انتشرت الحلقات التعليمية في أغلب جوامع الأندلس وبشكل خاص في المدن الرئيسية كقرطبة وطليطلة وإشبيلية ، ولقد وجد في كل جامع مكتبة غنية بمختلف فروع المعرفة الإنسانية ، فقد كان للحلقات التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها وأهميتها وجذبت إليها الطلاب المسلمين والنصارىٰ على السواء حتى لقد كان يقصدها طلاب نصارىٰ من جميع أنحاء أوربا بما فيها انكلترا واسكوتلندا(١) .

وقد احتفظت طليطلة بمكانتها هذه بعد سقوطها بيد الأسبان سنة ١٠٨٥ م حيث وجد فيها هؤلاء مكتبة غنية عامرة حافلة بالكتب في أحد مساجدها ، وقد بلغت شهرة هذه المكتبة من حيث هي مركز للثقافة أقصىٰ البلاد النصرانية في الشمال(٢) .

والواقع أن الثقافة العربية الإسلامية والتربية والتعليم انتشرت في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين في إسبانيا المسلمة إلى درجة جعلت دوزي المؤرخ المشهور يقول إن أغلب الناس في الأندلس أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة ، بل يمكننا أن نقول إن كل فرد تقريباً كان يعرف القراءة والكتابة . وقد انتقلت الثقافة العربية إلى المستعربين الأسبان وهم الإسبان النصارىٰ الذين أقاموا في البلاد الإسلامية وعاشوا تحت ظل الحكم الإسلامي ، فقد سرت إليهم العادات الإسلامية وتعلموا اللغة العربية وكتبوا

---

(1) Arnold, Thomas (Editor). The Legacy of Islam. Oxford, Clarenden Press, 1931. p. 336.

(٢) بور . ت . ج . دي تاريخ الفلسفة في الإسلام . الطبعة الرابعة . تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧ م . ص ٤١٧ .

بها وألف بعضهم كتباً بها ، بل واقتنوا مكتبات عربية . يبدو ذلك واضحاً من نص يروي عن الكاتب النصراني المتعصب الفارو ، ذلك أن هذا القس المهوس ببغض الإسلام وأهله كتب في القرن التاسع ميلادي يقول : « إن أخواتي المسيحيين يدرسون كتب فقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لتفنيدها ، بل لتعلم أسلوب عربي بليغ . وا أسفاه ، إنني لا أجد اليوم علمانياً يقبل على قراءة الكتب الدينية أو الإنجيل، بل إن الشباب المسيحي الذين يمتازون بمواهبهم الفائقة أصبحوا لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة إلَّا العربية ، ذلك إنهم يقبلون على كتب العرب في نهم وشغف ويجمعون منها مكتبات ضخمة تكلفهم الأموال الطائلة في الوقت الذي يحتقرون الكتب المسيحية وينبذونها . . .»[1].

بل أن كثيراً من رجال الدين في الأندلس تعلموا اللغة العربية وألفوا بها ، فقد نقل يوحنا رئيس أساقفة إشبيلية التوراة من اللاتينية إلى العربية وذلك سنة ٧٦٤ م . كذلك نقل الأب فيسنتي ثمانية أجزاء من قوانين الكنيسة إلى اللسان العربي وأهداها إلى الأسقف عبد الملك في أبيات من الشعر العربي مطلعها .

كتاب لعبد الملك الأسقف الندب جواد نبيل الرفد في الزمن الجدب

وصنف ربيع بن زياد الأسقف كتاباً في تفضيل الأزمان ومصالح الأبدان وآخر بعنوان الأنواء . وألف بدرو الفونسو (١٠٦٢ ـ ١١١٠ م) كتاباً بالعربية عنوانه : تعليم رجال الدين . ثم ترجمه إلى اللاتينية ، ومنها نقل إلى لغات كثيرة وقد طواه على ثلاث وثلاثين قصيدة شرقية اقتبسها من حنين بن اسحق ومباشر [لعل الاسم الصحيح المبشر بن فاتك] وكليلة ودمنة [2]. لذلك إذا رغب الطالب الإسكتلندي أو الانكليزي الاستزادة من أرسطو والتعمق فيه أكثر

---

(١) جرونيباوم ، جوستاف . **حضارة الإسلام** . تعريب عبد العزيز جاويد . القاهرة ، ١٩٦٠ م . ص ٨١ ـ ٨٢.

(٢) عقيقي ، نجيب. المصدر المذكور آنفاً . ج ١ ـ ٩٩.

مما يسنح له في الترجمات اللاتينية الميسورة فلا مندوحة له من الرحيل إلى طليطلة ليتعلم هناك كيف يقرأ كتب اليونان باللغة العربية[1] . وقد تحدث هيستر باش Ceasar of Heister Bach عن شباب قصدوا توليدو [الصواب طليطلة] ليتعلموا الفلك[2] لذلك لا غرابة إن لعبت الأندلس الدور الرئيسي في نقل معارف المسلمين العقلية وكتبهم إلى أوربا ولا سيما أن تذكرنا أنه كان هناك فئة أخرىٰ من السكان المقيمين تحت الحكم الإسلامي هم اليهود والذين تمتعوا بالحرية الدينية المطلقة تحت حكم الإسلام وتعلموا اللغة العربية وألفوا بها إلى جانب اتقانهم اللغة اللاتينية والعبرانية ، ولقد أصبح هؤلاء اليهود إلى جانب المستعربين وعدد من اللاتينيين الوسطاء في عملية النقل هذه .

ويقودنا ما ذكرناه سابقاً إلى الكلام على الاستشراق ، ذلك إن الاستشراق، لغوياً، يعني الاتجاه إلى الشرق . والاستشراق لفظ اصطلاحي اطلق على عملية نقل التراث الشرقي إلى الغرب وعلى عملية درس لغاته وتحقيق نصوصه والحفاظ على تراثه ، وبكلمة أوضح هو عملية أوجدت من أجل فهم أفضل للشرق بكل ما يحويه من أفكار ومثل وعادات وعلوم ، وبالتالي تساعد هذه العملية في حكم الشرق واستغلاله وإخضاعه للغرب .

وهناك تعريفات كثيرة للاستشراق ودواعي كثيرة أيضاً لها . وقد مر الاستشراق في مراحل متعددة وتطور مع تطور معارف الغرب وقوته وزيادة سيطرته على الشرق . وهناك من يقصر الاستشراق على فترة معينة هي العصور الحديثة ، وهناك من يجعلها موغلة في القدم ومستمرة حتى الآن .

ونحن لا يهمنا هنا الاستشراق إلاّ بمقدار ما قام به من نقل للكتب العربية إلى الغرب وترجمتها والاستفادة منها ، ومن ثم نشرها وتحقيقها

---

(1) Arnold, Thomas (Editor). The Legacy of Islam. Oxford, Clarenden Press, 1931. p. 56.

(٢) خدابخش، صلاح الدين . حضارة الإسلام ، تعريب علي حسني الخربوطلي . بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧١ م.ص ١٥٠.

وتأسيس المؤسسات التعليمية والتربوية التي تساعد في هذه الغاية .

هـذا وإن الكنيسـة الكـاثـوليكيـة كـانت من أول المهتمين بـالاستشـراق وامره ، فقد كانت الغالبية العظمىٰ من أوائل النقلة للعلم العربي إلى اللاتينية من رجال الدين ، إن لم يكن كلهم ، ثم بعد ذلك أخذت الكنيسة الكاثوليكية على عـاتقها قضيـة تنظيم الاستشـراق وإيجاد المؤسسـات اللازمـة له . يقـول لويس شيخو « والكنيسة الكاثوليكية كانت أعظم ساعية في إدراك هذه الغاية[1] (غاية نقل العلوم الشرقية إلى الغرب)» ويمكننـا اعتبار تـاريخ سنـة ١٣١١ م البدء الرسمي لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية على الاستشراق وحصـرها الاهتمـام به في نفسها ، ففي تلك السنة قرر مجمع فينا الكنسي برئاسـة البابـا اقليمنس الخـامس (١٣٠٥ ـ ١٣١٤ م) أن يؤسس دروساً عـربية وعبـرية وسـريانيـة في رومة على نفقة الحبـر الأعظم ، وفي بـاريس على نفقة ملك فـرنسا ، أمـا في اكسفورد وبولون وسلمنكة فعلىٰ نفقة الرهبـان[2]»

هـذا وتقسم عهود الاستشـراق إلى قسمين متميزين القسم الأول ويمتـد حتى مطالع عهود النهضة (القرن السادس عشر) والقسم الثاني الذي يبدأ من تلك الفترة ولا يزال مستمراً حتى الوقت الحاضر .

ففي بـداية العهـد الأول قـام بـالعمـل علمـاء وبحـاثـة أوربيـون ويهـود ومسلمون بقصد نقل روائع العلم العربي الى اللاتينيـة . ذلك إن القـوم آنذاك كانوا عارفين معرفة تامة بقصورهم وعجـزهم وتفوق المسلمين عليهم في هـذه النواحي العقلية ، ولا سيمـا العلمية منهـا والعملية كـالطب والهنـدسة والفلك والرياضيات والكيمياء وما ماثل ، فأرادوا الاستفادة من هذه المعارف بنقلها من العربية إلى اللاتينية، ثم بعد فترة أتت الكنيسـة الكاثـوليكية وألقت بثقلهـا في

---

(١) شيخـو ، لويس . الأداب العـربية في القـرن التاسـع عشر . الـطبعة الثـانيـة ، مـطبعـة الأبـاء اليسوعيين ، ١٩٢٦ م . الجـزء الأول ، ص ١١ .

(٢) طـرازي ، فيليب دي . خـزائن الكتب العـربيـة في الخـافقين . بيـروت ، دار الكتب . ج٢ ـ ٥٧٧ .

الموضوع ووجهت العمل إلى مناحٍ أخرىٰ ، إلى جانب الهدف العلمي ، أغلبها تبشيري من أجل الدعاية للمذهب الكاثوليكي وهداية المسلمين واليهود إلى المسيحية ، ومن أجل الاتصال بنصارىٰ المشرق لإقامة الجسور بين الطرفين ولهداية هؤلاء المسيحيين الشرقيين إلى الكاثوليكية .

ومع بداية النهضة فقد الشرق زمام المبادرة وأصبح ممزقاً غارقاً في الجهل ولم يعد عنده ما يقدمه للآخرين ، وفي نفس الوقت بدأت العلوم والآداب تتقدم وتترقى وتزدهر في أوربا بعد أن نقل إليها أفضل ما في الكتب العربية من معارف ، وبدأت أوربا تتطلع إلى الشرق لاستثمار خيراته والسيطرة عليه ، لذلك نجد تحولاً جذرياً في اتجاه الاستشراق ، فقد بدأ يخرج عن سيطرة الكنيسة ويخضع لسلطان الحكومات وبدأت الدول الكبرىٰ تسخره لأهدافها في السيطرة والاستعمار والتنصير وما ماثل ، وزادت هذه الدوافع شدة ووضوحاً مع مضي الزمن ، وهذا هو بداية الاستشراق الحديث الذي تحالف مع الاستعمار ومع الكنيسة من أجل إخضاع الشرق كلياً لسيطرة الغرب .

هذا وسيكون لنا كلام أوفى عن الاستشراق الحديث فيما يلي من صفحات .

ولقد وردت كلمة مستشرق أول ما وردت سنة ١٦٨٣ م إذ أنها اطلقت على أحد رجال الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، ذلك إن هذا الاصطلاح حديث . وفي سنة ١٦٩١ م وصف أنتوني وود صمويل كلارك أنه « استشراقي نابه » يعني بذلك أنه يعرف بعض لغات الشرق . وتحدث لورد بايرون في تعليقاته على Child Harold's Pilgrimage عن المستر ثورنتون والماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق[١] . أما قاموس اكسفورد الجديد فيحدد المستشرق Orientalist بأنه « من تبحر في لغات الشرق وأدابه »[٢] .

---

(١) سيمايلوفيتش ، أحمد . فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ م . ص ٢٢ .

(٢) أربري ، أ . ج . المستشرقون البريطانيون . تأليف أ.ج. أربري تعريب محمد الدسوقي النويهي . لندن ، وليام كولينز ، ١٩٤٦ م . ص ٨ .

إن بدايات مدرسة الطب في العصور الوسطى في سالرنو كانت متأثرة بمؤثرات بيزنطية ، ولكنها ما لبثت أن تأثرت خلال القرن العاشر فما بعده بالطب العربي الذي نقله إليها يهودي من إيطاليا الجنوبية اسمه شاباثيا بن أبراهام بن جول Shabbethai Ibn Abraham Ibn Joel . أخذ المسلمون شاباثيا أسيراً سنة ٩٢٥ م ونقلوه إلى بالمرو حيث تعلم العربية ودرس جميع علوم الإغريق والعرب والبابليين والهنود . ولما كان شمال إيطاليا أنذاك تحت السيطرة البيزنطية ، وكان المسلمون يحتلون صقلية فقد التقىٰ في ذلك القرن في مدارس سالرنو وأوترانتو ومونت كاسينو العلم العربي مع العلم اليوناني .

هذا وكان كثير من الرهبان يوفدون إلى اسبانيا للتعلم هناك ، ويبدو أنهم لم يكونوا يعودون خاويي الوفاض أو بمجرد الأفكار الجديدة التي كانت تملأ رؤوسهم وتسيطر على أفكارهم ، وإنما كانوا يعودون ومعهم مخطوطات علمية اما بلغتها العربية ، أو بعد ترجمتها إلى اللاتينية[١] ولعل قضية جون من رهبان دير غورتز Gorze في ألمانيا تقدم دليلاً وشاهداً على ما نقول . فقد أحضر هذا الراهب سنة ٩٥٠ م إلى ديره في المانيا من كلابريا قسماً من كتاب أرسطو Categorie وكتاب الأيساغوجي لفرفوريوس وإن هذا الراهب كان أول أداة انتقل عن طريقها العلم العربي إلى منطقة شمالي الألب ، وأقدم من نشر هذا العلم في أوربا[٢] . ففي سنة ٩٥٣ م أرسل الأمبراطور الألماني أوتو الكبير هذا الراهب سفيراً إلى بلاط الخليفة الأندلسي العظيم عبد الرحمن الناصر . ويرىٰ بعضهم أن هذا الاختيار كان بسبب معرفة هذا الراهب بشؤون البلاد التي يحتلها العرب إذ أنه قام سابقاً بزيارة مماثلة إلى جنوبي ايطاليا . ولقد أقام هذا الراهب ، كسفير لدىٰ الخليفة مدة ثلاث سنوات ، وقد عاشر أثناء إقامته في قرطبة رجلين من المتضلعين باللغتين العربية واللاتينية أحدهما اليهودي حسداي Hasdau والثاني الأسقف ريسامانـدوس Recemendus والأول كان دليله والثاني مترجم للمفاوضات مع الحكومة الإسلامية . وغالب الظن

---

(١) مظهر ، جلال . **أثر العرب في الحضارة الأوربية** . بيروت، دارالرائد،١٩٦٧ م . ص ١٦٢ .

(2) Thompson, J.W. **The Medieval Library**. N.Y. Hafner Fubl. Comp. 1967. p. 363.

أنـه تعلم العربيـة هناك . وقـد تأثـر جون غـورتز أثنـاء إقامتـه بقـرطبـة أيضـاً بالفيلسوف اليهودي ابن شبروط . وعنـدما رجـع إلى ألمانيـا أحضر معـه حمل فرس كتباً عـربية . ونحن ، وإن كنـا لا نعلم على وجه اليقين محتـويات هـذه الكتب ، إلاَّ أن هنـاك دلائل تشيـر إلى أن بعض هذه الكتب كـان ولابـد كتبـاً طبية وعلمية وفلكية ورياضيـات ، لأننا نعلم أن جـون هذا كـان مهتماً بـالفلك والـرياضيـات ، ولأنه وجـد في القرن التـالي ازدياد ملحـوظ بالاهتمـام بالعلم وبشكل خاص بالرياضيات ، وذلك في مدارس منطقة الرين وبلاد الفلاندرز . كذلك هناك دلائل تشيـر إلى بعض الإزدهار العلمي والاهتمـام بالعلم العـربي في المـدارس الفلمنكية . ذلـك إنه عنـدمـا احتـل الملك الـدانمـركي كنـوت انكلتـرا (١٠٠٠ - ١٠٣٥ م) أطرح الأسـاقفة الانكلوسـاكون الـوطنيين وأحـل محلهم أساقفة من بلاد الفلمنك (الأراضي الواطئة)، عند خمسة منهم بعض المعرفة بالعلم العربي ، وأهم هؤلاء الخمسـة روبرت من لوزينيـا Robert de Losinga أسقف Hereford.

ولقد كان الـراهب الفرنسي جيبـرت من نوجـانت Guibert de Nogent من أوائـل المؤلفين الـذين نـوهـوا بفضـل العـرب على علم الفلك والهيئـة . وتوفي جيبرت هذا سنة ١١٢٤م. أما أعظم اسم كان الواسطة في تلاقي الفكر العربي الإسلامي والفكر اللاتيني في أوربـا الغربيـة فهو اسم جيـربير دوريـاك Gerbert d'Aurillac الذي أصبح فيما بعد بابا باسم سلفستر الثـاني Silvestre II . ولد هذا الراهب في أوفيـرني سنـة ٩٣٨ م . وقد كـان ذكياً وطلعـة وكان فرنسي الجنسية ، ولم تكن تقنعـه المعلومات المتـداولة في عصـره فقد تـوجه هذا الراهب إلى قرطبة « طلباً للحكمة » . ومن المؤكد أنه زار إسبـانيا وأمضىٰ فيهـا ثـلاث سنـوات من ٩٦٧ إلى ٩٧٠ م بجـوار أسقف فتش Vich ولكن السؤال الذي يعرض ما عساه أن يستفيد من ملازمة أسقف قطلونيـا خلال هـذه السنـوات ؟ لم يكن في قـطلونيـا آنـذاك من العلم مـا يستغـرق من زمن هـــذا الراهب هذه السنوات الثلاث ، ولذا يجمع الباحثون على أنه رحل من قطلونيا إلى حيث العلم والثقافة والحضارة في ذلك الحين وتعني بذلك قرطبة الـزاهرة

التي كانت آنذاك أرقىٰ مدينة في العالم وفيها أعظم الجامعات ، فكان لهذه الرحلة أثرها البالغ في اهتمام جيربر بالعلم العربي ، وقد اتقن جيربر اللغة العربية وبرع بعلوم الطبيعة والفلك والرياضيات . ويقول الاستاذ جلال مظهر انه تكلم العربية بفصاحة أحد أبنائها[١]. ويقول مان « إنه كان يستخدم كتباً مترجمة من العربية وإنه استخدم الأرقام العربية التي لم يكن ليتسنىٰ له أن يتعلمها إلاّ من المصادر العربية . ولقد طلب من المدعو لوبيتو البرشلوني Lupito of Barcelona أن يترجم له كتاباً في التنجيم (الفلك) وأنه عرض عليه أي شيء يملك في مقابل ذلك . والمفروض أن الترجمة كانت من العربية»[٢]. هذا وإن جيربر هذا أمر ، عندما أصبح بابا ، بإنشاء مدرستين عربيتين: الأولى في روما والثانية في ريمس وطنه فرنسا ، وهو أول فرنسي يصبح بابا . كما أنه عندما كان اسقفاً في ريمس قبل أن يصبح بابا بدأ يدرس العلم العربي هناك وتزايد عدد طلابه يوماً بعد يوم . وهو الذي وصف حروف الغبار وصفاً علمياً وبث الأعداد العربية في أوربا وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية كالزيج المنصوري (سنة ١٠٠٠ م) وله دراسة عن كتاب أقليدس بالعربية (محفوظات كنيسة وستر بانكلترا)[٣].

كذلك توجد تأثيرات عربية علمية يمكن تقصيها هنا وهناك في أجزاء كثيرة من أوربا اللاتينية في أوائل القرن الحادي عشر ، فقد وجد نسخة لاتينية من حكم أبقراط كانت تستخدم في التدريس في شارتر في فرنسا سنة ٩٩١ م . لذا صح الافتراض أنه وجد نفوذ عربي ثقافي مبكر لسبب بسيط هو أن مثل هذه الترجمة لابد وأنها عن أصل عربي ، لأن الغرب اللاتيني كان يجهل آنذاك كل الجهل أي شيء عن الأصول اليونانية لأعمال المؤلفين اليونانيين الكلاسيكيين وظل على جهله بها عدة قرون بعد ذلك[١].

---

(١) مظهر ، جلال . مآثر العرب على الحضارة الأوربية . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ م . ص ٧٣.

(٢) مظهر ، جلال . المصدر المذكور آنفاً . ص ١٦٤.

(٣) نفس المصدر . ص ١٦٩.

كـذلك هنـاك مثال آخـر يوحي بمثـل هذا الافتـراض ، هذا المثـال هـو هرمان الكسيح وظروفه Hermann the Cripple (١٠١٣ ـ ١٠٥٤ م) ذلك أن هذا الرجـل السويسـري ألف كتباً في الـرياضيـات والتنجيم يتضح فيهـا غايـة الاتضاح التأثيرات العربية . ذلك أن هـرمان كمـا يتضح من لقبـه كان كسيحـاً وليس ثمـة دليل على أنـه زار اسبانيـا أو صقلية ، وإذن فـإنه لابـد حصل على بعض تـرجمات مبكـرة لمؤلفات عـربية كتلك التي وجـدت في شارتـر أو تلك التي ترجمت لجيربر .

ومن ناحية أخرىٰ فقد وجدت تأثيـرات عربيـة علمية طـريقها من صقليـة وجنوبي إيطاليا إلى أوربا في ذلك الوقت المبكر ، ويبدو ذلك واضحاً في حالة جـاريـوبـونتس Gariopontus (ت ١٠٥٠ م) إذ أنـه أول من عـرف الغـرب الـلاتيني باسفنجـة التخديـر العربيـة . وهذه المعلومـات حصل عليهـا إما من مخطوط عربي مترجم ، أو من أحد المعلمين أو الأطباء المسلمين الذين كانوا أنذاك منتشرين في صقلية وجنوبي إيطاليا[١] .

هذا ويمكن القول أن علم الطب قد ولـد وتأسس في أوربـا تحت تأثيـر نفوذ الطب الإسلامي . ذلك إنـه كان يـوجد في سـاليرنـو في إيطاليـا مدرسـة اسقفية تدرس فيها العلوم الطبيـة ، ولكن تلك العلوم لم تكن تمت إلى العلم اليـوناني بصلة وإنمـا كانت أقـرب إلى الدجـل والشعوذة . ولقـد تأثـرت هـذه المـدرسة بـالمعلمين المسلمين الذين بـدؤوا بزيـارة وسكنى صقليـة وجنـوبي إيطاليا وبدأت تنتشر معارفهم وعلومهم فيها . ولقـد أثرت تـرجمات قسـطنطين الافريقي تأثيراً كبيراً في تطور الطب في القرون الوسـطىٰ في أوربا وفي تـطور مدرسة سالرنو .

ولـد قسطنـطين الافريقي في قرطـاجنة ورحـل إلى عـدد كبير من بـلاد الإسلام ، ثم تاحت له فرصة أثناء رحلة له إلى سالرنو ، لـزيارة أميـر المنطقـة هناك جيزولفو وأخيه الذي كان من الأطباء. ولا أحد يـدري كيف اكتشف هذا

---

(٢) نفس المصدر . ص ١٦٩ .

الرحالة الافريقي الذي لا يعرف التاريخ اسمه العربي إنه موهوب بالطب . ولكن الذي حدث إنه بعد عودته إلى وطنه أقبل على دراسة الطب لفترة طويلة وجمع كتباً عربية كثيرة طبية ، فلما اعتقد أنه تضلع في فن الطب وجمع ما فيه الكفاية من الكتب الطبية ، أبحر بشحنته الثمينة من المخطوطات العربية إلى إيطاليا . ويبدو أن عاصفة داهمته أثناء إبحاره فلحقته خسارة كبرىٰ في المخطوطات حتى أن بعض الأعمال المهمة ككتاب الملكي لعلي بن العباس فقد الجزء الرابع منه . فلما وصل إلى سالرنو مع ما تبقى من كنوزه الطبية أرتد إلى المسيحية ، ثم صار راهباً وتسمىٰ باسم قسطنطين ، ثم لجأ بعد ذلك إلى دير مونت كاسينو وهناك اعتكف تماماً وتفرغ للنقل من الكتب العربية التي سلمت بحوزته إلى اللاتينية ، مكملاً الثغرات التي سببها الغرق من معلوماته وخياله . والذي لا شك فيه هو أن عمل قسطنطين وترجماته كانت خميرة لمدرسة سالرنو التي اتجهت فجأة إلى الطب العربي ، ثم أخذت بعد ذلك وجهة جديدة كان من الضروري أن تحصل بسببها على شهرة أكثر بهاء ولمعاناً من ذي قبل ، كما دفعت جميع مدارس الطب الأخرىٰ في أوربا إلى التجديد[1] . وقد توفي قسطنطين سنة ١٠٨٧ م .

إن تراجم قسطنطين الأفريقي اللاتينية ضعيفة كثيرة الاضطراب مشحونة بالركاكة ، ملأى بتحريف المصطلحات العلمية العربية ، وبعض أجزائها غير مفهوم ، وهذا شيء لا يستغرب ، فلم يكن قسطنطين عالماً ولا طبيباً ولا أديباً ولا لغوياً متضلعاً باللغتين العربية واللاتينية . ذلك إن ترجماته مثال صادق على اللغة اللاتينية البربرية التي كانت سائدة في القرون الوسطىٰ . ولكنها كانت صاحبة الفضل في غرس أول بذرة من بذور العلوم اليونانية في تربة أوربا القرون الوسطى . كان قسطنطين لصاً وقحاً معدوم الحياء نسب لنفسه كثيراً من الكتب العربية التي ترجمها إلى اللاتينية[2] . ويرى الدوميلي أن كتب قسطنطين ليست في حقيقة الأمر ترجمة حقيقية للأصل العربي ، بل هي

---

(١) الدوميلي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

(٢) آرنولد ، توماس . المصدر المذكور آنفاً . ص ٤٩٥ .

تفسيرات قريبة جداً من النص الأصلي للكتب العربية التي تم الكشف عليها . لذا يمكن القول أنه لم تعمل ترجمة حقيقية علمية لكتاب الملكي المسمى باللاتينية Pategni الا بعد ذلك على يد ستيفان الانطاكي[1] ويبدو أن قسطنطين الأفريقي الذي كان لا يجيد اللاتينية بسهولة استخدم عمل تلميذه Atto للوثوق من تصحيح ترجماته من وجهة النظر العلمية . وقد ظل العلماء يفترضون أن من كتب قسطنطين ما هو أصيل ، وليس ذلك بصحيح ، ولكن مما ساعد على هذا الرأي بلا ريب ، أنه يقدم كثيراً من كتبه دون التصريح بأية ترجمة ، والكشف عن الأصول العربية وحده هو الذي سمح بالوقوف على هذه الحقيقة .

وقد بلغ عدد ما ترجمه قسطنطين وانتحله لنفسه ٥٤ مصنفاً جمعت ونشرت في ليون وسويسرا سنة ١٥١٥ م وسنة ١٥٢٦ م .

وقد ترجم كتباً لمؤلفين عرب من القيروان اثنان منهما يهوديان هما اسحاق بن عمران واسحاق الإسرائيلي والثالث مسلم لأحمد بن الجزار ، كما ترجم لغيرهم آخرين من الشرق ، ونقل أيضاً كتباً يونانية منقولة إلى العربية .

ترجم قسطنطين كتاب علي بن العباس (المتوفي ٩٩٤ م) ، وهو طبيب شهير عرفه الغرب باسم Hally Abbas ، والكتاب أساسي في علم الطب عنوانه العربي كامل الصناعة في الطب وترجم إلى اللاتينية باسم الكتاب الملكي Liver Regalis. ولعل هذا الكتاب أول كتاب طب عربي ينقل إلى الغرب. ولم تكن الترجمة كاملة إذ أن الجزء الرابع منها فقد، ولكن المهم في الأمر هو أن قسطنطين نسب الكتاب إلى نفسه . وقد أثرت هذه الترجمة على سوئها تأثيراً كبيراً على دراسة الطب في العالم اللاتيني . ولقد قيض لهذا الكتاب من نقله إلى اللاتينية بأمانة وكاملاً ، ذلك أن ايتيان الأنطاكي Etienne ، ويسمىٰ أيضاً استيفانوس (اصطفان الأنطاكي) نقله كله نقلاً جديداً عام ١١٢٧ م وهاجم بعنف قسطنطين لسوء ترجمته وادعائه الكتاب لنفسه

(١) الدوميلي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٤٣٢ .

كذلك نقل قسطنطين كتاب زاد المسافر لابن الجزار (توفي ١٠٠٩ م) إلى اللاتينية تحت عنوان Viaticum Peregrinantis ، ولكنه نسبه إلى نفسه وقد اكتشف ذلك شخص اسمه ديمتريوس Demetrius . ويعتبر كتاب زاد المسافر من الكتب الطبية الهامة التي أشاعت الطب العربي بين أطباء أوربا اللاتين في القرون الوسطىٰ ، وسبب شهرته أنه استوعب شروحاً للأمراض الباطنية . كذلك اكتشف ديمتريوس المذكور آنفاً ، وهو مترجم وجد في صقلية ، إن كتاب قسطنطين عن البصريات المسمىٰ باسم كتاب قسطنطين في أمراض العين De Oculis إن هو الا كتاب ألفه حنين بن اسحق العبادي المترجم المشهور باسم « عشر مقالات في العين » . ورأى ديمتريوس في كتب قسطنطين عن علم الحمية والبول والحميات ترجمات بشيء من التصرف لمخطوطات اسحاق الإسرائيلي . أما جراحة قسطنطين فهي في الواقع من صنع هالي أو علي بن عباس ، وكيمياؤه من الرازي . لقد سحق كل اسم عربي في كل المخطوطات ونسبها إلى نفسه خوفاً من أن يقطف ثمار عمله سارق آخر غريب على حد قوله[1] .

وقد ترجم قسطنطين كتاباً للرازي في الكيمياء سماه كتاب التجارب Li- ber experi Mentarum ونحله كنفسه .

كذلك ترجم عن ترجمة حبيش كتاب أبقراط المسمى أفوريزما Aphorisma أو تقدم المعرفة مع شرح جالينوس عليه . كذلك كتاب الحمية الفعالة Diata Acutarum وكتاب التشخيص مع كثير من كتب جالينوس التي كانت موجودة في ترجمات عربية مع شروح أبقراط عليها مثل ـ Progno Sticon ومثل Mikrotechne و Megatechme .

وقد تتلمذ على يدي قسطنطين عدد كبير من التلاميذ منهم آتو الذي مر

(١) هونكه ، زيغريد . شمس العرب تسطع على الغرب . تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي . بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٩ م . ص ٢٩٧ .

ذكره آنفاً Atto ، ومنهم يوحنا أفلاشيوس Joannes Afflacius ، وروستيشوس من بيزا Rusticus .

وقد تعاصر مع قسطنطين الأفريقي مترجم يهودي عاش في القسطنطينة حتى حدود ١٠٩٠ م ترجم عدداً من الأعمال العربية إلى اليونانية أشهرها كتاب كليلة ودمنة ، ولعله اعتمد على ترجمة عربية أفضل من الموجودة بين أيدينا الآن[١] . هناك لا أقل من أربعة نصوص يونانية لهذا الكتاب . وهناك نصوص سلافية مأخوذة عن نص اغريقي مفقود ، وهذا يعطينا فكرة عن الشعبية التي تمتع بها هذا الكتاب . وقد قام فيتوريا بونتوني Vittorio Puntoni بتحقيق كتاب كليلة ودمنة استناداً إلى النصوص اليونانية الأربعة وأصدره ضمن منشورات الجمعية الإيطالية الشرقية سنة ١٨٨٩م في فلورانسا (Publ. D. Socièta Asiatica Italiana. Florance, 1889)

هذا المترجم هو المسمى بإسم سيمون سيت Symeon Seth . وقد كان له نشاط طبي في حقل نقل الكتب الطبية العربية إلى اليونانية، وتحوى كتاباته معلومات وفيرة عن الطب العربي، وبشكل غير مباشر عن الطب الهندي . ومن المهم أن نلاحظ النشاط المتوازي لكل من قسطنطين الافريقي وسيمون سيت إذ أن الطب العربي نفذ عن طريقهما إلى أوربا وحكمها وطوقها بحركة دائرية[٢] .

ويجدر بنا قبل أن نبدأ بحث اديلار من باث وزملائه الانكليز أن نلمع الماعة خفيفة بذكر ناقل عاش في اسبانيا تحت اشراف ميشيل أسقف طرزونة [وتسمى بالعربية طركونة] الواقعة في الشمال الغربي من سرقسطة في الفترة الواقعة بين سنتي ١١٠٧ و ١١١٩ م هو أوجو دي سانتالا Ugo di Santalla ، وقد نقل عن العربية شرحاً صنفه البيروني على الفرغاني ورسائل في الصنعة عنوان احداهن اللاتيني Talwlo Smaragda ورسائل في علم الرمل .

(1) Sartun, George. Introduction to the history of science. N.Y. Robert E. Comp. Kruger publ. Untington, 1975. Vol- 771.

(2) Ibid. Vol 1- 742.

اديلار من باث وزملاؤه Adelard of Bath . (١٠٧٠ - ١١٣٥) كان أديلارد ابن عم ملك انكلترا هنري، وكان رائداً في حقل الترجمة من العربية إلى اللاتينية. وقد ارتحل إلى الشرق وتعلم العربية ، ويقال أنه أحضر معه من الشرق كتاب اقليدس المعروف بالعناصر أو الأصول في خمسة عشر جزءً ، وكذلك اطلع على كتب العرب الفلكية والرياضية . ذلك أنه من صغره انخرط في سلك الرهبانية البندكية وطلب العلم في الأندلس وصقلية ومصر وانطاكية واليونان وحوى معارف وعلوماً في موضوعات الطبيعة والفلك والرياضيات، واشتهر كمؤلف وكمترجم وبتفضيله مذهب العرب والمسلمين العلمي على مذهب الفرنجة. وقد أمضى أديلارد حياة متنقلة وزار طليطلة وصقلية وايطاليا واستقر بعض الوقت هنا وهناك. هذا وتبدو في ترجمات ومؤلفات أديلارد انعكاسات التفكير العربي واضحة كل الوضوح. فقد صنف كتابه : في مسائل الطبيعة Qustions Naturalia بعد عودته من الشرق حيث بقي في الشرق خمس سنوات ١١١٣ - ١١١٦ م، ويظهر في هذا الكتاب التأثير العربي واضحاً كل الوضوح . كذلك ألف مختصراً في العلوم العربية.

إن أهمية أديلارد ترجع إلى ترجماته من العربية التي ربما بدأها أثناء إقامته إلى الشرق واستمرت بعد ذلك . فهو الذي عرف أوربا لأول مرة على علم الحساب العربي والأرقام العربية والجداول الفلكية وعلم المثلثات.

ذلك إن العالم الرياضي الشهير الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن موسى ألف عدداً مهماً جداً من الكتب في الحساب والهندسة والفلك والجبر، وقد نقل أديلارد عدداً مهماً منها إلى اللاتينية. فقد نقل كتاباً تعليمياً في الحساب للخوارزمي فقد أصله العربي وبقيت ترجمته اللاتينية ، وقد شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام الهندية ، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة والضرب وحساب الكسور . وقد حمل هذا الكتاب إلى المانيا وترجع أقدم نسخة منه إلى سنة ١١٤٣ م وهي مكتوبة بخط اليد وموجودة في مكتبة البلاط في فينا[١].

(١) هونكه . المصدر المذكور آنفاً . ص ٧٥.

كذلك نقل للخوارزمي كتاباً آخر في الحساب تحت عنوان :

Liber alghoarismi de practica arismetrice.

وهذا الكتاب ليس كتاب الخوارزمي عن الحساب ، وإنما هي ترجمة لنسخة مصلحة معدلة لنفس العمل قام بها مؤلف مسلم آخر . إنها رسالة لوغارتيمية صرف مشتقة من مصادر هندية ولقد كان ذلك أول إدخال لهذا العلم إلى أوربا وتطور العلم وأصبح هناك جداول لوغارتمية وهي في الحقيقة جداول الخوارزمي العالم المسلم العظيم، وكان من الواجب إطلاق اسمه عليها إذ أن كلمة لوغاريتم تشويه لكلمة خوارزم ، والأنسب تسميتها بالخوارزميات أو الجداول الخوارزمية .

وقد وضع الخوارزمي زيجاً وسماه السند هند وعرف بأوربا باسم ـ Tab-las Astronomicas وقد أصلحه مسلمة المجريطي المتوفى أواخر القرن العاشر الميلادي . وقد نقل هذه الجداول الفلكية في حدود سنة ١١٢٦ م أديلارد. وهذه الترجمة مهمة كل الأهمية لأن ذلك أدى إلى إدخال علم المثلثات إلى أوربا لأول مرة وبشكل خاص وظائف الجيب والمماس .

وأخيراً فقد نقل إلى اللاتينية كتب أقليدس الخمسة عشر ، وكان ذلك أول تعريف لأوربا بموضوع مهم كل الأهمية فقد نصه الأصلي وحفظ النص العربي . وهكذا يقف اديلارد وحده في مواجهة فريق من المترجمين[1] الذين كانوا يعملون في اسبانيا .

وممن يستحق الذكر من التراجمة الانكليز آنذاك دانييل مورفي ، فقد ترك انكلترا حوالي سنة ١١٧٠ م وذهب للدراسة في باريس ، ولكنه لم يلبث أن تابع سفره إلى طليطلة حيث عمل مساعداً لجرار الكريموني ، وقد عاد إلى انكلترا حاملاً معه مخطوطات ثمينة .

أما روجير من هيرفورد Hereford فقد اشترك في أعمال كثيرة من أهمها إصدار جداول فلكية سنة ١١٧٨ م.

مركز النقل في طليطلة:

نحن نعلم أن طليطلة سقطت بيد الاسبان النصارىٰ سنة ١٠٨٥ م ، وكانت من أعظم مراكز الثقافة الإسلامية في الغرب ، وعلى الرغم من أنها أصبحت آنذاك مسيحية إلاَّ أنها لبثت قرابة أربعة قرون مسلمة (٧١٢ ـ ١٠٨٥ م)، وكانت شهيرة بجامعاتها ومساجدها وحلقات العلم بها ومكتباتها الفخمة الغنية بالمخطوطات العلمية ، ولا سيما وقد انتقل إليها ألوف المخطوطات من الشرق الإسلامي . ولم يدمر الغزاة هذه الثروة الثقافية ، وإنما قرروا الاستفادة منها من أجل الرقي بالعلم الغربي ، وربما كان ذلك بسبب من نصيحة اليهود المقيمين فيها والمستعربين . وكان يعيش فيها آنذاك أربع طوائف كبرىٰ : هم النصارىٰ الأسبان الغزاة ، والنصارىٰ المستعربون الذين كانوا يتقنون العربية بسبب عيشهم تحت الحكم الإسلامي المتسامح ، واليهود الذين كانوا يتقنون العربية إلى جانب العبرية ، والمسلمون الذين رضوا أن يعيشوا تحت الحكم المسيحي في طليطلة وهؤلاء يسمون المدجنين . ولقد تولت الطائفة اليهودية التوسط بين الطوائف الأخرىٰ ، سواء في التجارة أم في نقل العلوم . وشجع على قيام حركة نقل الكتب العربية اللاتينية عدد من الحكام أشهرهم اثنان الأول اسقف طليطلة ريموندو Raimundo ١١٢٦ ـ ١١٥٢ م ، والثاني الفونسو العالم المتوفي سنة ١٢٨٤ م . ولقد اعتاد المؤرخون أن يتحدثوا عن « مدرسة النقلة » في طليطلة ؛ ولكن ، يبدو لنا ، أنه ليس المقصود بذلك وجود مدرسة بالمعنىٰ المادي للكلمة ، أي هيئة وبناءٌ يضمها وتتولى الإشراف على الترجمة ، كما كان الحال في مؤسسة بيت الحكمة التي أوجدها الرشيد في بغداد للنقل والملازمة ، وطورها ونماها وتعهدها ابنه المأمون وجمع فيها النقلة من اليونانية والسريانية والفارسية ، لينقلوا إلى العربية ، بل كان هناك جماعة حرة من المترجمين تعمل في طليطلة في نفس المكتبات ونفس الطريقة وفي ميدان واحد هو العلوم العربية .

وعلى الرغم من أن طليطلة كان لها مكان الصدارة في عملية نقل العلم

العربي ـ اليوناني إلى اللاتينية ، إلَّا أنها لم تكن الـوحيدة في هـذا المضمار ، فقد وجد تراجمة في برشلونة وبنبلونة وشقوبية، وفي جنوبي فـرنسا في بيـزيه Béziers وناربونة وطلوزة .

وكان يشترك مع التراجمة الأساسيين زملاء لهم يسمـون الأدلة أو الـوسطاء Dragoman وعلىٰ الغالب كان هؤلاء الأدلة أو الوسـطاء يترجمـون من العربيـة إلى القشتالية ، ثم يأتي التراجمـة الرئيسيـون فينقلون ما تـرجمه السـابقون من القشتـالية إلى الـلاتينية . وهكـذا سلك التراجمـة هذا المسلك بشكـل عام ، بطريقة الازدواج . وإن من الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل ، أن نقدر جهد كل طرف من الطرفين المشتركين في الترجمة .

وبصرف النظر عما ذكرناه سابقـاً ، فقد كـانت الطريقـة المتبعة في هـذه المدرسة ، وفي القرون الوسـطىٰ ، هي أن يُستخدم المتـرجمون المسـاعدون في الترجمة فيضعون الكلمات الـلاتينية فـوق الكلمات العـربية المـوجودة في الأصل ، ثم يأتي التراجمة الرئيسيون فيـراجعون الكلمـات اللاتينيـة ، وتحمل الترجمة بعد الانتهاء منهـا اسم المراجـع الذي هـو المترجم الـرئيسي . كانت هذه الطريقة آلية للغـاية ، ولم يكن يقـام كبير وزن للمتـرجم المساعـد . ولم تكن مهمة المراجع أكثر من التأكد من أن الجمل اللاتينيـة كانت صحيحـة من الناحية اللغوية النحوية ، أما تركيب الجملة فكان لا يزال عربي الطابع . وكان من اشق الأشياء فهماً على القارىء اللاتيني هـذه الترجمـات . ولا سيما حين تكون الكلمات الصعبـة مجرد تـرجمة للكلمـة العربيـة. وليس لدينـا كبير علم بـانتشار هـذه الترجمـات التي صيغت في طـليطلة، ولكن من المؤكـد أنه بعـد مضي ثلاثين عاماً كان جميع نص الأورغانون المنطقي لأرسطو (منطق أرسـطو المسمىٰ الأداة) يستعمـل في باريس ، وينبغي أن يكـون ذلك مستحيـلاً لو أن الترجمات اللاتينية انحصرت فيما نقله Boethius ويـوحنا سكـوت ومقتطفـات أفلاطون التي أوردهـا القديس أوغسـطين. ولكن هذه المـادة التي كانت لـدىٰ الغرب هي أساس المعرفة . وإن تجاوز المدرسة اللاتينية لهذا الـطور قد جـاء

في ثلاث مراحل : أولاها استجلاب بقية نصوص أرسطو ومجموعة المصنفات العلمية التي يتألف منها القانون المنطقي Logical Canon بطريق الترجمة من العربية ، ثم جاءت ترجمات من الإغريقية بعد سقوط القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م . والثالثة استجلاب كتب الشراح العرب[١].

ولقد اشتهر عدد من أزواج المترجمين في طليطلة مثل يوحنا الأشبيلي ودومينكوس غونديسالفوس John of Seville, Dominicus Gundisalvus وكذلك نذكر روبرت من تشستر Robert of Chester وهرمان الدلماتي أو الدلماشي ـ Hermanus Dalmata وغير هذين الزوجين .

وقد تعلم جميع هؤلاء التراجمة اللغة العربية في ديار الغرب .

أما يوحنا الأشبيلي فهو يهودي متنصر كانت فترة نشاطه في طليطلة منتصف القرن الثاني عشر ، عمل هو ودومنيكوس غونديسالفوس تحت إشراف رئيس أساقفة طليطلة في نقل عدد كبير من الكتب العربية إلى اللاتينية . ويبدو أن يوحنا كان يترجم من العربية إلى القشتالية ، ثم يقوم بعد ذلك غونديسالفو بنقلها من القشتالية إلى اللاتينية . وقد كان يوحنا مهتماً بالعلوم الرياضية كل الاهتمام ، فقد نقل عدداً من الرسائل التي ألفها ما شاء الله وأبو علي الخياط وأبو معشر والكندي وعمر بن الفروخان وأحمد بن يوسف بن الداية والبتّاني وثابت بن قرة والقابسي وابن أبي الرجال، وألف هو نفسه سنة ١١٤٢ م رسالة في التنجيم استقىٰ معلوماتها من المؤلفات العربية ، وباختصار ، فقد وضع تحت تصرف الغرب ، وبمساعدة غونديسالفو ، مكتبة في علم النجوم . وطبعاً قاده علم النجوم إلى الفلك والرياضيات. هذا وإن هذه الكثرة الهائلة من كتب التنجيم التي ترجمت يجب الا تحجب عن أعيننا العدد الكثير من الرسائل الثمينة التي أصبحت لأول مرة تحت تصرف الباحثين اللاتين . ولما كان عدد هذه الترجمات كبيراً فإن من الضروري تصنيفها من أجل التوضيح ، يمكن تصنيفها في أربعة أقسام : الحساب ، الفلك والتنجيم ، الطب ، الفلسفة .

---

(١) أوليري، ديلاسي . الفكر العربي ومكانه في التاريخ تأليف ديلاسي أوليري وتعريب تمام حسان . القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦١ م . ص ٢٨٢ .

وقد رتبت المواد ضمن كل صنف ترتيباً زمنياً حسب زمن مؤلف الرسالة .

الحساب :

نقل كتاباً للخوارزمي عن الحساب (غير كتاب الخوارزمي المشهور عن الحساب) : إذ أنه ترجمة لنسخة مصلحة معدلة لنفس العمل قام بها مؤلف مسلم آخر . إنها رسالة لوغاريتمية صرف مشتقة من مصادر هندية ، وعنوانها اللاتيني Liber alghoarismi de practia arismetrica . وقد حققها B. Banconpagni ونشرها في روما سنة ١٨٥٧ م تحت عنوان Trattati d'Aritmetica, «Joannis Hispalensis liber algorismi de practica arismetrice.

وقد كان ترجم نفس العمل سابقاً أديلارد الباثي وترجمه فيما بعد جيرار الكريموني على ما يبدو.

هناك عدة رسائل مؤلفها ما شاء الله (النصف الثاني من القرن الثامن) نقلها يوحنا الأشبيلي تحت عنوان:

الفلك والتنجيم:

١ - Epistola de rebus eclipsium et des Congunctionibus Planetarum -

وقد طبعت عدة مرات في البندقية وبال ونورنبورغ بين ١٤٩٢ و١٥٤٩ م . وتنسب هذه الترجمة أيضاً إلى أفلاطون التيفولي.

٢ ـ كتاب في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم تأليف الفرغاني (النصف الأول من القرن التاسع) نقله إلى العربية بين سنتي ١١٣٤ ـ ١١٣٥ تحت عنوان:

- Liber Alfragani in quifusdam collectis scientiae astrorum motrum Coelestium et est XXX Differntiarum. Brevis ac perutilis Compilatio...

وقد حقق هذا العمل وطبع في باريس . . . سنة ١٥٤٦ م وفي غيرها من الأماكن .

ولقد ترجم نفس الكتاب جيرار الكريموني بشكـل أكثر اتقـاناً ، الا أنـه لا يزال غير منشور . وهناك ترجمة فرنسية لعلها مستمدة من ترجمة جيـرار ، ونُقِلت هذه الترجمة الفرنسية إلى الإيطاليةسنة ١٣١٣ م .

٣ ـ **أبو علي الخياط** (النصف الأول من القـرن التاسـع) . لـه رسـالـة نقلت مرتين إلى اللاتينيـة الأولى نقلها أفـلاطون التيفـولي سنة ١١٣٦ م والثـانية نقلها يوحنا الأشبيلي سنة ١١٥٣ م وقـد ترجمهـا تحت اسم Albahali de Judicüs nativitatum liber unus وقـد طبعت هذه التـرجمـة تحت نفس العنـوان في نورنبـورغ سنة ١٥٤٦ و١٥٤٩ م . ونقلت هـذه الترجمـة إلى الفرنسية .

٤ ـ **أبو معشر** (النصف الأول من القـرن التاسـع) كتـاب المـدخـل إلى علم أحكام النجوم . ترجم مرتين. مرة ترجمه يوحنا سنة ١١٣٣ م وثانية ترجمه هـرمان الـدلماشي . وإن النص المـطبوع الآن هـو تـرجمـة هـرمـان على الغالب .

٥ ـ **الكندي** (النصـف الأول من القرن التاسع) . هذه رسالة الفها الكندي . وانتحلهـا أبـو معشـر وتـرجمت على أنهـا لـه Albumasar de mognis — Conjunctionibus et annarum (البنـدقيـة ١٥١٥ ، ١٤٨٩) Revolu-tionibus ac eorum profectionibus .

٦ ـ **عمر بن الفروخان** (النصف الأول من القرن التـاسع) أو ابنـه محمد De nativitatibus et interragationibus . طبعـة البندقيـة ، ١٥٠٥ م ويظهـر هنا اسم المؤلف على أنه سليمان اليهودي) . .

٧ ـ **أحمد بن يوسف بن الداية** (النصف الثـاني من القرن التـاسع) . شـروح على أرسـطو ترجمهـا أحد رجلين يـوحنا الأشبيلي ، أو أفـلاطون التيفـولي حـوالي ١١٣٠ ـ ١١٣٦ بعنوان Centiloquium وقـد نسب المتـرجم النص الأصلي إلى علي بن رضـوان من رجال النصف الأول من القـرن الحـادي عشر ميلادي .

٨ ـ **البتاني** (النصـف الثاني من القـرن التاسـع) ـ Centilaquium (or Liber

de Consuetudinibus in jeidicüs astrorum) . طبع مع أعمال أخرى بين سنتي ١٤٩٣ و١٥٣٥ عدة طبعات .

٩ ـ **ثابت بن قرة** (النصف الثاني من القرن التاسع) De imaginibus astro- nomicis.

١٠ ـ **القابسي** (النصف الثاني من القرن العاشر) كتاب المدخل إلى صناعة أحكام النجوم Libellus Ysagogicus Abdilazi qui dicitur Alchabi- tius, ad magisterum Judiciorum astrarum. طبع مع شروح وتعليقات عليه بقلم يوحنا السكسوني (النصف الأول من القرن الرابع عشر) في البندقية عدة مرات وترجمه إلى الفرنسية Pelerin de Rousse سنة ١٣٦٢ م .

١١ ـ **مسلمة بن أحمد المجريطي** (النصف الثاني من القرن العاشر) رسالة في الأسطرلاب De astralabio.

١٢ ـ **ابن أبي الرجال** (النصف الأول من القرن الحادي عشر) Rugulae — utiles de electionibus . ولكن غير مؤكد أن يوحنا هو المترجم .

الطب :

كتاب سر الأسرار . ينسب هذا الكتاب إلى أرسطو وليس له . إن أقدم نص لهذا الكتاب يرجع غالباً إلى أوائل القرن التاسع ولا يوجد للكتاب نص بلغة أخرى ، ومقدمة الكتاب تنسبه إلى يحي بن البطريق الذي يفترض أنه نقله من اليونانية إلى الرومية . وقد قام بنقله إلى اللاتينية يوحنا الأشبيلي ، ثم نقله بعده جيرار الكريموني . والنص المطبوع الآن هو ، على الغالب ، ترجمة جيرار . وقد اعتبر البيرت الكبير جيرار المؤلف الأصلي . وبعد فترة نقل هذا الكتاب إلى العبرية على يد اليهودي يهودا الحازري الذي عاش في اسبانيا بين ١١٩٠ و١٢١٨ م . وقد نقلت ترجمة يوحنا إلى عدد كبير من اللهجات المحلية . وفي نفس الوقت اضيفت إلى النص العربي إضافات كثيرة وظهر إلى عالم الوجود بشكل جديد كل الجدة . وقد وجد شخص اسمه فيليب الطرابلسي نسخة منه في انطاكية وترجمه إلى اللاتينية بحدود ١٢٥٠ م . وقد

أصبحت هذه الترجمة اللاتينية بعد إدخال تعديلات كثيرة عليها النص الأكثر تداولاً للكتاب

الفلسفة :

١ ـ هناك كتاب منسوب إلى **أرسطو** وليس له عنوانه Pseudo Aristotelian De Causis ترجمه أولاً يوحنا ثم ترجمه بعده جيرار الكريموني .

٢ ـ **الكندي** . له كتاب عنوانه De intellectu ترجمه أولاً يوحنا ثم ترجمه ثانياً جيرار وقد حقق الكتاب ونشره البينوناجي تحت اسم Die philosophis-chen Abhandlungen des al - Kindi (Münster, 1897).

٣ ـ **قسطا بن لوقا** (النصف الثاني من القرن التاسع) . كتاب الفصل بين الروح والجسد (ينسب ايضاً إلى ابن سينا) De differntio spiritus et animae. وقد نسب النص اللاتيني إلى كثيرين منهم قسطنطين الأفريقي وأوغسطين واسكندر نيكام وقد حققه سيغام باراش Siagm Barach ونشره سنة ١٨٧٨ م .

٤ ـ **الفارابي** (النصف الأول من القرن العاشر) كتاب إحصاء العلوم ترجمه أولا يوحنا ثم ثانياً جيرار تحت عنوان Alpharibüde ortu scientiarum وحققه بوميكر ونشره سنة ١٩١٦ م .

٥ ـ **ابن سينا** (النصف الأول من القرن الحادي عشر). ترجم ترجمة جزئية لكتاب الشفاء .

٦ ـ **ابن جبيرول** (النصف الأول من القرن الحادي عشر) ينبوع الحياة Fons Vitae هذه الترجمة مهمة لتأثيرها العظيم على علم الكلام المسيحي حققها ونشرها كليمانس بوميكر (مونستر ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ م) .

٧ ـ **الغزالي** (النصف الثاني من القرن الحادي عشر). مقاصد الفلاسفة : وهي موسوعة مقسومة إلى ثلاثة أقسام : منطق وطبيعة وما وراء الطبيعة . وقد طبع النص اللاتيني في البندقية سنة ١٥٠٦ م . إن أكثر هذه

الترجمات أهمية هي الحساب وفلك الفرغاني وكتاب سر الأسرار . وقبل كل شيء الكتابات الفلسفية المعزوة إلى أرسطو وكتابات الفارابي وابن سينا وابن جبيرول والغزالي ، التي كانت وحياً حقيقياً للعالم اللاتيني وأثرت بعمق في تطور الفلسفة السكولاسيتكية (المدرسية) .

هذا ولا بد من التنويه أن زميل يوحنا الأشبيلي في الترجمة غونديسالفو شاركه في ترجماته هذه إلى جانب كونه فيلسوفاً ومؤلفاً لعدد من الكتب أشهرها De divusions philosophiae وقد أخذه عن كتاب إحصاء العلوم للفارابي ، ولكنه ليس ترجمة حرفية له ، إنما هو عمل أكثر اتقاناً من أن يكون نقلاً حرفياً .

روبرت أوف تشستر Robert of Chester :

عالم انكليزي طلعة ذكي كان من أوائل الذين قدموا من شمال أوربا إلى اسبانيا طلباً للاستزادة من العلم . وبعد أن تجول في اسبانيا استقر في طليطلة وتعلم اللغة العربية وبدأ يمارس أعماله الترجمية من العربية إلى اللاتينية ، وقد ساعده في إنجاز قسم كبير من أعماله زميله هرمان الدلماشي . ولقد كانت فترة نشاط روبرت بين عامي ١١٤١و ١١٤٨ م في اسبانيا ومن ١١٥٠ إلى ١١٥٤ م في لندن كان روبرت ذا نشاطات متعددة وفي عدد مهم من الموضوعات . ولعل أهم عمل قام به هو ترجمته للقرآن الكريم إلى اللاتينية ، بمساعدة هرمان الدلماشي وبطلب وتكليف من بطرس الوقور ، إلى جانب ترجمات أخرىٰ كثيرة من أهمها ترجمة كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي .

كان بطرس الوقور Peter The venerable رئيساً لدير كلوني عام ١١٤١ م، لم يكن مستعرباً ولقد ارتحل إلى إسبانيا في حدود ذلك التاريخ للتفتيش على الأديرة . وقد أدرك أهمية الاطلاع على الفكر الإسلامي ، لذا فقد عمل على أن يترجم القرآن وإن ينقض . كانت اهتماماته دينية محضة ولذلك عهد إلى روبرت وهرمان بهذه المهمة . ويبدو أن العلاقة كانت وثيقة بين بطرس وروبرت . فقد سبق أن ترجم روبرت وهرمان أربعة كتب عربية ،

وقد صدرها بطرس نفسه بمقدمة[1] . وإن أحد هذه الكتب المترجمة هو كتاب تاريخ عربي لا ندري عنوانه الأصلي، ولكن روبرت أعطاه العنوان التالي: حوليات المسلمين المكروهين الضالين Chronica meniaso et ridiculosa Saracenarum.

وقد اشتهرت الترجمة التي قام بها روبرت وهرمان على الرغم من أنها ليست جيدة ولا دقيقة ، وقد صدراها بمقدمة ورفعاها إلى بطرس الوقور . وقد أخذ بطرس هذا على عاتقه مهمة كتابة مقال يفند وينقض القرآن بزعمه ، وهو لم يستطع أن يقطع برأي فيما إذا كان المسلمون وثنيين أم منشقين مبتدعين ، ولكن في كلا الحالتين يجب أن تفند تعاليمهم وأن تدحض وأن يثار حولها الاستخفاف والسخرية[2] وقد تمت الترجمة سنة ١١٤٣ م . وقد نشرها بيبلياندر في ثلاثة أجزاء (بال ١٥٤٣ م) . وكانت هذه أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم لأية لغة بخلاف العربية . كما أنجز الأب ماركوس الطليطلي بتوجيه من أسقف المدينة رودريك دي وادا ، ترجمة ثانية للقرآن الكريم في القرن الثالث عشر . ونشر الساندرو باغانيني أول طبعة للنص العربي للقرآن الكريم في البندقية أوائل القرن السادس عشر ، على خلاف في تاريخ الطباعة .

هذا ويذكر الباحث اليوغوسلافي أحمد سيمالوفيش في كتابه عن الاستشراق أن القديس كيرلس Cyril اعتني بالقرآن الكريم وناقش علماء الإسلام ، ففي أعرق الأثار الأدبية التشيكية المكتوبة بالسلافية القديمة في أواخر القرن التاسع قصة نزول القديس كيرلس بالشرق العربي حوالي سنة ٨٥٠ م ومجادلته علماء المسلمين وأكباره لهم وثناؤه على علمهم مع ترجمته

---

(١) حمادة، محمد ماهر . مراجع مختارة عن حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلم . الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٢ . ص ٧٠.

(٢) نفس المصدر ، ص ٧١.

لبعض آيات من القرآن الكريم لعلها من أولىٰ ترجماته إلى اللغة اللاتينية[1].

٢ ـ كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي . يعتبر نقل هذا الكتاب الهام إلى اللاتينية عملاً عبقرياً من الطراز الممتاز وتسجل ترجمته تاريخاً للعلم عند المسيحيين . وترجمته هذه سمة مميزة في تاريخ هذا الموضوع إذ يعتبر ذلك بشكل أدق بداية علم الجبر في أوربا . وقد كانت هذه الترجمة هي أساس دراسات كبار العلماء من أمثال ليونارد أوف بيزا الذي اعترف أنه مدين بمعلوماته الرياضية للعرب ، وكروان وغيرهما[2] . وقد نشر الكتاب فريدريك روزن في لندن سنة ١٨٣١ م كما نشر كاربنسكي Karpinski ترجمة للكتاب المذكور عن ترجمة روبرت اللاتينية . وقد عرفت أوربا « الصفر » من كتب الخوارزمي ، وهي ترجمة عربية للكلمة الهندية سونيا Sunya أي « خالي » والصفر هو الخالي . وقد نقلت كلمة صفر من العربية إلى اللاتينية هكذا Cifra بمعنى الصفر .

هذا وإن روبرت هو أول من استعمل كلمة جيب العربية Sinus بالمعنىٰ الفني الاصطلاحي للكلمة .

٣ ـ جداول البتاني الفلكية . يعتبر البتاني المتوفي سنة ٩٢٩ م من أشهر علماء الفلك في العصور الوسطىٰ وألف رسائل وجداول فلكية ورسالة في الأسطرلاب . ولقد نقل روبيرت هذا رسالة في الأسطرلاب مجهولة المؤلف سنة ١١٤٧ م . ولكن إنجازه العظيم في هذا المجال هو ترجمته وإصلاحه ودمجه لجداول البتاني والزرقالي الفلكية سنة ١١٤٥ م مع زميله هرمان . كذلك عدل اللوائح الفلكية التي ترجمها اديلار الباثي . هذا وإن أول نصراني أخذ الجداول الفلكية الطليطلية وطبقها على زمان ومكان مختلف هو ريموند

---

(١) سيمايلوفيتش ، أحمد ، المصدر المذكور آنفاً . ص ١٩٤ .

(٢) طوقان ، قدري حافظ . تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك . طبعة ثالثة فريدة منقحة . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ م . ص ١٦٠ .

من مـرسيليا ، وذلـك في جداول مـرسيليا التي أصـدرها سنـة ١١٤٠ م . وقد أكمـل سنة ١١٤٩ م روبيـرت جداول لنـدن التي استقاهـا من كل من البتـاني والزرقـالي . وأخيراً في سنة ١١٤٥ م ترجم أفلاطون التيفولي جداول البتاني . وبعد قريب من القرن جمع وليام الانكليزي جداول جديدة لمرسيليا وذلك سنة ١٢٣١ م . لقد كان وليام مطلعاً كل الاطـلاع على أعمال الـزرقالي الفلكيـة ، ولكنه أضاف إليها معرفة جيدة بأفكار الفـرغاني . ولقـد مارست تعـاليم وأفكار الفرغاني والبـتاني الفلكية نفـوذاً واسعاً وعميقـاً على علم الفلك الأوربي حتى عهد كوبيرنيكوس(١) .

وهكذا فقد أصبح تحت تصرف علماء الرياضيات اللاتين علم المثلثات العربي قبل انقضاء منتصف القرن الثـاني عشر الميـلادي ، وهو علم ، إن لم يكن أحدث ما وصل إليه العرب فهو أحدث ما يمكن أن يصل إليهم قبل نهاية القرن . فلو كان هؤلاء الرياضيـون أذكياء كـذكاء علمـاء المسلمين ، لكان مـا وصل اليهم كافياً لجعلهم يبدأون بداية سليمـة ويصلحون أحـوالهم وعلمهم ، ولسوء الحظ لم يكونوا كذلك ، ولذلك لم ينتبهوا لفرصتهم حتى القرن الـرابع عشـر عندمـا بدأ علم المثلثـات الـلاتيني في الـظهـور في كـلية ميـرتـون في أكسفورد Merton(٢) .

كتب الصنعـة : لقد ادخلت هـذه الكتب إلى العـالم الـلاتيني في وقت مبكر نسبياً ، والغـالب أن الرسـالتين اللاتينيتين اللتين تحمـلان اسم ارتيفيوس Artephuis هما على الغالب ، مترجمتان عن العربية على الرغم أننا لا نعرف متى تم ذلك ومن المؤلف الأصلي لهما .

إن أقدم ترجمـة لاتينية مؤرخـة هي التي قام بهـا روبرت من شستـر ١١ شبـاط ١١٤٤ م بعنـوان Liber de Accompositiome alchemiae . ومن المفترض أن أصلها رسالة الفها خالـد بن يزيـد بـن معاويـة وأصلحها وحـررها

(1) Sartun, George. op. cit. Vol. 2, 15.

(2) Ibid. Vol II, P. 12.

مـورنيوس رومـانوس Morienus Romanus[1] . ولعـل هذه الـرسالـة هي من أقدم ما نقل من العربية إلى اللاتينية ويعتبر هذا بدايـة لعلم الصنعة الأوربي ، فلم يكن تأثيرهـا شريـراً وسيئاً كعلم التنجيم ، لأنهـا حوت كثيـراً من الحقائق التي هي ثمينة على الرغم من شرحها السيء وتطبيقاتها .

غير أن باحثاً مثل توماس أرنولد (محرر كتاب تراث الإسلام) يذكر أن هذا الكتاب هو لجابر بن حيان[٢] ويسميه غيره باسم كتاب التراكيب . أما أهم كتبه فكتـاب عـرف بـالـلاتينيـة بـاسم Summa Perfectionis وأصله العـربي مفقـود . غير أن الأستـاذ هولميـاد حقق انه مـأخـوذ من كتـاب جـابـر المسمىٰ الخالص[٣]. وقد نقـل البرت الكبيـر تعاليم جـابر الكيمـاوية وتعـاليم غيره من كيماوي العرب في كتابه De Mineralibus، ولم يكن البرت مبتكراً في شيء. وكذلك ظهـر تأثيـر جابر بوضـوح في موسـوعة فـانسيت دوبـوفيـه Spéculum Naturale. أما المقالات المنسوبة إلى دي بـوفيه فمليئـة بشواهـد من جابـر. واستمر تأثير جابر إلى ما بعـد القرون الـوسطىٰ . فنـرى مترجمـاً انكليزيـاً هو ريشـارد رسل يتـرجم بعض أعمـال جـابـر من الـلاتينيـة إلى الانكليـزيـة سنـة ١٦٧٨ م تحت عنوان : أعمال جابر أشهر الأمراء والفلاسفة العرب ، مترجمـة بأمانة بواسـطة ريشارد رسـل من محبي الكيمياء . وقـد اشتملت هذه الأعمـال على كتاب الخالص .

٢ ـ رسالة في التنجيم من تأليف الكندي عنـوانها Judicia وأهـداها إلى هرمان الدلماشي .

كذلك ترجم رسالة مجهولة المؤلف وتعرف بعنوانها اللاتيني De Composi-tione alchemie (طبعت في بال ١٥٩١ و١٥٩٣ وفي باريس ١٥٦٤).

---

(1) Ibid. Vol II p. 176.

(٢) أرنولد ، توماس (محرر) . المصدر المذكور آنفاً ، ص ٤٧٠ .

(٣) مظهر ، جلال . المصدر المذكور آنفـاً . ص ٢١٥ .

وأخيراً هناك ترجمة لشروح عربية على كتاب لوح زبرجد تعزى إليه .

هـرمـان الـدلمـاشي : (تـوفي ١١٧٢ م) Hermann The Dalmatian زميل روبرت في عدد كبير من ترجماتـه . فهو قـد اشترك معـه في نقل القـرآن الكـريم إلى اللغة الـلاتينية . ولقـد تنقل هـرمـان ، ويقـال لـه السلافي، بين البلدان فقد درس في شارتـر أو باريس ، وعـاش في اسبانيـا بين عامي ١١٣٨ و١١٤٢ . وعاش في لانغدوك سنة ١١٤٣ م ، وهو منجم ومترجم من العربيـة إلى اللاتينية . وقـد استأثـر التنجيم باهتمـام أغلب المترجمين ، وهـذا الشيء ينطبق تماماً على هرمان وعلى الرغم من أن أعماله في هـذا المجال لا تـوازن مع ترجمات يوحنا الأشبيلي أو أفلاطون التيفولي إلاّ أنه كان كثير الانتاج .

١ ـ ترجم رسالة في التنجيم لليهودي سهـل بن بشر سنـة ١١٣٨ م ، وابن بشر عاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر .

٢ ـ ترجم حوالي سنة ١١٤٠ م جداول الخوارزمي الفلكية (غير مؤكد) .

٣ ـ ترجم حوالي سنة ١١٤٠ م كتاب أبي معشـر البلخي : المدخـل إلى علم أحكام النجوم . وقد قدم الترجمة إلى روبرت من شستر ، وهي أكثر اتقاناً من الترجمة التي عملها يوحنا الأشبيلي سنة ١١٣٣ م . وقـد طبع الكتـاب تحت عنوان Introductorium in astronomian Albumasaris Alabachii (أوغسبورغ ١٤٨٩ م) (البندقية ١٤٩٥ م ، ١٥٠٦ م).

٤ ـ ترجم جوالي سنـة ١١٤٢ م في ليون رسـالتين ضد الإسـلام الأولى : De generatione Muhamet et nutritusa eius. Doctrina Mahumet. (طبعت في نشرة بيبلياند للقرآن الكريم باللاتينية ج١ ١٨٠ ـ ٢١٣ ، بـال ١٥٤٣).

والثانية هي ترجمة لمحـاورة مزعـومة بين رسـول الله صلّى الله عليه وسلم واليهودي عبد الله بن سلام . ربما عمـل هذا العمـل وضمنه في التـرجمة التي قام بها هو وروبرت من شيستر للقرآن الكريم ١١٤١ ـ ١١٤٣ .

٥ ـ هذا وإن ترجمته لكتاب بطليموس الذي عنوانه Planispharium يعتبر من أهم انجازاته . ذلك إن هذا الكتاب نقله إلى العربية مسلمة بن أحمد المجريطي مع شروح وافية . وقد وصلنا هذا الكتاب عن طريق هذه الترجمة فقط لفقدان النصين العربي واليوناني . هناك طبعة لهذا الكتاب صدرت في البندقية سنة ١٥٨٨ م دون ذكر اسم المحقق . وهناك طبعة محققة أصدرها هايبرج في كتاب الهيئة الصغير لبطليموس .

Heiberg. Ptolemaei opera astronomica mimora. Leipzig, 1907

وهناك ترجمة عبرية لهذا الكتاب ولا يعرف المترجم .

وهرمان هذا له تلميذ اسمه رودولف دو بروجس Rudolphe de Bruges وكان مهتماً مثله بالتنجيم والفلك ويعزىٰ إليه أنه ترجم رسالة عن الأسطرلاب لمسلمة بن أحمد المجريطي . كما ينسب إليه ترجمته لشروح مسلمة المجريطي المذكور آنفاً على النظام الرياضي لبطليموس .

أفلاطون التيفولي (برشلونة ١١٣٤ ـ ١١٥٤ م) Plato di Tivoli.

استقر في برشلونة وهو من إيطاليا ولكن جذبته اسبانيا فعمل في نقل الكتب العربية إلى اللاتينية ويوصف أنه رياضي فلكي منجم وكان يساعده في تراجمه إبراهيم بن حييا اليهودي ، وهناك خمس رسائل ترجمها إلى اللاتينية معروف تاريخ ترجمتها وهي كما يلي :

١ ـ رسالة العمراني (من رجال النصف الأول من القرن العاشر) De electiahbus Horarum (بين سنتي ١١٣٣ و١١٣٤ م).

٢ ـ رسالة لأبي علي الخياط (من رجال النصف الأول من القرن التاسع) De nativitatibus, or, De Judicüs. nativitatum. (بين سنتي ١١٣٦ - ١١٣٧) . وقد ترجم نفس العمل يوحنا الاشبيلي، سنة ١١٥٣ م وترجمته هي التي طبعت في نورنبورغ ١٥٤٦ ، و١٥٤٩ م.

٣ ـ رسالة تعزى إلى شخص اسمه المنصور وذلك سنة ١١٣٦ م : Astrolo-

gical aphorisms Almansoris Judicia seu propositiones...

وهي فصول من الرسالة . من كـان ذلك المنصـور؟ لا أحد يـدري . وقد طبعت الترجمة اللاتينية لهـذه الفصول سنـة ١٤٨٤ م ثم أعيد طبعهـا أكثر من سبع مرات خلال أكثر من قرن .

٤ ـ كتاب بطليموس المسمىٰ Quadripartitum سنة ١١٣٨ م . فقد نقل هـذا الكتاب من الترجمة العربية التي ترجمهـا ابراهيم السلط ونقحهـا ثابت بن قرة وحنين بن اسحاق . هـذه الترجمـة مهمة لأنهـا أول أعمال بـطليموس تـرجمـة إلى الـلاتينيـة . هـذا وإن الكتـاب المسمىٰ بـ Centiloquium المشكوك في صحة نسبته إلى بطليموس والذي هو اختصار للأول ترجمـه إلى الـلاتينيـة قبـل سنتـين يـوحنـا الأشبيـلى ، وتعـزىٰ أيضـاً إلى أفـلاطــون هذا . وقد نقـل ألـ Quadripartitum إلىٰ اللاتينيـة مراراً كثيـرة باعتبـاره كتاباً شعبياً رائجاً . فقد ترجم عام ١٢٠٦م وعام ١٣٠٥ م .

هذا وإن الترجمات التالية غير مؤرخة ولذا اثبتناها حسب تاريخ الترجمة .

٥ ـ ترجم كتاب الأفلاك Spheries من العربية ، وهو كتـاب ألفه ثيـودوسيوس من بيتيـنيـا Theodosios of Bithynia (النـصف الأول مـن القـرن الأول ق م). نقله العـرب من اليونـانية إلى العـربية . وقـد ترجم نفس الكتـاب جيرار الكريموني .

٦ ـ كتاب البتاني (أبو عبد الله محمد بن جابـر بن سنان البتـاني المتوفي سنـة ٩٢٩ م) والمعروف في الغرب باسم Albategnius . وهو أحـد أساطين علم الفلك . وقد ترجمه افلاطون تحت اسم De motu Stellarum . وقد نشرت هذه الترجمة سوية مع ترجمة كتاب الفـرغاني العنـاصر Elements بـعـنـوان Albategnius de motu stellarum ex observationibus tum propüs tum Ptolemaü omnia cum demonstrationibus geometricis et additionibus Joannis de Regiomonte. (Nuremberg,1537).

٧ ـ كتـاب أبي بكر بن الخصيب (النصف الثـاني من القرن التـاسع) De re-

.Volutionibus nativitatum

٨ ـ كتاب ابن الصفار (النصف الأول من القرن الحادي عشـر) -Liber Abul casim astrolobia (رسالة في الأسطرلاب).

٩ ـ رسـالة مجهـولة المؤلف في علم الـرمـل ـ -Alfakini arabici filü quaes tiones geomanticae (نشـــرت في : -Fasciculus geomanticus, Vero na, 1687 .

يجب أن نـلاحظ أن القسم الأعـظم ممــا تـرجمــه أفـلاطــون أعمـال تنجيمية . يستحق أفلاطون ، مع ذلك ، الثناء العاطر لترجمته كتاب بطليموس [رقم ٤] الذي كان أول ترجمة دخلت أوربا آنذاك ، ولترجمته كتـاب البتاني [رقم ٦] لأن هـذا الكتاب لـه أهمية خـاصة في علم المثلثـات في الغرب ، وأكثر من ذلك لترجمته كتاب ثيودوسيوس [رقم ٥] .

وهناك عدد آخر من التراجمة أقل شأناً لم نذكرهم لعدم الفائدة من ذلك الناتجة عن ضآلة ما قدموه .

النقل من العربية إلى العبرية والنقلة اليهود :

لم تكن الترجمات من العربية إلى العبرية كثيـرة ، لأن اليهود الشـرقيين الأندلسيين كانوا لا يزالون يعرفون العربية إلى الحد الذي يجعلهم لا يحتاجون إلى مثل هذه الترجمات . وبالحقيقة فقـد كان اليهـود الشرقيـون وغالبيـة يهود الأندلس يعرفون العربية أكثر من معرفتهم العبرية . ومع ذلك فقد برز مترجمان عـظيمان الأول الفيلسـوف إبراهيم بن عـزرا ، والثـاني الـريـاضي إبـراهيم بن حييا ، وكلاهما كان أندلسياً .

ابن عزرا، أبو اسحاق إبراهيم عاش بين سنتي ١٠٩٠ و١١٦٧ م ويعرفه قـراء الانكليزيـة بـاسم Rabbi ben Ezra . كـان من أوائـل من تـرجمـوا من العربية إلى العبرية . فقد نقل من العربية إلى العبرية ثلاث رسـائـل في النحو مؤلفهـا يهودا حيـوج Judah Hayyuj (النصف الثاني من القـرن العـاشـر) ،

وترجم رسالتين في علم النجوم لما شاء إليه (قبل سنة ١١٤٨ م) ، وترجم شروح البيروني على جداول الخوارزمي (سنة ١١٦٠ م) وهذه لم تعرف إلاّ عن طريق ترجمة ابن عزرا لها . ولقد نشر سميث وغنيسبورج D.E. Smith D.J. Ginsburg ترجمة انكليزية لمقدمة ابن عزرا لترجمته العبرية لشروح البيروني وتعليقاته على جداول الخوارزمي الفلكية بعنوان Rabbi bén Ezra and the Hindu - Arabic problem (American mathematical monthly, Vol. 25, 99 - 108, 1918) وقد كان واحداً من كبار النقلة من العربية إلى العبرية وألف جميع مؤلفاته باللغة العبرية .

أما إبراهيم بن حييا Abraham ban Hiyyaha- Nasi فقد توفي سنة ١١٧٦ م وترجم رسالة في الموسيقىٰ من العربية إلى العبرية ، وجميع مؤلفاته ألفها بالعبرية واستقىٰ مادتها كلياً من مصادر عربية ، إلى جانب مساعدته أفلاطون التيفولي ، وربما آخرين ، في ترجمة أعمال عربية إلى اللاتينية .

هناك رسالة أخرىٰ في الموسيقىٰ مؤلفها أبو السلط ضاع أصلها العربي وحفظت في ترجمتها اللاتينية . وقد نقل اليهودي يعقوب أناطولي Anatoli كتاب الفرغاني في علم الفلك إلى العبرية وأضاف إليه ثلاثة فصول .

وهناك رسالة مهمة كل الأهمية اسمها الحدائق ألفها البطليوسي ، ونحن لا نعرفها إلاّ عن طريق ترجمة عبرية ، وهي تحوي أفكاراً متقنة عن الكون والبعث وما شاكل ، وكلها مصبوغة بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة . ولم يكن هذا تقدماً فلسفياً حقيقياً ، ولكن هذه الرسالة مارست نفوذاً واسعاً بين الباحثين المسلمين واليهود حتى القرن الرابع عشر .

ولقد كان ابن باجة شخصاً أعظم بكثير من البطليوسي ، ويسمىٰ اللاتين ابن باجة Avenpace . لقد كان موسوعياً ، ولكنه كان أقل خيالاً من البطليوسي وأكثر منه تألقاً في النواحي العلمية الخلاقة . إن أعماله الفلسفية الرئيسية هي رسالة تدبير المتوحد ، ورسالة الوداع وجهها لأحد أصدقائه . هذا وإن رسالة تدبير المتوحد لم تعرف الا عن طريق تحليل عبراني لها . وقد

أحس القـوم بتأثيـر ونفوذ ابن بـاجة بـطريقة غيـر مباشـرة عن طـريق ابن رشـد والبرت الكبير .

وقد ألف اليهودي الأندلسي يوسف بن صديق رسالة عن **العالم الصغيـر** حيث بحث الموضوع متأثراً بالفلسفة الافلاطونية الحديثة كما عرضها وطـورها أخوان الصفا . وقـد ألف رسالتـه أصلاً بـالعربيـة ، ولكنها لـم تعـرف إلاّ عن طريق ترجمتها العبرية .

هذا وازدهرت حركة النقل إلى اللاتينية من العربية في مركز آخر مهم هو صقلية ، وقد ذكـرنا سـابقاً أهميتهـا وأهمية حكـامها النـورمانـديين وتشجيعهم العلمـاء والفلاسفـة من دنيـا الإسـلام واليهـود والنصـارىٰ على البحث والنقـل والترجمة . وقد كتبت ترجمات عديـدة من العربيـة إلى اللاتينيـة ، ومن أنفس هذه الترجمات الترجمة التي قام بها الأمير يوجينودو بالرمو Eugenio de Palermo في عهـد الملك غليوم الأول بن روجيـر الثاني ، لكتـاب المناظـر L'optique لبـطليموس ، وإن عملت هـذه الترجمـة على أساس نص عـربي سقيم ، وقد نشـر الكتاب حـديثاً جيلبيـرتو جـوفي Gilberto Govi سنة ١٨٨٥ م . كـذلك تـرجم وزير الملك المشهـور أنريكـو أريستبو Enrico Aristippo كتـاب الآثار العلوية لأرسطو عن اليونانية مباشرة . وقد اشترك اريستبو ويـوجينو في تـرجمة المجسـطي لبطليمـوس من العربيـة إلى الـلاتينيـة. وكلمـة المجسـطي كلمـة يـونانيـة تعني في أصلها الأعـظم ، وقـد أطلقهـا اليـونـانيـون على أكبـر كتب بطليموس في الفلك وعربها العرب كما هي . على أن هـذه الترجمـة لـم يقدر لهـا الانتشار على الـرغم أنهـا تمت سنـة ١١٦٠ م إذ حجبتهـا تـرجمـة لنفس الكتاب قام بهـا جيرار الكـريموني سنـة ١١٧٥ م وهو يجهـل أن نفس الكتاب نقل سابقاً إلىٰ اللاتينية .

وإذا أردنـا أن نوجـز ما مـر بكلمات قـلائل قلنـا إنه حتى أواسط القـرن الثاني عشر الميلادي نقل عدد لا بأس بـه من معارف العـرب الطبيـة والفلكية والـرياضيـة والكيماويـة والصنعوية والتنجيمية. فقـد عـرف التـراجمـة العـالم

الأوربي بمؤلفات علي بن عباس وحنين بن اسحق وابن الجزار الطبية ، كما عرفوه بأقليدس وثيودوسيوس وعلم الحساب والجبر الجديد (بما في ذلك حل المعادلة من الدرجة الرابعة) ، ومعلومات الفرغاني والتباني الفلكية وجداول الخوارزمي في الفلكية كما عدلها مسلمة بن أحمد المجريطي ، وجداول البتاني والزرقالي ، وأخيراً بدايات علم المثلثات العربي ، وبشكل خاص استعمالات الجيب والمماس .

هذا ولا بد من ملاحظة أن التراجمة لم ينقلوا أحدث ما يؤلف وينشر ، وإنما اتبعوا التقليد السائد آنذاك بالحصول على الرسائل الأكثر شهرة والتي هي الأقدم . كذلك كان نفس العمل ينقل مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر خلال فترة وجيزة من الزمن كما فعل يوحنا الأشبيلي عندما ترجم رسالة في الأسطرلاب لمسلمة بن أحمد المجريطي وقام بترجمة نفس الرسالة بعد فترة وجيزة رودولف من بروغ .

بعد أن انتهينا من هذا الفصل الأول وبحثنا بداية انتقال الكتاب العربي والفكر العربي إلى العالم اللاتيني ، ننتقل الآن إلى بحث أمجد فصل في عملية تمثل التراث العربي الإسلامي قامت به أوربا في تاريخها المبكر ، وهو الفصل الذي نطلق عليه اسم : الناقل العظيم جيرار الكريموني عصره وآثاره . وسيكون هذا موضوع بحثنا في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

الناقل العظيم جيرار الكريموني، عصره وآثاره

الفصل الثاني
الناقل العظيم جيرار الكريموني، عصره وآثاره

ذكرنا سابقاً أن نشاط النقل من اللغة العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر ميلادي قد تمركز ، أكثر ما يكون التمركز ، في طليطلة التي أصبحت مركزاً رئيسياً لنقل التراث العربي إلى أوربا . وذكرنا أن رئيس أساقفتها ريموندو هو الذي دشن هذا العمل المهم ، وتابع خلفاؤه من بعده هذه المهمة بجد ونشاط . هذا وإن عمل النقلة السابقين حجبه عمل ناقل رائع من أهم التراجمة مدى العصور وأكثرهم انتاجاً هو جيرار الكريموني الذي يعتبره الكثيرون مؤسس مدرسة قائمة بذاتها في ميدان نقل التراث اليوناني العربي إلى أوربا . كما يعتبره الكثيرون أعظم مترجم مدى العصور . ولد جيرار الكريموني Gerard of Cremona في إيطاليا في كريمونا سنة ١١١٤ م وهو ينسب إلى بلدته هذه وليس إلى قرمونة الموجودة في الأندلس . ويبدو أنه كان طلعة ومهتماً بالفلك بشكل خاص ، وكان راغباً في قراءة المجسطي لبطليموس ، ولما كانت قراءة المجسطي متعذرة عليه لعدم معرفته باللغة العربية ، ولأن المجسطي لم يكن آنذاك جاهزاً إلاّ باللغة العربية ، فقد قرر الذهاب إلى طليطلة لتعلم العربية فيها ، وقد نفذ فكرته وذهب إلى طليطلة ، وهناك رأى بام عينه غزارة الكتب العربية المؤلفة في كل موضوع من موضوعات العلوم ، وشعر بالأسف والأسىٰ لندرة الكتب التي كان يمتلكها اللاتين في تلك العلوم ، وكانوا بأشد الحاجة إلى المزيد من المعلومات التي

كانوا محرومين منها ولا وجود لها إلاّ بالمؤلفات العربية ، وعندئذٍ تملكته رغبة جامحة بترجمة هذه النفائس العربية إلى اللاتينية ، ولذلك تضلع بالعربية ، وبعد ذلك استعرض ما كتبه المسلمون في حقل العلوم واختار من كل علم أنفس ما كتب فيه ، بعد ذلك خصص ما تبقىٰ من حياته للترجمة والنقل وظل يقوم بهذا العمل بهمة ونشاط حتى تاريخ وفاته سنة ١١٨٦ م . ولقد نفذ مشروعه هذا بمساعدة تلاميذه في مدينة طليطلة ، التي لم تكن فقط أفضل مكان لهذا العمل ، وإنما لعلها كانت المكان الوحيد التي يستطيع النصراني أن ينفذ فيها مثل هذا العمل التركيبي الجبار . هناك ترجمة لحياته كتبها تلاميذه وفي آخرها لائحة بأسماء واحد وسبعين عملاً ترجمها إلى اللاتينية بعضها ضخم كل الضخامة ككتاب القانون لابن سينا . ولكن يبدو لنا أن هذه اللائحة ليست كاملة ، إذ أننا نعلم من مصادر أخرىٰ أسماء كتب أخرىٰ ترجمها جيرار وليست مذكورة في اللائحة مما يجعل الرقم يرتفع ليقارب التسعين عملاً . وإن ضخامة إنجازه ليجعلنا نعتقد ـ مع كثير من الرجحان ـ إنه كان رئيساً معترفاً به لمدرسة من النقلة كانت تعمل في طليطلة تحت حماية الحكومة وتعضيدها . ويمكن أن نوازن بين عمل جيرار وعمل ناقل آخر عظيم سبقه بأكثر من قرنين من الزمان في دنيا الإسلام هو حنين بن اسحاق الذي عرف العالم الإسلامي بالتراث اليوناني ، مثلما عرف جيرار العالم اللاتيني بالتراث اليوناني والعربي . وقد فتح جيرار بعمله هذا أبواب كنوز المعرفة العلمية اليونانية والعربية على مصاريعها، فضلاً عن أنه أضحىٰ مثالاً يحتذىٰ حذوه وسار اتباعه وتلاميذه على نهجه . ولعل من الصعب النص على أفضل ما ترجم من هذه الكتب ، ولعل أهمها المجسطي والقانون لابن سينا .

ومنها عدد من كتب أرسطو والمنسوبة إلى أرسطو ورسائل فلسفية أخرىٰ للكندي والفارابي وإسحاق الإسرائيلي ، ورسائل رياضية لأوطوليقوس Autolycos وإقليدس وأرخميدس وأبولونيوس وأبيسيكلس Hypsicles وثيودوسيوس ومينيلاوس Menelaos وبطليموس وأبناء شاكر والخوارزمي والفرغاني وأحمد بن يوسف النيريزي وثابت بن قرة وأبو كامل وجابر بن أفلح والزرقالي

ورسائل في الطبيعة لديوقليس Dioclas والكندي وثابت بن قرة وابن الهيثم ورسائل طبية لجالينوس (قسم منه نقله إلى العربية حنين بن اسحاق) والكندي وابن ماسويه ويحيى بن سيرافيون والرازي وأبي القاسم الزهراوي وابن سينا وابن وافد وعلي بن رضوان وعدد قليل من رسائل التنجيم التي من الصعب التأكد من مؤلفيها ولعل بعضها كتبه جابر بن حيان والرازي وغيرهما . وهذه أعداد هائلة رهيبة ليس من المعقول ولا في إمكان فرد واحد أن يقوم بترجمتها كلها وحده. ولذلك ، كما ذكرنا سابقاً، لابد أنه كان رئيساً لمدرسة للترجمة وكان عنده تلامذة ومريدون ومساعدون، وإن كثيراً من الترجمات التي تنسب إليه عملها تلاميذه ومساعدوه ، أو إن بعض الترجمات المتأخرة ترجمها غيره ونسبها له ليرفع من سمعتها باعتباره أعظم التراجمة . وإن ترجمة جيرار لمؤلفات أقليدس كانت ترجمة أدبية لترجمات عربية معدلة نقلها إلى العربية ثابت بن قرة . ولم يكن لها علاقة بالترجمة التي قام بها أدلارد لنفس العمل وأكثر وضوحاً واتقاناً بما لا يقاس .

وقد تمت ترجمة المجسطي في طليطلة سنة ١١٧٥ م وهي الترجمة الوحيدة من ترجمات جيرار التي تحمل تاريخاً . كانت الترجمة التي قام بها جيرار للمجسطي أقل جودة من الترجمة التي تمت لنفس الكتاب في صقلية قبل خمسة عشر عاماً ، ذلك إن نفس الكتاب نقله إلى اللاتينية عن اليونانية رأساً شخصان في صقلية أريستيبو ويوجينو Aristippo and Eugenio وكان ذلك سنة ١١٦٠م. ولكن ترجمة جيرار حازت شهرة عريضة واسعة حجبت الترجمة السابقة . وبالحقيقة فإن المجسطي قد انتشر في أوربا عن طريق ترجمة جيرارد للنص العربي . كذلك كانت ترجمات جيرار للكتب الطبية أكثر أهمية من ترجماته للكتب الرياضية والفلكية . فقد دخل إلى اللغات الأوربية عن طريقها عدد كبير من الكلمات الفنية الاصطلاحية .

ولابد من ملاحظة أن أغلب أصول هذه الترجمات العربية فقدت وسلمت ترجماتها اللاتينية فكان لها أثر مهم كل الأهمية في نشر العلوم في

الغرب ، وبالتالي كانت هذه الترجمات السبب الرئيسي في التعجيل بقدوم عصر الأحياء أو النهضة في أوربا The Renaissance .

ونورد فيما يلي لائحة رتبت فيها المداخل حسب الموضوعات ، ورتبت العناوين في الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً .

١ ـ المنطق :

١ ـ كتاب أرسطو المسمىٰ Posterior Analytics وهما كتابان نقلهما إلى العربية متىٰ بن يونس (النصف الأول من القرن العاشر) .

٢ ـ كتاب شروح ثيميستيوس Thesmistios على كتاب أرسطو سالف الذكر ، وهو كتاب واحد وأخذ غالباً من الترجمة العربية للكتاب المذكور أعلاه سالفة الذكر .

٣ ـ كتاب الفارابي الذي هو قسم من كتابه في إصلاح منطق أرسطو المسمىٰ « Aristotles Organon » ، ويسمىٰ هذا القسم من كتاب الفارابي بالاسم اللاتيني De syllagismo .

٢ ـ الفلسفة :

إن الكتب التي تحمل الأرقام من أربعة إلى عشرة هي إما كتب لأرسطو أو كتب منسوبة له وليست له :

٤ ـ De Coelo et munde (أربعة كتب) (في السماء وفي العالم) .

٥ ـ De naturali auditu (ثمانية كتب) .

٦ ـ De generatione et Corruptione (في الكون والفساد) .

٧ ـ Liber metearrarum (الكتب الثلاثة الأول) نقلاً عن الترجمة العربية بقلم يحيى بن البطريق (النصف الأول من القرن التاسع) . أما الكتاب الرابع فقد نقل قبل ذلك .

٨ ـ Liber lapidum . وهذا عمل ذكره أرنولد من سكسونيا من النصف الأول من القرن الثالث عشر .

٩ ـ De Expositione bonitatis purae . هـذا كتـاب شهيـر في الفلسفـة الافلاطونية الحديثة اسمه Liber de Causis .

١٠ ـ De Elements . هـذا العمـل في الأعم الأغلب عمـل إسـلامي محض [يمكن ترجمة العنوان بـ العناصر] .

هـذا وإن الـرقمين التـاليين ١١ و١٢ يمثـلان كتبـاً هي شـروح قـام بهـا الإسكنـدر الأفـروديتي [النصف الأول من القـرن الثـالث] على أعمـال أرسطو .

١١ ـ De Oe quod augmentun et incrementum fiunt ın forma et non in yle.

وذلك نقلاً عن الترجمة العـربية التي عملهـا أبو عثمـان سعيد الـدمشقي (النصف الأول من القرن العاشر) .

١٢ ـ De intellectu et intellecto نقلاً عن الترجمة العربية التي قام بها حنين ابن اسحاق (النصف الثاني من القرن التاسع) . وقد طبـع هذا الكتـاب سنة ١٥٠١ م .

هـذا وإن العنـاوين التـاليـة التي تحمـل الأرقـام ١٣ و١٤ و١٥ هي من تأليف الفيلسوف الكنـدي وقد كـان الكندي عـالماً مـوسوعيـاً عاش في القـرن التاسع الميلادي ، وقد ترجم جيرار قسماً كبيراً من مؤلفاته فأثرت تأثيراً عميقـاً في الشعوب اللاتينية .

١٣ ـ De quinque essentüs or (substantüs) (في الجواهر الخمسة) .

١٤ ـ De sommo et Visione (في العقل والمعقول) .

١٥ ـ De ratione, or (Verbum de intentione antiquorum in ratione)

وقد حقق هذه الكتب الثلاثة تحقيقاً علمياً ونشرها Albino Nagy وذلـك سنة ١٨٩٧ م في مونستر .

وهناك من ينسب العنوانين الأخيرين إلى يوحنا الأشبيلي الذي يذكرون أنه هو الذي ترجمها . وللفارابي كتابان فلسفيان الأول شرحه على كتاب أرسطو في التاريخ الطبيعي والثاني كتاب إحصاء العلوم .

١٦ ـ Distinictio super librum Aristotelis de naturali auditü.

١٧ ـ De Scientüs . إحصاء العلوم .

ويذكر سارتون أن هناك ترجمة لنفس الكتاب أقدم من هذه الترجمة، أو ربما ادعاء ، قام بها غونديسالفو (النصف الأول من القرن الثاني عشر) بعنوان De divisions Philosophiae ويؤكد سارتون أن ذلك ليس ترجمة حرفية للكتاب وإنما إقتباس حر[1]. على أن باحثاً آخر مثل الدوميلي يذكر أن ما قام به غونديسالفو إنما هو ترجمة لكتاب آخر للفارابي اسمه العربي مراتب العلوم وعنوانه اللاتيني De Orto Scientiarum، ويجب الا يخلط بينه وبين سابقه . ولا يوجد منه نص عربي أصلي بل حفظ في الترجمة اللاتينية المذكورة وحققه ونشره بويمسكر في مونستر سنة ١٩١٦[1] . وقد حقق النص الذي ترجمه جيرار ونشره في باريس سنة ١٦٣٨ م جوليلموس كاميراريوس Guilemus Camerarius . كذلك ترجم نفس الكتاب إلى العبرية ونشره نشراً علمياً Mich. Rosenstin في برسلاو سنة ١٨٥٨ م.

وهناك مؤلفان ينسبان لإسحاق الإسرائيلي (النصف الأول من القرن العاشر) .

١٨ ـ De elementis (العناصر).

وقد طبعت هذه الترجمة في ليون سنة ١٥١٥ م في : The Onnia opera Ysaac.

١٩ ـ De Desecriptione rerum et diffinitionibus earum et de differentia inter desecriptionem et diffintionem.

---

(1) Sartun, George. op. cit. Vol. II, p. 340.

(٢) الدوميلي . المصدر المذكور آنفاً . ص ١٨٢ .

كذلك يوجد هـذا العمل في طبعـة الكتاب المـذكور أعـلاه في Opera (ليون ١٥١٥ م).

٣ ـ الرياضيات والفلك اليوناني :

لقـد نسي الغرب أو كاد، كل شيء عن الفلك الـغربي ، وتعتبر عمليـة نقل كتاب المجسطي لبطليموس احياءاً لهذا العلم في ديار العـالم اللاتيني . ولكن : في الوقت الذي بدأ اللاتين يكتشفون بطليموس أخذ علماء المسلمين يوجهون أعنف النقد وأشده إلى نظرية بطليموس الفلكيـة . ذلك أن المسلمين بدأوا يشكون في آراء بطليموس الفلكية ، ويعتبر هذا أعظم وأهم تطور حصل في حقـل هذا العلم آنـذاك . وقد افتتـح هذا العهـد الفيلسوف الأنـدلسي ابن باجة المعروف بالغرب باسم Avenpace ، واتقن عمليـة النقد وأبـرزها بعمق جابر بن أفلح وهو أعظم فلكي في القرن الثاني عشر . ولقد كتب جابر رسـالة بعنـوان إصلاح المجسـطي . وقد تـركت هذه الـرسالـة أثراً عميقـاً في التفكير الأوربي الـوسيط عن طريق تـرجمتها إلى الـلاتينية والعبـرية ، فقـد نقلهـا إلى اللاتينية جيرار الكريموني قبل سنة ١١٨٧ م ، كما ظهـرت أول ترجمـة عبريـة لها بعد حوالي قرن بقلم موسىٰ بن طيبون اليهودي سنة ١٢٧٤ م .

٢٠ ـ كتـاب انتوليكـوس Antolycos (النصف الثاني من القـرن الرابـع ق م) واسمه (في الكرات) De Sphaera mota . وقد نقله عن ترجمة عربية بقلم اسحاق بن حنين وقسطا بن لوقا .

٢١ ـ عناصر أقليدس Elements وهي الكتب من واحد إلى خمسة عشر ، وقد ترجمها جيرار وتم اكتشافها سنة ١٩٠٤ م .

٢٢ ـ في أصول الهندسة لإقليدس Data . وقد نقلها عن تـرجمة عـربية بقلم اسحاق ابن حنين ومراجعة ثابت بن قرة .

٢٣ ـ كتاب أرخميدس De mensura Circuli وقد نقلها عن ترجمة عربية بقلم اسحاق ابن حنين ومراجعة ثابت بن قرة . (في قياس الدوائر) .

٢٤ ـ كتاب أبولونيوس Apollonios المسمىٰ كتـاب المخروطـات Conics

ولكن ليس من المؤكد أن مترجمه جيرارد .

٢٥ ـ كتاب ابسقلاوس Hypsicles (النصف الأول من القرن الثاني ق م) المسمىٰ كتاب المطالع De Asconsionbus نقلاً عن ترجمة عربية قام بها اسحاق بن حنين وثابت بن قرة .

٢٦ ـ كتاب ثيودوسيوس Theodosios (النصف الأول من القرن الأول ق م) المسمىٰ الأفلاك De Locis Habitabilibus ، نقلاً عن ترجمة عربية بقلم قسطا بن لوقا .

٢٧ ـ كتاب بطليموس Ptolemy (النصف الأول من القرن الثاني ميلادي) المسمىٰ المجسطي (الجامع) Liber almagesti . أكمل جيرار ترجمته في طليطلة سنة ١١٧٥ م وطبعت هذه الترجمة في البندقية سنة ١٥١٥ م.

٤ ـ الرياضيات العربية والفلك العربي

٢٨ ـ أبناء شاكر ، ويسمون أيضاً أبناء موسىٰ . هؤلاء هم أخوة ثلاثة عاشوا في النصف الأول من القرن التاسع اشتهروا بالأعمال الهندسية والفلكية ومن الصعب فصل أعمالهم ونسبة كل قسم إلى واحد منهم وهم محمد والحسن وأحمد. ترجم لهم جيرار كتاباً اسماه كتاب الأخوة الثلاثة في الهندسة Liber Trium Fratrum de Geometria وهو يتعلق بربط مستوىٰ التناسب العددي ، ولعل عنوانه العربي : مساحة الأكر وقياس الأسطح وقسمة الزوايا بثلاثة أقسام متساوية . وقد حقق هذا الكتاب ونشره في هاله سنة ١٨٨٥ م ماكس كورتز Max Curtez .

٢٩ ـ **الخوارزمي محمد بن موسىٰ** (النصف الأول من القرن التاسع).
كتاب الجبر والمقابلة De Jebra et almcabala . حققه غيوم ليبري Guillaume Libri ونشره في :

Histoire des Sciences mathématiques, 1878 (Vol, I, p. 253 - 297)

٣٠ ـ **الفرغاني** ، أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير (النصف الأول من القرن التاسع ميلادي) له كتاب في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم De aggregationibus Scientiae stellarum et de principiis coelestium motum وقد ترجم نفس العمل سابقاً يوحنا الأشبيلي وطبعت في فرارا Ferrara سنة ١٤٩٣ م . وقد نقل ترجمة جيرار هذه الى الفرنسية ، ومن الفرنسية إلى الإيطالية Zucchero Bencivenni سنة ١٣١٣ م . كما نقل ترجمة جيرار إلى العبرية يعقوب أناطولي Yacob Anatoli حوالي سنة ١٢٣٢ م . ثم قام يعقوب كريستمان Yacob Christmann بترجمتها مجدداً عن العبرية إلى اللاتينية ونشرها في فرانكفورت سنة ١٥٩٠ م .

أحمد بن يونس (النصف الثاني من القرن التاسع ميلادي) ويسميه الدوميلي أحمد بن يوسف الداية أبو جعفر وتوفي بعد سنة ٩١٢ م .

ترجم له جيرار الكتابين التاليين :

٣١ ـ De Arcubus similibus حققه ماكس كورتز Max Curtze ونشره في (Mitt. des Copernikus Vereins 48 - 50, 1887).

٣٢ ـ Liber Hameti de proportione et proportionalitate. وينسب إليه الدوميلي ترجمة كتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان Liber sentum Verborum Ptolemei Cum Commento Haly . ويشك الدوميلي في أن يكون المترجم جيرار يذكر أن من الظاهر أن يكون المترجم أفلاطون التيفولي[1] . وقد أثر الكتاب المذكور أولاً (رقم ٣١) تأثيراً ملحوظاً في مؤلفات ليوناردو بيزانو وجوردانوس تيمورا ريوس . .

٣٣ ـ كتاب الفضل بن حاتم النيريزي (Al - Nairizy) (النصف الثاني من القرن التاسع ميلادي) : شروح على عناصر إقليدس : الكتب من واحد إلى عشرة تحقيق ماكس كورتز Max Curtze وقد جعلها على شكل

---

(١) نفس المصدر. ص ١٦٦ .

ملحق لطبعة هيبرج ومينج لاقليدس Heiberg and Menge, edition of Eclid (Leipzig, 1899).

ثابت بن قرة (النصف الثاني من القرن التاسع ميلادي).

نحن مدينون لثابت بن قرة بترجمة مؤلفات أبولونيوس وأرخميدس وأوطيقوس وإقليدس . كما ألف عدداً من المؤلفات المهمة .

٣٤ ـ استعمال الأسطرلاب الكروي De figura Alchata.

٣٥ ـ De Expositione nominun Almagesti (لعله إصلاح المجسطي).

٣٦ ـ De motu accessionis et recessionis . طبع هذا الكتاب ثلاث مرات (١٤٨٠، ١٥٠٩، ١٩١٨) تحت العنوان التالي De motu octavide sphaerae.

٣٧ ـ كتاب أبي كامل في حساب الجبر والمقابلة :

Liber qui Secundum Arabes Vocatur algebra et almucabala.

٣٨ ـ كتاب أبي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي (النصف الأول من القرن العاشر ميلادي) المسمى شرح على الكتاب العاشر من أصول أقليدس . حققه ونشره بونكومباني B. Boncompagni تحت العنوان التالي Liber Judasi super decimun Euclidis De numeris et lineis (سنة ١٨٦٣) . كذلك حقق نفس العمل ونشره في لايزيغ سنة ١٨٩٩ م كورتز . ملاحظة : ينسب نفس العمل إلى مؤلف آخر هو أبو بكر محمد بن عبد الله الباقي البغدادي (النصف الثاني من القرن الحادي عشر).

٣٩ ـ كتاب الأنواء تأليف عريب بن سعد (النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي) Liber anohe وهو تقويم مسيحي يحوي معلومات فلكية وزراعية وقد حققه ونشره G. Libri بعنوان Liber anoe, in: Histoire des Sciences mathématiques (Vol. I, 213 - 455 . 1838).

جابر بن أفلح من علماء الفلك الأفذاذ توفي في قرطبة سنة ١١٥٠ م. وقد ألف تسعة كتب في الفلك وعلم المثلثات ويعتبر أشهر فلكي في القرن الثاني عشر ، وهو الذي أشرف على بناء برج الخيرالدا بإشبيلية فكان ذلك أول مرصد فلكي يقام في أوربا . وقد أخضع نظرية بطليموس للنقد واعترض عليها لأن عجزها بادٍ للعيان . وقد ذاعت رسالته إصلاح المجسطي ليس فقط في العالم الإسلامي وإنما أيضاً لدىٰ اللاتين واليهود وظلت مدة قرون وهي معتبرة أنها آخر شيء في الموضوع وذلك عن طريق ترجماتها إلى اللاتينية والعبرية .

وقد نبغ في الأندلس فلكي آخر عظيم هو المسمىٰ الزرقالي (اسمه اللاتيني Arzachel) وقد أصلح الأسطرلاب ونشر إصلاحه هذا في كتاب اسمه الصفيحة ، كما وأصدر ما سمي بالجداول الطليطلية ، وهي جداول فلكية من عمله وعمل آخرين . هذا وإن تركيب الجداول الفلكية يتضمن بالضرورة معرفة نظريات تتعلق بعلم المثلثات والتي كانت في الغالب تشرح في الفصول التمهيدية لتلك اللوحات مع الحسابات الفلكية الأخرىٰ . وهذا ما حدث لجداول طليطلة التي حسبها وألفها الزرقالي في النصف الثاني من القرن الحادي عشر . وقد قدم الزرقالي وصفاً كاملاً لعلم المثلثات والمعرفة به التي كانت سائدة آنذاك وما هي المبادىء التي استند إليها في تأليف جداوله . وقد نقل جيرار الكريموني رسالة جابر بن أفلح في إصلاح المجسطي والجداول الطليطلية للزرقالي إلى اللاتينية فكان لها تأثير مهم كل الأهمية ومباشر في نشوء وتطور علم الفلك لدىٰ اللاتين .

٤٠ ـ كتاب جابر بن أفلح ويسميه اللاتين Geber المسمىٰ إصلاح المجسطي . وقد حققه ونشر نصه اللاتيني Peter Apion تحت عنوان Gebri filü alfa hispalensis de Astronomia libri IX in quibus Ptolemaeum, alioqui doctissimum, emendavit. Nürnberg, 1534.

٤١ ـ De practica geometrie . وهي رسالة في الهندسة التطبيقية مجهولة المؤلف والتاريخ .

٤٢ - Liber Coaequationis planetarun .

هذا وإن المواد الثلاثة التالية هي جداول فلكية .

٤٣ - Tabuloe Jaén. Liber Tabularum iahen cum regulis suis Tabulae Gebri al Jaihani.

إن جيان الوارد ذكرها في العنوان أعلاه بلدة في الأندلس مهمة ، ومن المفروض أن النسبة الجياني هي نسبة المؤلف إلى تلك البلدة . وربما كان المؤلف أبا عبدالله محمد بن يونس بن أحمد الجياني من قرطبة الذي ولد سنة ٩٩٠ م . وربما كان المؤلف الوزير والقاضي أبا عبدالله محمد بن معاذ من إشبيلية الذي كتب رسائل فلكية عن الفجر وعن الكسوف الكلي الذي حدث يوم ٣ تموز سنة ١٠٧٩ م .

٤٤ - الجداول الطليطلية تأليف الزرقالي (النصف الثاني من القرن الحادي عشر) واسمها اللاتيني Canones Arzachelis . وهناك عدد كبير من المخطوطات اللاتينية لهذه الجداول الشعبية .

٤٥ - Liber omnium sphaerarum Coeli et Compositionis Tabularum.

٥ - الفيزياء والميكانيك :

يعتبر الكندي ، واسمه الكامل أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح واسمه اللاتيني Alkindus ، عالماً موسوعياً جماعاً للعلوم ألف في أغلب فروع المعرفة في زمانه وتجاوز عدد كتبه ورسائله ال ٢٥٠ كتاباً ورسالة ، أغلبها مفقود . ولقد نقل جيرار قسماً كبيراً من مؤلفاته إلى اللاتينية فأثرت تأثيراً عميقاً في شعوب الغرب . وقد استمر نفوذه زمناً طويلاً في الغرب . وهناك عملان من أعماله اكتسبا أهمية خاصة الأول رسالة في البصريات القياسية الهندسية والفيزيائية «Aspectibus » وقد أثرت أعظم تأثير في روجير بيكون وويتيلو Witelo وغيرهما . والثانية هي « DE medicinarum Compositarum gradibus» وهي عبارة عن محاولة خارقة للعادة لتأسيس علم الأدوية استناداً

إلى قاعدة رياضية . ويعتبر كاردانو Cardano الكندي واحداً من إثني عشر مفكراً هم أعظم مفكري العالم .

٤٦ ـ رسالة الكندي في البصريات القياسية الهندسية والفيزيائية De aspectibus, followed by De umbris et de diversitate aspecturm... ed. by A.A. Bjàrnbo and seb. Vogl. Leipzig, 1912.

٤٧ ـ كتاب ثابت بن قرة : رسالة في العمل بالقرسطون . ترجم تحت اسم Liber Charastonis Sève de statera (القرسطون يعني ميزان الذهب).

ابن الهيثم ، أبو علي الحسن بن الحسن ١٠٢٩ م . وباللاتينية Alhazeni .

يعتبر ابن الهيثم قمة من القمم في حقل البصريات . ولقد كان الاهتمام بالضوء والبصريات عظيماً خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر سواء في دنيا الإسلام أو في أوربا النصرانية . فقد شاهدت هذه الفترة أعمال روجر بيكون وجون بيكهام وويتيلو وجان الباريسي . وهناك مؤلفات عربية لكل من أحمد بن ادريس القرافي وقطب الدين الشيرازي وكمال الدين الفارسي ، وهناك المؤلفات العبرية لإفراد أسرة لاوي بن غرسون . إن جميع هؤلاء البحاثة قد شربوا من نفس المنهل الذي هو كتاب المناظر لابن الهيثم الذي عرفه الغرب اللاتيني باسم Opticae Thesaurus Alhazeni وهو كتاب يجب وضعه بين الأعمال الخالدة الهادية ، ذلك إنه أثر أعظم الأثر في التفكير العلمي لمدة ستة قرون على الأقل . ولقد وجد مؤلفون لاتين أتوا بعد ابن الهيثم بفترة تزيد على القرنين وألفوا في الموضوع ذاته ، ولكنهم لم يأتوا بجديد ، فإن كتاب جون بيكهام المسمىٰ La Perspectiva de John Peckam (١٢٢٨ ـ ١٢٩١) ليس إلّا اقتباساً ناقصاً من كتاب ابن الهيثم ، كما وإن كتاب ويتيلو المتوفي بعد سنة ١٢٧٠ م والمعروف باسم De Perspectiva de Witelo مأخوذ ـ في قسم كبير منه ـ عن ابن الهيثم ، ولا يتجاوز النتائج التي توصل إليها هذا على

الإطلاق . وقد أدت ترجمة كتاب المناظر الى اللاتينية إلى وجود نفوذ عظيم متزايد على العلم الغربي (كما هي الحال مع روجير بيكون وكبلر) وقد أظهر الكتاب نجاحاً فائقاً وتقدماً عظيماً في حقل الأسلوب التجريبي . وإن تقدم هذا العلم مدين للمسلمين بتقدم حقيقي باق مقرون باسمهم على مر الدهور . هذا وإن أول كتاب نشر لابن الهيثم ليس كتاب المناظر وإنما هو كتاب صغير عن الفجر والشفق ترجمه جيرارد الكريموني .

٤٨ ـ كتاب عن الفجر والشفق De Crepusculis et nubium ascensionibus
وقد ظهر في بال سنة ١٥٧٢ مع كتاب ابن الهيثم المناظر وكتاب ويتيلو عن الضوء تحقيق فريد ريسنر Fried Risner .

٤٩ ـ كتاب المناظر Opticae وقد نشره في بال سنة ١٥٨٢ م فريد ريسنر بعنوان Opticae thesaurus Libri Septem nune Primum editi Alhazeni Arabis.

٦ ـ الطب اليوناني :

٥٠ ـ Liber Veritatis Hippocratis de istis qui laborant inagone mortis.
ينسب هذا العمل إلى أبقراط ، وهناك كثير من الترجمات المختلفة لهذا العمل إلى العربية . إحدىٰ هذه الترجمات تعزىٰ إلى يحيى بن البطريق ، وأخرىٰ ترجمها حنين بن اسحاق . وقد طبعت الترجمتان مع كتاب الرازي المسمىٰ المنصوري : Liber ad Hlmanasarem (1497, 1500) هذا وإن جميع المواد المحصورة بين رقمي ٥١ و٦٠ هي رسائل بقلم جالينوس أو منسوبة له ، وجميعها نقلها إلى العربية حنين بن اسحاق باستثناء الرسالة التي تحمل الرقم ٥٧ ، فإن من الممكن أن يكون ناقلها إلى العربية يحيىٰ بن البطريق .

٥١ ـ Commentary on Hippocrates, Regimen acutarum egritudinum .

٥٢ ـ Commentary on Hippocrates, Pragnostica لعله رسالة تقدمة المعرفة .

٥٣ ـ De elementis (لعله كتاب الفصول).

٥٤ ـ De secretis ad Monteum (مشكوك في نسبته إلى جالينوس).

٥٥ ـ (لعله كتاب المزاج) The Complexionibuss or de temperamentis.

٥٦ ـ The Malicia complexionis diverse, or de inaequali (لعله كتاب سوء المزاج المختلف) أو كتاب رداءة النفس و Intemperentie.

٥٧ ـ De Simplici medicina , or, De Simplicibus medicamentis (كتاب الأدوية المفردة).

٥٨ ـ De Creticis diebus.

٥٩ ـ De Crisi.

٦٠ ـ Tegni.

٧ ـ الطب العربي :

٦١ ـ كتاب الكندي : في معرفة قوى الأدوية المركبة .

De gradibus medicinarum, or De medicinarum Compositarum gradibus imvestigandis, printed With the Latin translation of Ibn Butlan's Tacuinum opusculum... de dosibus (ستراسبورج ١٥٣١ م والبندقية ١٥٥٦ م). وقد ترجم نفس العمل ارنولد من فيللانوفا Arnold of Villanova.

٦٢ ـ كتاب يوحنا بن ماسويه (النصف الأول من القرن التاسع) المسمىٰ Aphorisms.

٦٣ ـ كتاب يحيى بن سيرافيون (النصف الثاني من القرن التاسع) المسمىٰ كتاب الكناش Breviarium Proctica Joannis separionis dicta breviarium, (البندقية ، ١٤٩٧ م).

يعتبر الرازي ، أبو بكر محمد بن زكرياء من أشهر أطباء وفلاسفة

المسلمين ، وكان عالماً موسوعياً ولكنه اشتهر كطبيب ثم كفيلسوف ، وقد نقلت كتبه الطبية إلى اللاتينية من زمن مبكر ومارست نفوذاً عظيماً مدىٰ عدد من القرون . كما ونقلت أيضاً إلى العبرية . ويعرف بالغرب باسم Rhazes، وأشهر كتبه الطبية كتابان الأول الحاوي وقد نقل في العصور الوسطىٰ إلى اللاتينية والعبرية ، وهو كتاب ضخم ظل يدرس في جامعات أوربا حتى أوائل القرن السابع عشر ، والثاني كتاب المنصوري وأهداه إلى الأمير منصور أمير خراسان وهو الذي نقله إلى اللاتينية جيرار . وهو أصغر من الحاوي ولكنه عظيم القيمة ، وكان أشهر من الحاوي ، على الرغم من اشتماله على عشرة كتب فقط ، وقد ترجم في القرون الوسطىٰ إلى عدد كبير من الترجمات اللاتينية .

٦٤ ـ كتاب المنصوري Liber Albubatri rasis qui diciture Almansorius في عشرة كتب ، وقد نشر أول ما نشر في ميلانو سنة ١٤٨١ م وأعيد نشره كثيراً . كما نشرت أجزاء مفردة منه حديثاً ، كما ترجم الكتاب كله إلى الفرنسية ونشر مع النص العربي بقلم كونين P. de Koning في لايدن سنة ١٩٠٣ م . ونشر الكتاب العاشر منه على الأخص نشراً مستقلاً وتمتع بشهرة عظيمة .

٦٥ ـ كتاب طبي للرازي عنوانه اللاتيني Liber divisionum Continens CL III Capitula Cum quibusdam Confectionibus ejusdem (لعله كتاب التقسيم والتشجير) .

٦٦ ـ كتاب آخر للرازي بعنوان Liber introductarius in medicina parvus (لعله كتاب المدخل إلى الطب) .

٦٧ ـ كتاب آخر للرازي عنوانه De Juncturarum aegritudinibus

ملاحظة : توجد جميع كتب الرازي الطبية من الرقم ٦٤ إلى الرقم ٦٧ في كتاب الر زي المنشور في البندقية سنة ١٥٠٠ م مع نصوص أخرىٰ قليلة تحت اسمه Opera .

نصل الآن لذكر طبيب عربي ذائع الصيت هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفي سنة ١٠١٣ م. ربما كان أعظم الجراحين العرب على وجه الخصوص، وكان مقدراً عند اللاتين ومعروفاً باسم Abulcasis. ألف دائرة معارف طبية كبيرة هي كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وقد نقل جيرار الكريموني قسم الجراحة منه في حدود سنة ١١٧٠ م على حين نقل القسم الطبي فيما بعد سمعان الجنوي وإبراهيم الطرطوشي . ويتألف الكتاب من عدة أقسام : قسم للطب وقسم للصيدلة وقسم للجراحة . وقد وردت ترجمة هذا العنوان في صور مختلفة لصعوبة ترجمته وأشهر هذه الصور Concessio ei data qui Componesrehaud Valet.

٦٨ ـ كتاب الجراحة Liber Azaragui de Cirurgia . يوجد هذا القسم الجراحي في العنوان التالي Albucasis Methodus medendi, cum instrumentis ad. omnes fere morbos depictis, Bassilea, 1541.

إن ابن سينا مشهور كفيلسوف وكطبيب ، ولكن شهرته كفيلسوف لم تطغ على شهرته كطبيب ذلك إنه اشتهر ، في الشرق والغرب علىٰ السواء ، بكتبه الطبية الكثيرة والتي أشهرها القانون . عاش ابن سينا في النصف الأول من القرن الحادي عشر وعرف بالغرب باسمه اللاتيني Avicennae. إن كتاب القانون هو موسوعة طبية وكان نوعاً من توراة طبية لعدد كبير من القرون وقد نقله إلى اللاتينية جيرار الكريموني. وقد ترجم أجزاءً منه فيما بعد إلى العبرية زراحيا جراسيان وموسىٰ بن طيبون ، ونقل الكتاب كله إلى العبرية سنة ١٢٧٩ م ناثان ها ـ ميئاتي ، على حين تمت الترجمة اللاتينية في وقت أبكر بقرن من هذا التاريخ . كان القانون أضخم وأعلىٰ مستوىً وفهماً مما جعله بعيداً عن متناول كثير من الأطباء اليهود والنصارىٰ ولكنهم كانوا يعرفونه ويعرفون أنه كتاب خالد وأثر عظيم في التعاليم الطبية والحكمة الطبية . وقد انتشرت معرفة القانون بعد النصف الثاني من القرن الثالث عشر أما مباشرة أو بطريقة غير مباشرة . كما وإن ابن سينا عرف في الغرب بأعمال أخرىٰ أقل شهرة من القانون مثل الأرجوزة وكتاب الشفاء وغيرهما . وهكذا بينما كان

الغرب والمؤلفون اللاتين في القرن الثاني عشر لا يملكون إلاّ معرفة ناقصة كل النقص في الطب العربي ، فإنهم أصبحوا بعد عهد جيرار وترجمته للقانون يمتلكون أساسيات ذلك العلم باللغة اللاتينية ، وفقد بالتالي تعلم العربية أهميته باعتباره وسيلة أساسية لتعلم الطب . فقد كان القانون في نفسه موسوعة كاملة للطب اليوناني العربي . وممّا يدلنا على أهمية هذا الكتاب وانتشاره إنه طبع في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر ست عشرة طبعة وطبع أكثر من عشرين طبعة في القرن السادس عشر . ولا تشمل هذه الطبعات ما طبع من أجزائه طبعات متفرقة أو ما ألف في شرحه باللاتينية أو العبرية أو اللغات المحلية مما لا يحصيها العد ، واستمر في طبع الكتاب وتدريسه في الجامعات الأوربية حتى نهاية القرن السابع عشر . وربما لم يدرس كتاب في الطب على مر العصور كما درس هذا الكتاب . وقد بلغ الطب العربي الإسلامي عن طريق عميد الأطباء وأميرهم أوج عزه وعظمته ومجده في ديار الغرب .

٦٩ ـ القانون لابن سينا Canon Avicennae libri quinque .

٧٠ ـ كتاب ابن الوافد ، واسمه الكامل أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم بن يحيىٰ ٩٩٧ ـ ١٠٧٤ م ، الأدوية المفردة De medicinis et cibis simplicibus, or, De Simplicium medicinarum virtutibus. Printed with Ibn Butlan's Tacuinum (Strassburg, 1531).

٧١ ـ كتاب علي بن رضوان (توفي سنة ١٠٦١ م) المسمىٰ « **شرح الصناعة الصغير** » وهو شرح لكتاب جالينوس المسمىٰ باللاتينية Tegni وبالعربية كتاب الصناعة .

Haly Eben Rodan's. Rodoham Aegyptius Commentarius in artem parvam (Venice, 1496).

٨ ـ علم التنجيم العربي :

ترجم عدد كبير جداً من الرسائل العربية الباحثة في هذا العلم الى

اللاتينية قبل عهد جيرار وفي عهده وبعده ، وعلى الرغم من أن قسماً كبيراً منها لا أهمية له ، إلاّ أنها ساعدت في تنمية شيء من الروح العلمية لدى البعض بما حوته من وصفات وأفكار علمية مبثوثة هنا وهناك في ثنايا الرسائل وقد نسب قسم كبير منها إلى أبي معشر البلخي وما شاء الله .

٧٢ ـ رسالة تنسب لأحد رجلين أما الفضل بن نوبخت (النصف الثاني من القرن الثامن) أو الفضل بن سهل السرخسي (النصف الأول من القرن التاسع) وذلك لورود اسم الفضل فيها Liber Alfadholi est arab de bach.

٧٣ ـ عدد من الرسائل تنسب لما شاء الله ، ويسمى أيضاً منشه (النصف الثاني من القرن الثامن) De orbe, also De scientia motus orbis, De elementis et orbibus coelestibus, De ratione circuli Coelestis, De natura orbium. Printed in Nurenberg 1504 and 1549.

٧٤ ـ كتاب لمن اسمه في اللاتينية Arcandam (النصف الأول من القرن العاشر) وعنوانه «Alchandrus» « Alcandrinus» de Veritatibus et praedictionibus astrologiae Paris, 1542.

٧٥ ـ رسالة مجهولة المؤلف بعنوان :

Liber in quo terrarum corporunque Continentur mensutationes Abhabuchri, qui dicepatur Hens.

٧٦ ـ رسالة في الفأل ، والفأل هو الفيل Liber de accidentibus alfel .

٩ ـ الصنعة :

٧٧ ـ جابر بن حيان (النصف الثاني من القرن الثامن).

كتاب السبعين Liber divinitatis de LXX

وسمي بهذا الاسم لأنه يحوي سبعين مقالاً أو رسالة .

٧٨ ـ كتاب الرازي المسمىٰ كتاب حجارة الزاج والشب:

De aluminibus et salibus. Latin text With English Summery, discussion and a glossary.

٧٩ ـ كتاب آخر للرازي ، عنوانه اللاتيني :

Liber luminis luminum, Liber qui dicitur lumen luminum et perfecti magisterü

٨٠ ـ كتاب آخر للرازي ، عنوانه اللاتيني :

Liber geomantie de artibus divinatorüs.

وهناك عدد آخر من رسائل صغيرة باحثة في الصنعة والتنجيم والكيمياء أقل أهمية بكثير مما ذكرنا ، مجهولة المؤلف تنسب للمترجم المذكور أضربنا عن ذكرها لقلة فائدتها وعدم جدواها .

وقد درست هذه الترجمات الجديدة في شارتر حيث كان بها أشهر مدرسة في القرن الثاني عشر وقام بتدريسها تيري أوف شارتر وويليام أوف كونش وعلماء آخرون .

لقد غطىٰ نشاط جيرار الكريموني على نشاط غيره ممن عاصروه في مركز الترجمة في طليطلة، كما غطت سمعته وحجبت شهرته وشخصيته زملاءه ومعاونيه الآخرين ، ولن يكون في مقدورنا أن نتحدث عمن بقي منهم إلاّ حديثاً قصيراً مبتوراً .

من هؤلاء مارك الطليطلي **Marc of Toledo**.

يبدو أن فترة نشاطه كانت حول نهاية القرن الثاني عشر . تذكر المصادر نه نقل إلى اللاتينية الكتب التالية :

ـ القرآن الكريم .

ـ كتاب أبقراط : في الاهوية والمياه والبلدان، وعنوانه اللاتيني

De àere aquis locis

٣ ـ رسالة لجالينوس بترجمة حنين بن اسحاق De tactu pulsus

٤ ـ رسالة لجالينوس بترجمة حنين بن اسحاق De utilitate pulsus

٥ ـ رسالة لجالينوس بترجمة حنين بن اسحاق De motu membrorum

٦ ـ رسالة لجالينوس بترجمة حنين بن اسحاق De Isagoge Johannitü ad Tegni Galeni.

٧ ـ رسالة بعنوان لاتيني Motibus liquidis

هذا ويعتبر البعض مارك هذا الند الأصغر لجيرار ، كما وإنه نقل بعض رسائل في الصنعة .

الفرد دو ساراشيل Alfred de Sarashal (أوائل القرن الثالث عشر) .

كذلك تعاصر مع جيرار مترجم آخر غمره جيرار بسمعته ولذا فالأخبار عنه قليلة . ويبدو أنه اشتغل في مكتب الترجمة في طليطلة وعمر حتى أوائل القرن الثالث عشر ، وترجم من الكتب إلى اللاتينية ما يلي :

١ ـ كتاب منحول لأرسطو في النبات . وقد فسره نيقولاوس وترجمه عن اليونانية اسحاق بن حنين وصحح هذه الترجمة ثابت بن قرة . وقد لعب هذا الكتاب دوراً معلوماً في العلم العربي ، ثم بعد ذلك في العلم اللاتيني في العصور الوسطىٰ . وقد فقد الأصل اليوناني لهذا الكتاب ولا يعرف إلّا بترجمة دو ساراشيل هذه . وقد انتشر الكتاب في الغرب اللاتيني بهذه الترجمة . وقد نشر الكتاب في : Mélanges de l'Université saint Joseph; Beirut, 1922 - 24.

٢ ـ كتاب الشفاء لابن سينا (أو بالأحرىٰ القسم الكيماوي والجيولوجي منه) ويسمىٰ باللاتينية Avicennae Mineralio. لقد كان هذا الكتاب وكتاب أرسطو المسمىٰ الآثار العلوية Meteorologia وكتاب العناصر الذي ينسب إلى أرسطو وكتابُ الشفاء لابن سينا هي مصادر المعرفة عن الجيولوجيا في أوربا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد ترجم كتاب العناصر جيرار الكريموني كما ترجم دوساراشيل كتاب الشفاء ، وقد مارست ترجمة دوساراشيل لهذا الكتاب نفوذاً واسعاً كل السعة على كتاب أوربا ، فقد

ساعدتهم على حفظ روحهم الانتقادية تجاه دجل وكذب السيماويين . ولقد استقىٰ فنسانت من بوفيه Vincent of Beauvais وألبرت الكبير معلوماتهما الجيولوجية من هذين المصدرين عندما ألفا موسوعتهما الكبيرة ، وبشكل خاص من ابن سينا ، فقد أعادا في كثير من المناسبات كلمات ابن سينا نفسه وخصوصاً عند كلامهما عن حركات البحار والحث والائتكال .

٣ ـ عدد كبير من الرسائل الصغيرة في الكيمياء والصنعة .

هذا كل ما نعرفه عن هذا الناقل .

هناك ذكر لعدد من الكتب العربية نقلت إلى اللاتينية ، وواحد منها نقل إلى اليونانية دون أن يكون عندنا معلومات كافية ، نوردها فيما يلي استكمالاً للفائدة وتتميماً للبحث .

فقد ترجم الإيطالي أكيوريوس Accurius في شمالي إيطاليا ، في حدود سنة ١٢٠٠ م ، كتاب جالينوس في قوىٰ الأطعمة De Vibirus Alimentarum ، وقد نقله عن الترجمة العربية التي عملها للكتاب حبيش .

كذلك يرد ذكر لرسالة ألفها الرازي عن طب الأطفال ، وهي الوحيدة من نوعها وموضوعها في أوائل القرون الوسطىٰ الأوربية ، وقد ترجمت إلى اللاتينية والعبرية . ويبدو أن الترجمة اللاتينية تمت على يد أحد تلاميذ جيرار الكريموني لا علىٰ يده هو كما يبدو .

وقد وجدت رسالة تبحث في تفسير الأحلام ألفها أحمد بن سيرين مفسر الأحلام لدىٰ الخليفة المأمون (النصف الأول من القرن التاسع)، ويبدو أنه ألفها مستنداً إلى أصول هندية ومصرية وفارسية . ويبدو أن النص العربي للرسالة فقد ، ولكنها موجودة في ترجمة يونانية . وقد نقل النص اليوناني إلى اللاتينية ليوتوسكوس Leo Tuscus سنة ١١٧٦ م . وعلىٰ الغالب فإن أحمد بن

سيرين هو أبو معشر البلخي الذي وجد في عصر المأمون[1]. هذا وإن الطبعة اللاتينية لهذا العمل وهي طبعة فرانكفورت سنة ١٥٧٧ م تسمىٰ المؤلف Apomasar ويبدو أن هذا الاسم هو تشويه لأبي معشر .

وقد حقق رسالة ابن سيرين ونشرها Nicolas Rigaul وضمنها في الكتاب الذي نشره عن Artemidoras (النصف الثاني من القرن الثاني) وصدر في باريس سنة ١٩٠٣ م . وهناك ترجمة لاتينية أخرىٰ لنفس العمل قام بها Leunclavius نشرت في فرانكفورت سنة ١٥٧٧ م ، وهي تختلف عن ترجمة توسكوسي سالفة الذكر .

النقلة اليهود:

إن جميع الرسائل الطبية التي ألفها مؤلفون يهود في القرن الثاني عشر كتبت بالعربية ، هذا برهان دامغ على سمو اللغة العربية واعتبارها لغة العلم حتى من قبل غير الناطقين بالضاد ، وقد نقلت ، بعد فترة وجيزة جداً إلى العبرية ، وفي أحوال كثيرة نقلت من العبرية إلى اللاتينية. فقد ترجمت أعمال أبن ميمون ـ وهو مؤلف يهودي أندلسي انتقل إلى مصر وعاصر صلاح الدين الأيوبي وأولاده من بعده ألف الغالبية الساحقة من مؤلفاته باللغة العربية واشتهر كفيلسوف وكطبيب ـ إلى العبرية على يد عدد من المترجمين من أمثال زراحيا غراسيان وموسى بن طيبون ، وترجمت إلى اللاتينية ، بعد هنيهة ، على يد كل من يوحنا من كابوا وارمينغو بن بليس .

ولقد تعاصر مع جيرار ومدرسته عدد من المترجمين اليهود يستحقون الذكر وساهموا في نقل المعرفة الإسلامية إلى أوربا عن طريق ترجمتها إلى اللغة العبرية . من أهم هؤلاء النقلة :

يوسف قمحي Joseph Qimhi. يهودي إسباني. نحوي ورجل دين وناقل من العربية إلى العبرية . ولد في جنوبي إسبانيا ونبغ في ناربونة وولد سنة

(1) Sartun, George. op. cit. Vol. I, p. 558.

١١٠٥ م وتوفي سنة ١١٧٠ م .تابع نشاط إبراهيم بن عزرا وإبراهيم بن حييا في نقل الفكر العربي اليهودي إلى سكان أوربا النصرانية . ترجم من العربية إلى العبرية كتاب الهداية إلى فرائض القلوب تأليف بحيا بن يوسف Bahya (النصف الأول من القرن الثاني عشر) ، كما وترجم شعراً منظوماً باللغة العبرية كتاب مختار الجواهر لأبن جبيرول .

يهودا بن طيبون Judah Eben Tibbon :

أسرة طيبون أسرة يهودية أندلسية نبغ فيها عدد كبير من النقلة من العربية إلى العبرية ونقلت عدداً كبيراً من الكتب العربية إلى العبرية . أولها يهودا بن طيبون المسمى أبو النقلة اليهود . ولد في غرناطة سنة ١١٢٠ م ونبغ هناك حتى حوالي ١١٥٠ م ثم انتقل إلى مقاطعة البروفانس واستقر بها حتى وفاته سنة ١١٩٠ م ، وقد نقل عدداً من الكتب العربية إلى العبرية بين سنتي ١١٦١ م و١١٩٠ م ، وقد أدخل إلى العبرية عدداً من المصطلحات العلمية الجديدة ذات الأصل العربي ، وقام بترجمة الأعمال التالية .

١ ـ كتاب الأمانات والاعتقادات تأليف سعديا بن يوسف Saadia (النصف الأول من القرن العاشر)، وقد نقله من العربية إلى العبرية تحت العنوان التالي : Sefer haemunot Weha - de, ot وذلك حوالي سنة ١١٨٦ وقد طبع في القسطنطينية سنة ١٥٦٢ م .

٢ ـ كتاب إصلاح الأخلاق لابن جبيرول (النصف الأول من القرن الحادي عشر) وقد نقله تحت اسم Tiqqun middot ha - nehesh وقد طبع في القسطنطينية سنة ١٥٥٠ م .

٣ ـ كتاب مشكاة الجواهر لنفس المؤلف ، ولكن ليس هناك براهين كافية على أنه قام بهذه الترجمة .

٤ ـ كتاب ابن جناح (النصف الأول من القرن الحادي عشر) المسمىٰ كتاب اللمع ، وهو كتاب في القواعد نقله تحت اسم Sefer ha - riqmah حوالي

سنة ١١٧١ م ، وقد حققه B. Goldberg (فرانكفورت ، ١٨٥٦ م) وهناك طبعة جديدة تحقيق Micheal Wilensky (برلين ، ١٩٢٨ م).

٥ ـ كتاب الأصول لابن جناح المذكور أعلاه ، وهو قاموس عبراني نقله تحت اسم Sefer ha - shorashim وذلك سنة ١١٧١ م . وقد حققه ونشره Wilhelm Bocher (برلين ، ١٨٩٦م).

٦ ـ كتاب الحجة ليهودا بن لاوي Judah ha - Lawi (النصف الأول من القرن الثاني عشر) وقد ترجمه سنة ١١٦٧ م تحت عنوان Sefer ha - kuzari وطبع في فانو سنة ١٥٠٦ م .

٧ ـ كتاب الهداية إلى فرائض القلوب ليحيا بن يوسف (النصف الأول من القرن الثاني عشر) وقد نقله تحت العنوان التالي :- Torat hobot ha - lebahot وذلك حوالي سنة ١١٦٨ م . وقد حجبت هذه الترجمة ترجمة نفس الكتاب التي قام بها يوسف قمحي . وقد حقق هذا الكتاب اسحاق بنياكوب (ابن يعقوب) واسحاق جيلينك (لينبريغ، ١٨٤٦ م).

صمويل بن يهودا بن طيبون . هذا ابن يهودا المذكور آنفاً . عاش طويلاً في الأندلس ثم انتقل إلى مرسيليا حيث مات فيها سنة ١٢٣٠ م . وقد نقل عدداً مهماً من الكتب إلى العبرية .

١ ـ كتاب دلالة الحائرين لابن ميمون وذلك حوالي سنة ١٢٠٤ م .

٢ ـ كتاب الآثار العلوية لأرسطو المسمىٰ باسم The Meteorology .

٣ ـ كتاب علي بن رضوان المسمىٰ شرح الصناعة الصغيرة لجالينوس المسمىٰ بالاسم اليوناني Tegni وذلك سنة ١١٩٠ م .

هذا إلى جانب ترجمته لعدد من الكتب لابن رشد .

وسيكون لنا عود إلى ذكره في الفصل القادم إن شاء الله تعالىٰ .

وإذا أردنا أن نلخص ما مر قلنا أن شخصية جيرار الكريموني كانت هي الطاغية وهي المسيطرة في حقل النقل، فقد نقل ما ينوف على ثمانين عملاً

من العربية إلى اللاتينية . وهذا يعني أنه نقل مكتبة كاملة من العربية إلى اللاتينية . وعلى الرغم من أنها تحوي أعمالاً صغيرة هي رسائل حجمها صغير وأهميتها العلمية قليلة كنقله لرسائل في الصنعة والتنجيم وما ماثل ، إلاّ أنه يبقىٰ صحيحاً أنه نقل أعمالاً ضخمة حجماً ورائعة ومهمة كل الأهمية محتوى ومستوىٰ. ولعل أهم هذه الكتب تقع في حقل الفلك والطب ككتاب المجسطي لبطليموس وكتاب إصلاح المجسطي وكتب الفرغاني والبتاني وكتاب القانون في الطب لابن سينا وكتاب المنصوري للرازي . وأدىٰ ذلك إلى اطلاع علماء أوربا اللاتينية على خلاصة المعرفة الإنسانية المتمثلة فيما نقله المسلمون عن اليونان وفيما أبدعوه هم أنفسهم في هذه الحقول ، وهي حقول الطب والفلك والرياضيات ، مما أدىٰ ارتفاع مستواهم الثقافي والمهني في هذه الحقول ، وأدىٰ ذلك ، بالتالي ، إلى حدوث نهضة في أوربا وإلى بداية محاولة القوم التأليف في هذه الحقول .

وعلىٰ الرغم من وجود عدد آخر من النقلة كانوا معاصرين لجيرار إلاَّ أنهم لا يوازنون به لا من قريب ولا من بعيد .

أما النقلة اليهود ، فقد نقلوا مؤلفات يهودية ألفت بالعربية إلى اللغة العبرية . ولكن إذا لاحظنا أن مؤلفي الكتب اليهود عاشوا بين ظهراني المسلمين وألفوا بلغتهم وتأثروا بالحضارة الإسلامية ، وانعكس هذا التأثر في مؤلفاتهم أدركنا أهمية هذه النقول بالنسبة لليهود العائشين في أوربا ، والذين لم يكونوا يعرفون العربية ، وبالتالي أدركنا أهميتها في رفع مستوىٰ العلماء اليهود في أوربا ، ولا سيما أن كثيراً منها نقل إلى اللاتينية .

ولكن تيار الترجمة والنقل لم يتوقف ، ولعله ازداد وبلغ ذروة نشاطه في القرن الثالث عشر . وهذا ما سيكون موضوع الحديث في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

الفَصْل الثّالِث
النّقْل وَالنّقلة
في القرن الثالث عشر ميلادي

الفصل الثالث

النقل والنقلة في القرن الثالث عشر ميلادي

استمر تيار النقل من العربية إلى اللاتينية خلال القرن الثالث عشر ، وظلت طليطلة مركزاً رئيسياً للنقل وذلك بسبب العوامل المساعدة التي كانت تجعلها في ذلك المركز ، علماً أنه أصابها فترة ركود وكسل خلال القرن الثالث عشر ثم استعادت نشاطها زمن الفونسو العالم ، وإن يكن شاركتها في ذلك إشبيلية بشكل خاص .

كذلك شاهد نفس القرن بروز مركز عظيم من مراكز النقل إلى العربية ، وهو مركز صقلية التي أصبحت تنافس مراكز اسبانيا الكبرىٰ في النقل والترجمة . وقد ذكرنا سابقاً أهمية صقلية باعتبارها مركزاً رئيسياً للتبادل الحضاري بين الشرق والغرب ، وذكرنا المناخ الذي ساعدها على أن تكون في مركز قيادي في هذا المجال ، وأن تكون إحدىٰ القنوات الرئيسية التي مرت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوربا . وقد زادها تألقاً وإشراقاً في ذلك القرن وجود ملوك وحكام متنورين أخذوا هذه العملية على عاتقهم وساروا بها شوطاً بعيداً جداً .

على أنه هناك خلاف بين هذا القرن والقرن الذي سبقه في عملية النقل والترجمة هذه ، ففي القرن الماضي تمركز النشاط في طليطلة وقام بأغلبه ناقل عبقري هو جيرارد الكريموني ، أما في هذا القرن فقد وجدت مراكز كثيرة في طليطلة وإشبيلية وصقلية وورومية وناربونة وليون وبيزيرية وغيرها من

الأماكن ، كما وجد عدد كبير من المترجمين والنقلة ينتسبون إلى عدد كبير من القوميات والجنسيات . ولم يبرز مترجم من طراز جيرار ، على الأقل من ناحية الكم .

كذلك زادت مساهمة اليهود مساهمة كبرىٰ في عملية النقل هذه ، وظهرت أسرة تخصصت في هذه العملية هي أسرة طيبون التي تعاقب منها في عملية النقل أجيال ثلاثة وربما أربعة . ولم يقتصر نقلهم على نقل المؤلفات التي ألفها يهود بالعربية إلى العبرية ، وإنما تعدىٰ نقلهم إلى نقل روائع المؤلفات العربية التي ألفها مسلمون من أمثال ابن رشد وابن الطفيل إلى العبرية ، كما ساهموا في نقل بعض الأعمال العربية إلى اللاتينية .

كذلك بدأ بعض النقلة ينقلون أعمالاً عربية إلى لغات محلية غير اللاتينية كما فعل الفونسو العالم الذي أمر بترجمة عدد كبير من الكتب العربية إلى القشتالية والقطالونية وإلى غيرها من اللهجات المحلية .

وكان قسم من التراجمة في هذا العصر مؤلفين فقد امتد نشاطهم ليشمل حقلي النقل والتأليف ، وإن تكن مؤلفاتهم متأثرة إلى حد بعيد جداً بما ينقلونه إلى لغتهم . ويدأ القوم يهتمون بمواد أخرىٰ غير المواد العلمية ، فقد بدأوا يهتمون بالقصص العربي والحكايات العربية مثل اقاصيص ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وقصص السندباد وغيرها مما كان له أثر كبير في تطور وتبلور االأدب القصصي في الغرب .

واستمر الاهتمام بالطب والفلك والعلوم كما كان في السابق وزاد الاهتمام بالفلسفة إلى درجة قصوىٰ مما كان له نتائج بعيدة في تطور الأفكار في أوربا .

كما وترجم أعمال عربية إلى اللغات العبرية واللاتينية كانت سابقاً قد نقلت .

وظلت لغة الترجمة ، في أغلب الأحيان ركيكة سقيمة ، والجمل غير مفهومة ، والتراكيب غير مستقيمة ، وذلك عائد إلى جهل قسم كبير من النقلة

باللغة العربية . ذلك إن غالبيتهم لم تتمكن من التضلع باللغة العربية ، فالذي يـود أن يتصدىٰ لعمليـة النقـل من لغـة إلى أخـرىٰ ، عليـه أن يكـون متضلعـاً ومتمكناً من كلتا اللغتين ، وهـذا ، في الأعم الأغلب ، كان مفقـوداً لدىٰ قسم كبيـر من النقلة . إلى جانب تمسـك الناقلين بـالتـرتيب العـربي للجمـل ممـا جعلهم يقعون في هذه الصعوبات . وإذا تذكرنا أن قسماً من التـأليف العربيـة هي في أصلها تراجم عن السريانية التي كانت بـدورها تـراجم عن اليونـانية ، أدركنا سقم اللغة التي نقلت إليها أخيراً هذه المؤلفات . كـذلك لم يكن لـدىٰ المترجمين مفردات تقـابل المفـردات العلمية واللغـوية التي كـانت سائـدة في اللغـة العربيـة ، ولذلـك لجأ المتـرجمون إلى ادخـال المصـطلحـات العلميـة العـربية إلى اللغـة المنقـولـة كمـا هي ، وأدىٰ ذلـك إلى إدخـالهـا إلى اللغـة اللاتينية ، ومن ثم إلى اللغات الأوربية الحديثة ، وإلى إغنائها بالمصطلحـات العمليـة كما هـو الحال في كلمـات مثل : كحـول ، سكـر ، رز ، خـروب ، صك ، قناة . . . الخ .

ويجب أن نذكر أنه كان هناك تبادل بين التراجمة من مـركز إلى مـركز ، وانتقـال من مكان إلى مكـان كما فعـل مايكـل سكوت الـذي كـان يعمـل في طليطلة ثم انتقل إلى صقلية بناء على دعـوة وجهها إليـه الأمبراطـور فريـدريك الثاني .

ونبدأ حديثنـا عن فريـدريك الثـاني ومركـز صقلية من أجـل نقل الكتب العربية إلى اللغات الأوربية يعتبر الأمبراطور فريدريك الثاني أمبراطور الأمبراطورية الجرمانية المقدسة وملك صقلية (١٢١٥ ـ ١٢٥٠ م) يعتبر فريدريك ا لثاني ، الأمبـراطور الـزنديق ، أفضـل ممثل للحضـارة الأوربية الجـديدة التي أخـذت طريقها إلى الظهور والتي هي تركيب متجانس من عدد كبير من الجـداول التي صبت فيها وشكلتها وأهمها الحضارتان اليونانية والإسلامية ، وقد امتزجت هذه العنـاصر جميعهـا في شخصيته العجيبـة . وقـد كـان نصف مسلم في حيـاتـه المعيشية . وقد أصبح بلاطه المركز العقلي الرئيسي القائد في أوربا ، وتقاطـر إليـه العلماء من جميـع أنحاء العـالم وفيهم اليهودي ومنهم المسلم ومنهم من

أتىٰ من المانيا ومن فرنسا ومن اسبانيا ومن إيطاليا ، وبفضل رجال من أمثال مايكل سكوت ويعقوب أناطولي حجب بلاطه طليطلة ومكتب الترجمة فيها ، وأصبح فترة من الزمن مركز التبادل الثقافي لجميع الأجناس ومن جميع الأديان .

وقد كان هو نفسه مثقفاً يتحدث بتسع لغات ويكتب بسبع ، وكان مطلعاً على الثقافة الإسلامية والفلسفة الإسلامية ومعجباً بها كل الإعجاب . وهو الذي أسس مركز الترجمة في عاصمة ملكه بالمرو ، وأخذ على عاتقه نشر الفلسفة الرشدية . وهو الذي أسس مدرسة في نابولي سنة ١٢٢٤ م وجعلها مركزاً لجلب العلم العربي إلى العالم الغربي[١] وقد كان يشتري المخطوطات العربية ويأمر بترجمتها إلى اللاتينية ، وبعد أن يتم ذلك يرسل نسخاً منها إلى جامعات إيطاليا وباريس واكسفورد، وبهذه الطريقة تعرفت هذه الجامعات على المجسطي ومختصر المجسطي لابن رشد وشروح ابن رشد على أرسطو ، وشرحه على الايساغوجي لفرنوريوس ، وقد طلب من هذه الجامعات أن تدرس هذه المواد فيها ، وبهذه الطريقة انتشر العلم اليوناني العربي وفلسفة ابن رشد في طول أوربا وعرضها . وقد كان فريدريك مهتماً كل الاهتمام بعلم البيزرة فنقل له النقلة رسالتين في الموضوع إحداهما عربية والأخرىٰ فارسية ولما تم له ذلك ألف هو نفسه رسالة في البيزرة مستمدة من الرسالتين سالفتي الذكر بعنوان القنص بالطير . وقد قدمها إلى ابنه انزيو Enzio .

ولقد قاده بحثه عن الحقيقة واهتمامه بالفلسفة وقلقه ورغبته في التقصي وزيادة حصيلته الثقافية إلى أن يراسل المشاهير من علماء عصره يسألهم أسئلة محددة يطلب منهم عنها إجابات محددة ، كما فعل مع ابن سبعين العالم الأندلسي الصوفي الذي ترك الأندلس واستقر في شمالي افريقيا . فقد اشتهر هذا العالم برده في رسالة أصبح اسمها الأسئلة الصقلية ، على أسئلة أرسلها

---

(١) أوليري ، ديلاسي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٢٨٦ .

لـه الملك فريـدريك يستفتيـه في بعض المسائـل الفلسفية ، فلقب منـذ ذلـك الوقت بلقب فيلسوف صقلية ، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٤٠ م.

وقد سار ابنه مانفريد وخليفته من بعده (١٢٥٥ ـ ١٢٦٦ م) على نهجه وقـرب إليه العلمـاء والتراجمـة واحتضن الفلسفة الإسـلامية والعلم العـربي ، وتابع في عهده مكتب الترجمة نشاطه ونقلت إلـى اللاتينيـة والعبريـة روائع من العلم العـربي ـ اليونـاني . وتابـع نفس الخط من المسيرة شـارل الأول الـذي أصبح ملكاً على صقلية بعد وفاة مانفرد. هذا وإن شارل هذا هـو شقيق لويس التـاسع ملك فـرنسا الـذي غزا مصـر وأسره المصـريون مـع أخيـه ، ثـم اطلق سـراحهم ، ولابد أن شـارل هذا اطلع أثنـاء إقـامتـه في مصـر على منجـزات المسلمين الحضارية ، ولاحظ قصـور العالم الغـربي في هذا المجـال ، فأراد أن ينقل إلى العالم الغربي أهم منجزات هذه الحضارة الرائعة .

أهم النقلة في صقلية :

١ ـ مايكل سكوت Michael scot . (١١٧٥ ـ ١٢٣٦ م):

اسكتلنـدي من الرهبـانية البنـدكتية، تلقىٰ العلم في اكسفـورد ثم انتقل إلى باريس ومنها إلىٰ بولونيا ، ثم جذبته إليها طليطلة بسمعتها وجـوها العلمي فقصدها وهناك تعلم العبرية والعربية وعمل نـاقلاً للكتب العـربية إلى الـلاتينية في طليطلة . ثم اتصل به الأمبراطور فريدريك الثاني ملك صقلية وأغراه على القدوم عليه فحضر عنده في سالرتو عاصمة صقلية وهنـاك أكب على الترجمـة والنقـل والتأليف ، وظـل هناك مـا تبقىٰ من عمـره . ويقسم انتـاجـه ، حسب المكان ، إلى إنتاج اسباني وإنتاج صقلي:

(أ) العهد الاسباني :

١ ـ كتاب الهيئة للبطروجي (فلكي أندلسي من رجال القرن العاشر) نقله إلى الـلاتينية بعنـوان Alpetragia Liber astronomiae فهو الـذي أدخـل إلى العالم المسيحي نظريات هذا الكتاب . وقد نقله سنة ١٢١٧ م . وقد نقل

نفس الكتاب إلى العبرية موسى بن طيبون حوالي سنة ١٢٥٩ م ، بعد ذلك نقل نفس الكتاب من الترجمة العبرية إلى اللاتينية كالونيموس بن داود Qalonymos ben David سنة ١٥٢٨ م وطبعت هذه الترجمة سنة ١٥٣١ م في البندقية تحت اسم Alpetragü arabi planetarumltheorica phisieis rationibus probato nuperrime latines litteris mandata a calo calonymos hebro napolitano. Venezia, 1531.

٢ - أول ترجمة لكتاب الحيوان لأرسطو Historia animalium وهو كتاب كبير يقع في عشرة أجزاء (أي الكتب الثلاثة الكبيرة في الحيوان لأرسطو مضافاً إليها جزء عاشر مخول). وقد تمت الترجمة في طليطلة قبل سنة ١٢٢٠ م وظلت هذه الترجمة مستعملة حتى القرن الخامس عشر.

٣ - كتاب السماء والعالم لأرسطو De Coelo et de mundo مع شروح ابن رشد عليها . كما نقل نصوصاً أخرىٰ لأرسطو مع شروح ابن رشد عليها .

(ب) العهد الصقلي :

١ - مختصر كتاب الحيوان لابن سينا تحت العنوان التالي :

— Abbreviatio Avicenne de Animalibus.

وقد قدم هذه الترجمة إلى الأمبراطور فريدريك قبل سنة ١٢٣٢ م وقد أدرجت هذه الترجمة في مجموعة أرسطو ذات العنوان التالي Latin Arstotle والتي نشرت في البندقية سنة ١٤٩٦ م.

وأخيراً ألف مايكل هذا رسالة واحدة على الأقل هو خلاصة الفلسفة استقاها بشكل مباشر وكلي من الفلسفة الإسلامية وبخاصة فلسفة ابن سينا. وبعبارة أخرىٰ فقد أدخل مايكل سكوت إلى العالم اللاتيني ثلاثة أشياء : علم الحيوان لأرسطو وفلك البطروجي وفلسفة ابن رشد وكانت هذه الأشياء جديدة حقاً ، فقد اطلع العالم اللاتيني لأول مرة على منجزات المسلمين وهي لا تزال جديدة وحيوية ، وقد تم ذلك بفضل مايكل سكوت وبداية يقظة العالم اللاتيني وبداية تخدر العالم الإسلامي وترنحه تحت ضربات المغول . فقد

وصلت فلسفة ابن رشد إلى العالم اللاتيني وأثرت به في الوقت الذي كان فيه كثير من المسلمين لا يعرفون عنها شيئاً . هذا وإن مايكل سكوت يمثل نموذجاً من التراجمة يختلف عن النموذج السابق ، فقد كان جيرار الكريموني ومن قبله تراجمة فقط ، بمعنى أنهم لم يولوا البحث والتأليف الأصيل أهمية كبيرة ، على حين نجد مايكل سكوت يعني بالبحث والدرس والتأليف وكان متلهفاً على المعرفة بصرف النظر عن مصدرها .

٢ ـ هرمان الجرماني Hermann the German توفي سنة ١٢٧٢م:

مترجم من العربية إلى اللاتينية عمل أولاً مترجماً في طليطلة وذلك حوالي سنة ١٢٤٠ م ربما بمساعدة شارح مسلم . ثم ترك طليطلة ودخل منذ سنة ١٢٥٦ م في خدمة الملك Monfred مانفريد . نقل إلى اللاتينية ما يلي :

١ ـ كتاب المتوسطات : وهي الشروح المتوسطة التي قام بها ابن رشد على كتب الأخلاق لأرسطو ، وقد تم ذلك في طليطلة سنة ١٢٤٠ م . وقد أصلح هذه الترجمة عند نهاية القرن الخامس عشر اغستينو نيفو Agestino Nifo وإبراهيم بالمي من بادوا Abraham De Balmés . كذلك أصلحها في النصف الأول من القرن السادس عشر يعقوب مانتينو Mantinoمن طرطوشة وجيوفاني فرنسيسكو بورانا من البندقية Geovanni Fransesca Burana .

٢ ـ متوسطات ابن رشد : وهي شروحه على المتوسطة من شعر أرسطو وخطابته (١٢٥٦م).

٣ ـ كتاب الفارابي : شرح على خطابة أرسطو .

توجد نصوص هذه التعليقات والترجمات في الكتب المجموعة التي تحوي أعمال أرسطو والشروح عليها والتي صدرت في البندقية عام ١٤٨١ م وعام ١٤٨٣ م .

٣ ـ موسىٰ بانورمتيان Moses Panormitanus :

ترجم عدداً من الأعمال العربية إلى اللاتينية وترجم رسالة منسوبة إلى ابقراط في الطب البيطري بعنوان : De Curationibus infirmitatum equorum. وتؤلف هذه الترجمة اللاتينية، مع ترجمتين قديمتين باللغة الإيطالية الشعبية كتاباً بعنوان : Festo de Lingua.

٤ ـ فرج بن سالم .

مترجم يهودي اشتغل بالنقل من العربية إلى اللاتينية في صقلية تحت رعاية الملك شارل دانجو ، وقد ترجم عدداً كبيراً من الأعمال العربية إلى اللاتينية ونبغ في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وأصبح من أعظم التراجمة في عصره . واسمه في العبرانية (فراجوت الجرجنتي) وكذلك يسمىٰ Moses Farachi. وقد نقل إلى اللاتينية الكتب التالية :

١ ـ كتاب الحاوي (في الطب) تأليف محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور ، وهو دائرة معارف طبية كبرىٰ . وربما كان أضخم كتاب ألفه طبيب ويتألف من عشرين جزءً وليس بين أيدينا سوى عشرة أجزاء منه ، وقد انتهىٰ فرج بن سالم من ترجمته سنة ١٢٧٩ م . وهو يتألف من قسمين الأول أقرباذين والثاني ملاحظات سريرية ، وقد ألحق بالترجمة معجماً طبياً ، وهو أوسع موسوعة يونانية عربية طبية ، وهو أوسع من كتاب القانون لابن سينا . وقد طبع لأول مرة سنة ١٤٨٦م وأعيد طبعه بعد ذلك مراراً كثيرة . أما تأثيره علىٰ الطب الأوربي فكان بالغ الأثر وظل الكتاب المدرسي الفضل الذي يدرس في جامعات أوربا حتى مطالع القرن الثامن عشر ، ولا يمكن المبالغة في أهمية هذه الترجمة . وقد ترجم إلىٰ اللاتينية تحت اسم Liber Dictus Elhaui، كما وإن له عنواناً آخر هو Continens Rehases. وقد طبعت ترجمة فرج للحاوي لأول مرة في بريشيا Bresia سنة ١٤٨٦م .

٢ ـ رسالة منسوبة إلى جالينوس في الطب التجريبي من ترجمة حنين بن

اسحاق والنص اليوناني مفقود ، والعنوان اللاتيني لها هو De Medicinis Expertis.

٣ ـ كتاب ابن جزلة : تقويم الأبدان ، وقد أنجزه حوالي سنة ١٢٨٠ م وطبع في سنة ١٥٣٣ م في ستراسبورج .

٤ ـ كتاب الجراحة المنسوب لابن ماسويه . وقد نقل نفس الكتاب إلى العبرية شخص اسمه يعقوب بن يوسف لاوي Joseph ha - Lawi سنة ١٢٩٦ م وقد فقد النص العربي وحقق النص اللاتيني ونشره في برلين سنة ١٨٩٣ م يوليوس ليوپولد باجيل .

مكتب الترجمة الإسباني :

نتوقف هنا عن متابعة بحث النَقَلة من اللسان العربي إلى اللسان اللاتيني في صقلية لنبحث في النقول التي تمت من العربية إلى الاسبانية والبرتغالية في مكان آخر من أوربا وتحت إشراف أحد ملوكها المهتمين بالموضوع .

ذلك إن الملك الفونسو العالمAlfonso elSabio ملك قشتالة وليون بين سنتي ١٢٥٢ و١٢٨٤ م أمر بنقل عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية إلى اللغتين الإسبانية والبرتغالية .

هذا وعلى الرغم من أن الفونسو العاشر العالم لم يكن من وجهة نظر عسكرية أو إدارية أو سياسية ، ملكاً عظيماً ، إلاَّ أنه اثبت أنه راعٍ للآداب والعلوم وإنه شخص مثقف وساهم مساهمة كبرى في نقل معارف المسلمين العقلية إلى العالم الغربي. وقد كان حاكماً على أقليم مرسية ، ذلك الأقليم الذي استرجعه أبوه فرناندو من المسلمين ، قبل أن يصبح ملكاً ، وهناك عاش وسط مؤثرات ثقافية إسلامية عالية ومؤثرات يهودية . وهناك أمر بتأسيس مدرسة في مرسية من أجل شخص مسلم عالم أسمه محمد الرقوطي Al - Riquti علم فيها المسلمين والنصارى واليهود على السواء . وقد أكمل سنة ١٢٥٤ م

تأسيس جامعة سلمنكة (وتسمى أيضاً طلمنكة)، وأسس في نفس السنة في أشبيلية كلية عربية - لاتينية كان الأطباء المسلمون والأساتذة المسلمون يدرسون إلى جانب الأساتذة النصارى . وقد جمع حوله عدداً من البحاثة اليهود والنصارى ليكمل عمل والده في نقل المعارف الإسلامية إلى النصرانية وليترجم إلى الإسبانية المؤلفات العربية .

إن شهرة الفونسو الرئيسية تكمن في تأسيس ما يمكن تسميته معهداً لترجمة الأعمال الفلكية من العربية إلى الإسبانية ، وكانت الترجمات تنشر أحياناً كما هي ، وفي أحيان أخرى كان عدد من العلماء حوله يعدلونها أو ينقحونها أو يضيفون إليها أو ينقصون. إن نشاط هذا المعهد الذي نشر المعرفة العلمية العربية باللغة الإسبانية كان عظيماً ، وذلك منذ عهد مؤسسها الملك الفونسو العاشر العالم . ولقد كان هو نفسه بحاثة وبذل جهداً رائعاً في سبيل نقل العلم العربي والمعرفة العربية ، فهو الذي أمر بترجمة قصص كليلة ودمنة إلى اللغة القشتالية وكذلك كتاب سر الأسرار المنسوب لأرسطو وأمر بترجمة القرآن الكريم إلى القشتالية . وأكثر من هذا فقد أمر بترجمة مجموعة كاملة من الأعمال الفلكية والفيزيائية . وبالحقيقة فقد كان اهتمامه الرئيسي فلكياً تنجيمياً وجمع التراجمة من أجل هذه الغاية وطلب منهم أن يجعلوا علم الفلك القديم وعلم الفلك العربي الإسلامي جاهزاً في ترجمات قشتالية .

وإن الملك الفونسو العاشر قدم مثلاً بارزاً على التعاون العلمي النصراني - اليهودي - الإسلامي من أجل نقل المعرفة الإسلامية والعلم العربي إلى العالم اللاتيني . وقد كان معظم النقلة لديه من اليهود ، إلى جانب عدد من النصارى التراجمة . وكان إلى جانب كل مترجم يهودي مترجم نصراني بشكل عام . فقد اشترك مثلاً يهودا بن موسى Judah ben Moses مع جان داسبا John Daspa. ولسوء الحظ فإن هذا المعهد للترجمة كان مهتماً بترجمة كتب ذات طبيعة وأهمية ثانوية أو كتب ذات طبيعة سيئة بسبب محتواها التنجيمي . ولم ينجح الفونسو في إيجاد وخلق علم فلك أصيل واحد .

كل هذا يجعلنا نميل إلى رأي من يقول أن معهد الترجمة هذا كان ذا صبغة دولية عالمية ، فقد اجتمع به البحاثة من جميع أرجاء أوربا ، كما كان فيه اليهود والنصارى والمسلمون ، ومما يدل على هذه الصفة أن بحاثة أوربيين مسيحيين من أعلىٰ الدرجات وتسنموا أعلىٰ المناصب كانوا موظفين في معهد الترجمة هذا عند الملك الفونسو العالم ، وكان لهم اتصالات كثيرة وشخصية لدى عدد من العلماء العرب المسلمين . فقد نشأت علاقات كثيرة بين المسلمين وبين بطرس الإسباني Petrus Hispanus (وهو الطبيب البرتغالي الذي كان طبيباً خاصاً بالملك الفونسو وارتقى عرش البابوية بأسم البابا جيوفاني الحادي والعشرين)، ومثل برونيتو لاتيني Brunetto Latini (الذي كان سفيراً لمدينته فلورنسة لدىٰ الفونسو العالم في طليطلة سنة ١٢٦٠ م)، ويبدو في كتبهما بوضوح تأثير عربي قوي .

وسنورد فيما يلي أسماء أهم الأعمال التي تمت ترجمتها في ذلك المعهد ، ثم نورد بعد ذلك أسماء المترجمين وما نقل كل واحد منهم من كتب . واللغة التي نقلت إليها الكتب هي الإسبانية ما لم ننص على غير ذلك .

١ ـ كتاب بطليموس المسمى Tetrabiblos de Ptolemaios ، مع شروح علي ابن رضوان نقله إلى الإسبانية ناقل مجهول ، ونقله إلى اللاتينية Aegidius de Thaebaldis

٢ ـ كتاب البتاني المسمىٰ القوانين Canones وقد نقله اسحاق بن سيد .

٣ ـ كتاب ابن أبي الرجال المسمىٰ : كتاب البارع في أحكام النجوم ، وهي رسالة في التنجيم نقلها يهودا بن موسى سنة ١٢٥٦ م ونقلها إلى اللاتينية Aegidius de Thaebaldis من بارما و Petrus de Regio وطبعت مراراً .

٤ ـ كتاب ابن الهيثم المسمىٰ : في هيئة العالم . ترجمه ابراهام من طليطلة ، وقد نقلت هذه الترجمة الى اللاتينية تحت اسم Liber de mundo et Coelo .

٥ ـ سلسلة من الأعمال الفلكية تمت بأمر الملك الفونسو وتوجيهه وتحت إشرافه بين عامي ١٢٧٦ و١٢٧٧ م تحت عنوان جمعي هو Libros del saber de astronomia . تحوي هذه المجموعة ترجمات كثيرة من العربية ، وترجمات معدلة من النصوص الأصلية حسب إمكانية الحصول عليها ، ونصوصاً معدلة عدلها المترجمون بعد أن أخذوها من المؤلفات العربية ، ومقدمات كتبها التراجمة أنفسهم والملك نفسه . هذا العمل ، في الحقيقة ، هو موسوعة وصفية لجميع أدوات الفلك التي كانت شائعة الأستعمال آنئذٍ مع شرح تركيبها ووصف طرق استعمالها .

٦ ـ أربعة كتب في النجوم استمدت من كتاب الكواكب الثابتة المصور لعبد الرحمن الصوفي (النصف الثاني من القرن العاشر) ترجمه سنة ١٢٥٦ م يهودا بن موسىٰ وجيللن أرريمون داسبا Guillen Arremon Daspa ، واستمدت مادتها أيضاً من رسائل أخرىٰ عربية .

٧ ـ كتاب في القبة الفلكية : وهذه ترجمة معدلة لكتاب العالم بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا . وقد تمت الترجمة الحرفية سنة ١٢٥٩ م علىٰ يد يهودا بن موسىٰ وجان داسبا John Daspa.

٨ ـ كتابان في حركات الكسوف والخسوف والقبة السماوية . استقيت المعلومات أصلاً من كتاب الزرقالي (النصف الثاني من القرن الحادي عشر) ، ولكن المترجم الذي هو اسحاق بن سيد عدل فيها وأصلحها ، ويحوي الكتابان وصفاً للأدوات المستعملة في الكسوف والخسوف ومعادلات حسابات القبة السماوية وأوصاف أفقية وكسوفية .

٩ ـ كتابان في الأسطرلاب الكروي ألفهما اسحاق بن سيد ، وهو لم يذكر المصدر العربي ، والمرجح أنه استعمل كتب قسطا بن لوقا والنيريزي في نفس الموضوع ولم يذكر ذلك .

١٠ ـ كتابان في الصفحة السماوية ، والغالب أن مؤلفهما هو المؤلف العربي أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري القرطبي الذي نبغ في

حدود سنة ١٠١٩ م.

١١ ـ كتاب الصفيحة . وهو ترجمة لكتاب الزرقالي في نفس موضوع الأسطرلاب الذي اخترعه الزرقالي في مرحلتين . وقد ترجم رسالة الزرقالي هذه بين سنتي ١٢٥٥ و ١٢٥٦ م فرناندو من طليطلة وعدلها برجس الطليطلي Burgos.

١٢ ـ كتابان في سطوح السيارات السبعة كتب أحدهما ابن السمح (النصف الأول من القرن الحادي عشر) وكتب الثاني الزرقالي في إشبيلية سنة ١٠٨١ م.

١٣ ـ كتاب الصلبان Libro de las Cruses ، موضوعه عن التنجيم القضائي . ألفه أصلاً بالعربية شخص اسمه عبيد الله غير معروف كثيراً وترجمه سنة ١٢٥٩ م يهودا بن موسىٰ وجان داسبا John Daspa . وقد درس San-cher Pérez هذا الكتاب ونشر قسماً منه في مجلة إيزيس جزء ١٤ ، سنة ١٩٣٠ م ص ٧٧ ـ ١٣٢ .

١٤ ـ كتاب سر الأسرار الذي ينسب إلى أرسطو وليس له . وقد انتشر الكتاب في طول أوربا وعرضها عن طريق هذه الترجمة وعنوانه اللاتيني Liber secretus.

١٥ ـ كتاب مفتاح الحكمة الكبير في تحويل المعادن للطغرائي أبي اسماعيل الحسين بن علي Clavis maioris sapientioe de transmutatione metallica. وقد طبع هذان الكتابان طبعات كثيرة في القرن السابع عشر .

١٦ ـ كتاب غاية الحكيم (في الصنعة) للمجريطي أبي القاسم مسلمة بن أحمد (ت ١٠٠٧ م) هذا الكتاب هو الأصل الذي بنى عليه الملك الفونسو العالم ترجمته المشهورة بعنوان Picatrix.

كذلك أمر الملك الفونسو بترجمة القرآن الكريم وكتاب كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة ومجموعة قصص السندباد التي كان لها أثر مهم جداً وتأثير لا

ينكر في الآداب الأوربية إبان تشكلها وتبلورها . وسيكون لنا حديث طويل مهم مفصل عن هذه الترجمات بعد حين .

النقلة والمترجمون الذين عملوا في معهد الترجمة الذي أسسه الفونسو العالم وما ترجموه :

١ ـ يهوذا بن موسى الكاهن Judah ben Moses :

طبيب يهودي ومترجم برز في طليطلة وهو أحد المترجمين الذين استخدمهم الملك الفونسو العاشر العالم لترجمة الروائع العربية إلى الإسبانية . وينسب إليه أنه ترجم الأعمال التالية :

١ ـ كتاب العالم بالكرة الفلكية ، ويسمىٰ أيضاً كتاب العمل بالكرة لقسطا بن لوقا وعنوانه اللاتيني Libro de Alcara، نقله بالاشتراك مع جان داسبا John Daspa سنة ١٢٥٩ م، ثم عدل الترجمة وأصلحها سنة ١٢٧٧ م .

٢ ـ كتاب عبد الرحمن الصوفي كتاب صور الكواكب Libro de las Figuras ترجمه سنة ١٢٥٦ م ثم عدله ونقحه سنة ١٢٧٦ م بالإشتراك مع صمويل هاليفي وآخرين .

٣ ـ الكتاب البارع في أحكام النجوم لابن أبي الرجال المسمىٰ باللاتينية Libro Complido وهي رسالة في التنجيم نقلها سنة ١٢٥٦ م. وقد نقل كتاب البارع إلى اللاتينية أيجيديوس من بارما وبطرس الرجوي Petrus de Regio et Aegidius de thebaldis of Parma بعد سنة ١٢٥٦ م . ثم نقل هذا النص اللاتيني ثلاث مرات إلى العبرية ، ولعل يهودا هذا هو مترجم كتاب بطليموس Tetrabililos مع شروح وتعليقات علي بن رضوان عليه ، وهي الترجمة التي أمر أيجيديوس أن يقوم بها من الإسبانية إلى اللاتينية (ولقد سبق لأفلاطون التيفولي وإبراهيم بن حييا أن نقلا نفس الكتاب والذي يسمى أيضاً Quadripartitum إلى اللاتينية قبل ذلك الوقت في النصف الأول من القرن الثاني عشر).

٢ ـ **صمويل هاليفي Samuel ha - Levi** أبو العافية أحد العلماء الذين استخدمهم الفونسو العاشر لترجمة علوم الفلك العربية إلى الاسبانية ، نبغ في طليطلة وينسب إليه أنه نقل من العربية إلى الاسبانية كتابين عربيين مجهولي المؤلف الأول في الساعات والثاني في النقل . وينسب العمل الثاني أيضاً إلى اسحاق بن سيد المترجم . وقد ساعد في سنة ١٢٧٦ م يهودا بن موسى في تنقيح وإصلاح النص الاسباني لكتاب عبد الرحمن الصوفي كتاب النجوم.

٣ ـ **اسحاق بن سيد Isaac iben Sid** فلكي يهودي اسباني متخصص في الأدوات الفلكية وناقل من العربية إلى الاسبانية ، وقد برز في طليطلة بين عامي ١٢٦٣ و ١٢٧٧ م كان أحد مؤلفين إثنين ألفا الجداول الفلكية الفونسية الشهيرة سنة ١٢٧٢ م . وقد ترجم كتاب البتاني القوانين Canons ، وكان المؤلف أو المترجم أو الملخص لتسعة كتب أدرجت في مجموعة الفونسو المسماة Libros del saber. وإليك اسماؤها باختصار (١) كتابان في الأدوات المستعملة في الخسوف والكسوف والقياسات الفلكية (٢) كتابان في الأسطرلاب الكروي (٣) كتابان في الصفيحة العالمية لعلي بن خلف (٤) كتاب في قياس ربع دائرة النهار (٥) كتابان في الساعات .

٤ ـ **إبراهام الطليطلي** . يهودي اسباني وطبيب الملك الفونسو الخاص وأحد العلماء الذين استخدمهم الملك في الترجمة . نقل ما يلي :

١ ـ رسالة ابن الهيثم في تركيب وترتيب الأجرام السماوية ، وقد ترجمها إلى العبرية ثم نقلها أحدهم إلى اللاتينية بعنوان De mundo et Coelo . وقد ترجم نفس الرسالة إلى العبرية اليهودي يعقوب بن ماحير ونقلت ترجمته هذه إلى اللاتينية على يد إبراهام من بالمز De Balmes (النصف الثاني من القرن الخامس عشر) .

٢ ـ رسالة الزرقالي في بناء واستعمال الاسطرلاب الذي اخترعه ، وبشكل

خاص في التنجيم . ولقد نقل نفس الرسالة إلى الملك الفونسو من العربية إلى الاسبانية فيراندو الطليطلي Ferrando . ولقد أكمل ابراهام ترجمة رسالته في بورغوس Burgos سنة ١٢٧٧ م وهي أجود ترجمة وأدق معنى من سابقتها ونقلت بدورها إلى اللاتينية والإيطالية .

٣ - ترجم سورة المعارج من القرآن الكريم . وقد نقلت نفس السورة سنة ١٢٦٤ م من الاسبانية إلى الفرنسية ونقلها Bonaventura de Sene .

كذلك لابد من ذكر أنه ينسب إلى الملك الفونسو العالم أنه ألف كتاباً بعنوان الأحجار ، كما وإن نفس الكتاب ينسب إلى مؤلف عربي اسمه أبو العيس .

ولم يبق الغرب اللاتيني جاهلاً بالآداب الشرقية والأقاصيص الشرقية ، بل إن النقل شمل كثيراً من هذه الأقاصيص التي لم تلبث أن انتشرت في طول أوربا وعرضها ونقلت إلى عدد كبير من اللغات الأوربية ، وليس هذا فقط لرصفها الأدبي وحسن صقلها واسلوبها البديع ، بل لأنها تعبر عن خيال أغزر وهدف أقوم . وهكذا لعبت القصص الشرقية دوراً هاماً في أدب القرون الوسطى ، وما تلاه من أداب أوربية ، متنقلة من أرض إلى أرض أخرى كما وإنها نفذت إلى كثير من المؤلفات الأصلية في ذلك الوقت وقلدها أقوام وهاجمها أقوام وأثرت تأثيراً في الجو الأدبي في تلك البلاد .

يعود الفضل في تعريف أوربا ، ربما لأول مرة في التاريخ ، بقصص الشرق وأساطيره إلى بطرس الفونسي (وهو إسباني يهودي عمده بالنصرانية اشبينه الفونسو السابع)، فهو أول من قدم لاسبانيا الحكايات الهندية التي نقلت إلى اللاتينية آنذاك تحت عنوان التأدب الأكليركي وكان ذلك قبيل سنة ١١٢٠ م.

هذا وإن قصة كليلة ودمنة قد نقلت إلى اللغة الإسبانية من اللغة العربية مباشرة وقدمت إلى الفونسو العاشر العالم . ولكن أوربا لم تعرفها عن هذه الترجمة وإنما عرفتها عن ترجمة لاتينية قام بها حنا من كابوا ، وهو نفسه نقلها

عن ترجمة عبرية قام بها الربي بوئل . وهكذا سجلت هذه الترجمة الاسبانية لحكايات كليلة ودمنة أقدم محاولة لنشر الأدب القصصي في اللغة الإسبانية وقد نشر هذه القصة ج . اليماني J. Alemany في مدريد سنة ١٩١٥ م وأ. غ. سولاليندA.G. Solalinde في مدريد سنة ١٩١٧ م.

وإن حنا من كابوا نقل قصة كليلة ودمنة وأعطاها عنواناً هو المرشد إلى الحياة الإنسانية DirectoriumVitaeHumanae وذلك بين سنتي ١٢٦٣-١٢٧٨ م. وقد كانت هذه الترجمة معيناً استمدت منه آثار كثيرة ككتاب أعمال الرومان Gesta Romanorum الذي لم ينقل إلى اللغة الشعبية حتى سنة ١٥٥٢ م حين قام بذلك دوني Doni لأول مرة . ثم أن الترجمة التي نشرها توماس نورث Thomas North عام ١٥٧٠ م بعنوان الفلسفة الأخلاقية لدوني Moral philosoply of Doni لم تكن غير أولى التراجم الانكليزية المتعددة لهذه القصص الموضوعة على السنة الحيوانات . ولم تلبث هذه القصص الاسطورية نفسها أن بعثت عقب ذلك مباشرة باسم خرافات بلباي Fables of Pilpay في الترجمة الفرنسية التي نقلت سنة ١٦٤٤ م عن ترجمة فارسية متأخرة اسمها أنوار سهيلي The Lights of Canopus.

أما قصة الحكماء السبعة المسماة سندباد أو سندبار ، فقد ترجمت من العربية للأمير الصغير دون فادريك حوالي سنة ١٢٥٣ م باسم كتاب مكائد النساء وحيلهن Libros de los engamos esayamientos de las mujéres . وقد نشره في ليدن سنة ١٨٨٢ م د. غومباريتي D. Gomparitte بعنوان Researches respecting the Book of sindibad كذلك نقلت نفس القصة إلى العبرية بعنوان مشليه سندباد .

ولقد ترجم إلى الإسبانية، في عهد الملك الفونسو العالم ، كتاب مشهور مؤلفه مصري مذكور هو كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم . ولقد كانت ترجمة سيئة . ثم نقل نفس الكتاب بعد فترة وجيزة نقلاً ثانياً إلى اللغة اللاتينية ، وكان النقل جيداً ودقيقاً ساير الأصل العربي إلاّ في الفصلين

الأخيـرين ، وتمت الترجمـة في القسم الثاني من القـرن الثـالث عشـر . وقـد ترجم الكتاب إلى الإسبانية تحت عنوان Bocados des oro(قطع الـذهـب) ، بينمـا أعطاه متـرجمه إلى الـلاتينية اسم كتـاب الفـلاسفـة الأخـلاقيين Liber philosophorum moralium، وقد نقل عن هذه الترجمة الكاتب الفرنسي غيوم دو تينونفيل Guillaume de Tignonville كتابه المسمىٰ حكم الفلاسفة Les ditry moraux des Philosophers ، وقـد ترجم نفس هـذا الكتاب إلى الانكليـزيـة اللورد ريفـرز Earl Rivers باسم حكم الفـلاسفـة وأمثـالهم The Dictes and sayings of the Philosophers . وهو أول كتاب باللغة الانكليـزية يـطبع وكـان طابعه الطباع كاكستون .

وهكذا كان أول كتاب انكليزي يطبع خارج انكلترا وهو مستمد من أصل عربي .

هذا وقد ذكرنا سـابقاً أن أبـراهام الـطليطلي كـان طبيب الملك الفونسـو العالم الخاص ، وأنه نقل عدداً من الأعمال العربية إلى الإسبانية ، ولعل أهم هذه الأعمال قصة المعراج . إن قصة الإسراء والمعراج كانت موضوع اهتمـام المسلمين مدىٰ العصور ، وقد ألف بها عدد كبير من الكتب . وقد نقل أبراهام الطليطلي هذه القصة ، كمـا وردت في إحدىٰ المؤلفـات العربيـة ، وعن هذه الترجمة نشر سنة ١٩٤٩ م أنريكو اتشرولي Enrico Cerulli الترجمتين اللاتينية والفرنسية لكتاب المعراج . وكان بونافانتـورا دا سينيا Bonaventura de Siena قد ترجم كتاب المعراج عن الإسبانية إلى اللغتين اللاتينية والفرنسية .

Cerulli, Enrico. Il « Libro» dalla scala ë la questione delle fonti arabo - spagnole della Divina Commedia. Citta del Vaticano. Biblioteca Apostolica Vaticana é Tesli, m 150 MC M I X.

وضعت الترجمتان فى صفحتين متقابلتين .

وقد انتشرت تـرجمة كتـاب المعراج انتشـاراً واسعاً ، فقـد لخصه بـدرو بـاسـكـوال Pedro Pascual في كـتيـب صغيـر عنـوانـه Sobre la secta mahométans.

وقد حوىٰ كتاب المعراج معلومات وتصورات هي أقرب ما يكون إلى تلك التي حوتها بعده الكوميديا الإلٰهية ، ومن المؤكد أن دانتي استقىٰ تصوراته من مصادر إسلامية ، وكانت كتابات المعراج هي الأكثر أهمية .

بعد أن فرغنا من دراسة نشاطات مركزي الترجمة الرئيسيين في أوربا : مركز صقلية ومركز اسبانيا ، نتابع دراسة أشهر من تبقىٰ من المترجمين إلى اللاتينية وأشهر ما ترجموه.

أرمانغو من بليس Armanguad of Blaise:

طبيب فرنسي ومترجم نبغ في مونبيليه في حدود ١٢٩٠ م ومات حوالي ١٣١٣ م . وقد تمت ترجماته إما من العربية إلى اللاتينية أو من العبرية إلى اللاتينية ، أو على الأقل بمساعدة ترجمات عبرية . نقل ما يلي :

١ ـ كتاب جالينوس المسمىٰ كيف يتعرف الإنسان على ذنوبه وعيوبه . وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية توما الرهاوي بناء على طلب حنين بن اسحاق الذي عدل الترجمة ونقحها .

٢ ـ كتاب منسوب لجالينوس اسمه أيقونوميقا (الاقتصاد). هنا يأخذ الاقتصاد معنىً محدداً كتدبير المنزل والاقتصاد المحلي . كذلك يحوي الكتاب اخلاقاً وتدبير صحة . إن هذا النص هو نص لاتيني مختصر للترجمة العربية لعمل يوناني ينسب لشخص اسمه برايزون الفيثاغوراتي Bryson وهو مجهول . وقد فقد النص اليوناني وبقي النصان العربي والعبري .

٣ ـ أرجوزة ابن سينا في الطب وعنوانها الأرجوزة في الطب . مع تعليقات ابن رشد عليها بعنوان Avicennae Cantica . والرأي الغالب أن المترجم نقلها من العبرية إلى اللاتينية لا من العربية .

٤ ـ مقالة في تدبير الصحة لموسى بن ميمون بعنوان :

De regimine sanitatis ad sultanum Babyloniae.

٥ ـ مقالة في السموم لموسىٰ بن ميمون ، وقد ترجمت سنة ١٣٠٧ م للبابا كليمانس الخامس بعنوان De Venenis.

أرنالدوس فيلانوفانوس Arnoldus Villanovanus توفي حوالي ١٣١١ م:

كان بحق مترجماً من العربية إلى اللاتينية ، فقد ترجم عدداً من الكتب والرسائل لجالينوس والكندي وقسطا بن لوقا وابن سينا وأبي العلاء بن زهر وأبي السلط . جميع هذه الرسائل طبية بما فيها رسالة قسطا بن لوقا المسماة ـ De ligaturis التي وإن يكن موضوعها السحر ، إلاّ أن السحر كان معتبراً من الطب في تلك الأيام . وقد كان أرنالدوس عالماً أصيلاً ومن أبرز العلماء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، ويظهر في ثنايا مؤلفاته التأثر العميق بالعلم العربي والحضارة الإسلامية ، وأسهم في الدعاية للعرب والعلم العربي والحضارة الإسلامية في الغرب ترجم ما يلي :

ثلاثة كتب تنسب لجالينوس :

(الاهتزاز)	De tremore
(اضطراب حركة القلب)	Palpitatione
اضطراب حركة الجسم	Rigore et Convulsione
	Dc Mebicinarum gradibus.
كتاب في السحر لقسطا بن لوقا	Dc Phisicis Ligaturis
	Dc viribis ordis
	De Conservatione Corpories et regimine sanitatus.
كتاب عن الأدوية المفردة	Bebuzale de medicinie simpliaibus.

رامون لول Lull توفى سنة ١٣١٥ م لم يكن لول مترجماً ، ولكنه أمضى قسماً كبيراً من حياته وهو يسعى لترقية وازدهار الدراسات العربية في الغرب . ارتحل في بلاد المسلمين، وربما انه كتب كتابه المسمىٰ Liber Del Gentil بالعربية أولاً حيث يعرض يهودي ونصراني ومسلم ، كل منهم فضائل دينه ، ثم ترجمه إلى القطلونية واللاتينية . وله دائرة معارف لاتينية هي كتابه « كتاب التأمل -Lib

« er de Cartemplacio » ولا شـك في أنه ألف كتـابه هـذا أولاً بالعـربيـة ، ثم طوره بعد ذلك وزاد فيه وعـدله وكتبـه باللغـة القطلونيـة ، وشارك في تـأسيس مدرسة عربية في مدينة ميرامير ـ Miramer بجزيرة ميورقة ، ونصب نفسه داعية أيضـاً لانشـاء مـدارس مشـابهـة تـرمي إلى اعـداد المبشـرين من أجـل حمـل المسلمين على ترك دينهم واعتناق النصرانية .

فيليب الطرابلسي Philip of Tripoli (نسبة إلى طرابلس الشام) . نبغ في الـربع الثـاني من القرن الثـالث عشر . وقـع في يده مخـطوط عربي أثنـاء وجوده مع الأسقف جيدو البلنسي Guido de Valentia هو كتـاب سر الأسـرار المنسوب لأرسطو . وقد نقله فيليب عن العربية إلى اللاتينية في وقت ما خلال الربع الثاني من القرن الثالث عشر (حوالي سنة ١٢٤٣ م).

لقد انتشرت بسرعة في الغرب ترجمـة ابن البطريق لكتـاب سر الأسـرار (وهناك من ينسبه للرازي ولغيره من علماء المسلمين) وقد ترجم إلى اللاتينية في وقت مبكر (أواخر القـرن الثاني عشـر) ، كما تـرجمه إلى العبـرية يهـودا الحـارزي ، وترجم إلى القشتـاليـة بعنـوان Poridad de la Peridades . ومن جهة أخرىٰ نشأت في الشرق شيئـاً فشيئاً صـورة جديـدة للكتاب تبلورت سنـة ١٢٢٠ م وهي التي ترجمها فيليب الطرابلسي سنة ١٢٤٣ م كمـا ذكرنـا آنفاً . وهذا النص هو الذي عرفته شعوب أوربـا الغربيـة آنذاك . وقـد انتشر الكتـاب بسـرعة وتـرجم نظمـاً ونثراً فتـرجم إلى الفـرنسيـة والانكليـزيـة وإلى كثيـر من اللهجـات الألمانيـة والإيطاليـة والإسبانيـة والقطلونيـة والهولنـديـة . وتعـددت الترجمات في اللغـة الواحـدة ، ويكفي أن نذكـر أنه تـرجم على الأقل ثمـاني ترجمات إلى اللغة الفرنسية فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وكـان لـه تأثيـر مهم جداً على الحيـاة السياسيـة والاجتماعيـة في فـرنسـا في العصـر الوسيط . هذا وإن النص اللاتيني الذي نشره السانـدرو اشيليني سنة ١٥٠١م. يتبع الصورة الشرقية . وينبغي أن نذكر من بين الترجمات العديدة التي كتبها ـ مباشرة أو بواسطة لغة أخرىٰ ـ روجير بيكون ونشرت سنة ١٩٢٠ م .

وأخيراً نذكر أن النص الرسمي لعنوان الكتاب هو كتاب السياسة في تدبير الرياسة . ولكن غلب عليه اسم سر الأسرار . وصدرت أول طبعة لهذا الكتاب في كولونيا عام ١٤٨٠ م بعنوان : De Secretis Secretorum.

ثيودور الانطاكي: قيل أن ثيودور كان مسيحياً يعقوبياً ودخل في خدمة الأمبراطور فريدريك الثاني في صقلية وترجم له رسالة في البيزرة من العربية ومستخلصات من كتاب سر الأسرار المذكور آنفاً .

اصطفان السرقسطي Estafan of Saragossa نبغ في حدود سنة ١٢٣٣ م . ترجم كتاب الأقرباذين لابن الجزار (وهو كتاب اعتماد الأدوية المفردة) بعنوان : Liber Fiduciae de Simplicibus Medicinis .

هذا وإن الرسالة المسماة De Gradibus والمنسوبة إلى قسطنطين الافريقي والتي طبعت سنة ١٥١٥ م في ليون بعنوان Omnia opera Ysaac هي ترجمة حرة واختصار لنفس هذا العمل العربي .

بطرس جاليكو Peter Gallego عاش تحت كنف الفونسو العالم وأصبح أسقفاً لمرسية اعتباراً من سنة ١٢٥٠ م حتىٰ وفاته سنة ١٢٦٧ م . ترجم ما يلي :

١ ـ كتاب أرسطو في الحيوان ، نقلاً عن ترجمة عربية مختصرة ، وقد استفاد في ذلك من ترجمة سابقة قام بها سكوت لنفس العمل ، كما استعان في ترجمته هذه بشروح ابن رشد علىٰ الكتاب .

٢ ـ رسالة في الاقتصاد تنسب إلى جالينوس .

بونا كوزا Bonacosa هذا الاسم، غالباً ، هو ترجمة لاتينية للاسم العبري Tobiyah . يهودي غير معروف . ترجم كتاب الكليات لابن رشد أما من العربية أو العبرية إلى اللاتينية سنة ١٢٥٥ م . طبعت هذه الترجمة في البندقية سنة ١٤٨٢ م وذكر أن مترجمها ومؤلفها مجهولان . كذلك ظهرت لها

طبعة جديدة مع كتاب ابن زهر في البندقية سنة ١٤٩٠ م ونسبت إلى Armengaud . وتوجد أيضاً في طبعة أخرىٰ مطبوعة مع أحد كتب الرازي وابن سيرافيون في ستراسبورغ سنة ١٥٣١ م.

يوحنا من بريشيا **John of Brescia** مترجم إيطالي اشترك مع اليهودي يعقوب ابن ماحير في مونبيليه سنة ١٢٦٣ م في ترجمة رسالة الزرقالي في الأسطرلاب . وقد نقلها يعقوب من العربية إلى اللغة المحلية ثم قام يوحنا بنقلها إلى اللاتينية .

ساليو من بادوا **Salio of Padua** ترجم سنة ١٢٤٤ م ، غالباً بمساعدة شخص اسمه داود رسالة في التنجيم (تسمىٰ بالعربية كتاب المواليد) لمؤلف عربي اسمه أبو بكر عنوانها Liber de nativitatibus . كذلك ترجم رسالة ثانية في نفس الموضوع(اسمها بالعربية كتاب الكواكب) عنوانها اللاتيني De stellis Fixis تنسب لهرمس تريسميجيستوس Trismegistos . وقد صدرت أول طبعة للكتاب المذكور أولاً في البندقية حوالي سنة ١٤٩٠ م . أما الكتاب الثاني فقد طبع في نهاية كتاب بطليموس المسمىٰ Quadripartitum بعنوان De Judicius et Significatione stellarum سنة ١٤٩٤ م.

وليام من لوني **William of Lunis** نبغ في وقت ما خلال القرن الثالث عشر مترجم إيطالي ترجم بعض شروح ابن رشد علىٰ منطق ارسطو وشرح فورفوريوس له .

كذلك ترجم كتاب جبر عن العربية (غير كتاب الخوارزمي)، ويبدو أنه يوجد ترجمة لنفس الكتاب في اللغة الإيطالية ، وهو ذو اتجاه أفلاطوني حديث .

جيوفاني دي كابوا **Giovanni du Capua**: مترجم إيطالي ترجم الكتب التالية إلى اللاتينية :

١ ـ كتاب موسى بن ميمون في الأغذية .

٢ ـ كتاب التيسير لابن زهر . ابن زهر هو طبيب الجيل الثالث من أسرته توفي سنة ١١٦٢ م واسمه أبو مروان عبد الله بن زهر واسمه اللاتيني Avenzoar . له عدد من الكتب أهمها التيسير في المداواة والتدبير ، وهو ذو قسمين الأول يبحث في العلاجات [فن الاستشفاء] والثاني يبحث في الاحتماء [فن الحمية].

٣ ـ كتب ترجمة عبرية لألف ليلة وليلة .

وهناك كاتب آخر ترجم أيضاً كتاب التيسير لابن زهر وهو بارافيسينوس أو بارافيسيوس Paravicinus or Paravisius ، ولكن هناك شك حول صيغة اسمه ، والغالب أن اسمه الحقيقي هو باتافينوس Patavinnus .

سيمون الجنوى Simon of Genova . عاش في القرن الثالث عشر وترجم كتابين :

١ ـ كتاب الأقرباذين لأبي القاسم بعنوان Servitoris .

٢ ـ كتاب ابن سيرابيون أو ابن سيرافيه كما يسمىٰ أحياناً في الأدوية المفردة تحت العنوان التالي : Liber Simplici medicino.

ولقد ظل هذا الكتاب شائعاً جداً في أوربا من أواخر القرن الثالث عشر حتىٰ أوائل القرن التاسع عشر . وظل علماء الغرب والمشتغلون في العقاقير يستعملون مؤلفات ابن سيرافيه وماسويه الصغير في الدراسة والتلخيص حتى سنة ١٨٣٠ م تقريباً .

هذا ويجب الا ننسىٰ أن نذكر أن كثيراً من المؤلفين في هذا العصر ، الذين جرت العادة على وجه العموم ، باعتبارهم مؤلفين أصلاء ، يعتمدون على نماذج عربية إلى حد بعيد جداً ، حتىٰ يمكن القول أنهم ينسخونها نسخاً يكاد يكون حرفياً وينسبونها لأنفسهم . فالكتاب المشهور الذي ألفه يوحنا ساكرويوسكو Joannes Sacrabosco (Johm of Holywood) وأتمه سنة ١٢٣٣ م باسم Tractatus sphaer ou spheara هو تلخيص عمل الكرة

ومنسوخ حرفياً عن كتابي الفرغاني والبتاني في نفس الموضوع .

وقد ألف نصراني في طليطلة أواخر القرن الثاني عشر كتاباً في طب العيون . واسم المؤلف Alcoatin . وهذه الرسالة نقلت نقلاً يكاد يكون حرفياً من ترجمات عربية لكتب في نفس الموضوع ، ومهما يكن من شيء فإن هذه الرسالة التي عنوانها Congregatio de oculis قد نشرت معرفة عربية جديدة في الموضوع .

النقلة اليهود :

لقد كان التراجمة اليهود الذين ازدهروا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ميلادي أمثال يوسف قمحي ويهودا بن طيبون مهتمين بشكل رئيسي بترجمة الأعمال اليهودية . أما النقلة اليهود الذين برزوا في القرن الثالث عشر فقد قلبوا الصورة تماماً. ويعتبر القرن الثالث عشر العصر الذهبي للنقل من العربية إلى العبرية .

إن القسم الأهم من النشاط اليهودي في القرن الثالث عشر قد خصص للنقل من اللغة العربية ، وذلك بسبب ازدياد عدد البحاثة اليهود المتزايد الذين أصبحوا يجهلون اللغة العربية . هذا وإن أشهر مترجمين يهوديين هما موسى بن طيبون ويعقوب بن ماحير ، فقد نقلا إلى العبرية مكتبة كاملة من المؤلفات الرياضية العربية واليونانية وعلم الفلك العربي اليوناني .

١ ـ يهودا بن اسحاق (النصف الأول من القرن الثالث عشر) :

لا يعرف عنه الكثير وإنما اشتهر بسبب ترجمته إلى العبرية كتاباً ألفه يهودي اندلسي . ذلك أن اليهودي الأندلسي المسمىٰ يهودا هاليوي Juda Halewy والمعروف بالاسم العربي أبو الحسن اللاوي ، وهو يهودي ولد بطليطلة سنة ١٠٨٥ م وتوفي قرب القدس سنة ١١٤٠ م ، ألف كتاباً بالعربية عنوانه كتاب الحجة والدليل في نصر الدين الذليل ، ويعرف الكتاب عادة

باسم الكتاب الخزري ، لأنه يحوي حواراً بين يهودي وملك الخزر حول الدين اليهودي . وقد ترجم هذا الكتاب إلى العبرية مرتين الأول بقلم يهودا بن طيبون سنة ١١٦٧ م ، والثانية بقلم يهودا بن اسحاق وذلك سنة ١٢١١ م . ولكن ترجمة ابن طيبون هي التي قدر لها الذيوع والانتشار ، فيما لم يقدر لترجمة يهودا بن اسحاق الانتشار . وقد حققت ترجمة ابن طيبون ونشرت لأول مرة سنة ١٥٠٦ م ثم أعيد نشرها وطبعها مراراً كثيرة . أما ترجمة ابن اسحاق فقد حققها وترجمها إلى الألمانية مع شروح وتعليقات داود كاسيل Dawid Cassel (لاينبريغ ١٨٥٣ م) . كما وإن هذا الكتاب نقل إلى اللاتينية والألمانية والإسبانية والانكليزية .

٢ ـ صمويل بن طيبون:

أسرة طيبون أسرة يهودية اشتهرت بانجابها عدداً من أشهر النقلة من العربية إلى العبرية . وأول من نبغ فيها هو يهودا بن طيبون الذي عاش في القرن الثاني عشر ويلقب بـ (أبي التراجمة اليهود) وقد كان مؤلفاً وناقلاً للكتب العربية إلى العبرية . ثم خلفه من بعده ابنه هذا صمويل ومن بعده ابنه موسىٰ وهكذا .

عاش ابنه صمويل هذا طويلاً في الأندلس وتنقل في لانغدوك وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا ، وهو معتبر من أشهر التراجمة في عصره وأجودهم ترجمة ولد عام ١١٥٠ م وتوفي في مرسيليا عام ١٢٣٢ م.

فأول ترجمة قام بها صمويل هذا هي جمعه لنصوص فلسفية لعدد من أشهر فلاسفة الإسلام ، وبشكل خاص ابن رشد ، ونقله لها إلى العبرية في كتابه أسماه « آراء الفلاسفة » وقد استعمل هذا الانتاج باعتباره متناً متداولاً حتى حلت الترجمات الكاملة للنصوص ذاتها مما أدىٰ إلى وضع هذا الكتاب خارج الاستعمال .

ثم نقل إلى العبرية الكتب التالية :

١ ـ كتاب أرسطو المسمىٰ الآثار العلوية Meteorology بترجمة يحيى بن

البطريق . وقد نقله صمويل أثناء رحلة له في البحر إلى الإسكندرية سنة ١٢١٣ م تحت عنوان عبري : Otol ha - Shanàyin .

٢ ـ شروح علي ابن رضوان على كتاب جالينوس المسمىٰ « شرح الصناعة الصغيرة Tegni» وقد أنهاها سنة ١١٩٩(١) م في مدينة Béziers بعد أن نقله عن العربية .

٣ ـ ثلاث رسائل لأبن رشد . وأبن رشد أشهر أن يعرف فهو ربما كان أشهر وأعظم فيلسوف مسلم وهو أبو الوليد محمد بن أحمد توفي سنة ١١٩٨ م وله عدد كبير من الكتب الطبية والفلكية والفلسفية ولكن شهرته كفيلسوف طغت على ما عداها . ومارس نفوذاً واسعاً كل السعة ورائعاً كل الروعة على التفكير في الغرب أبان العصور الوسطى وعصر النهضة وقد اشتهر بشكل خاص بشروحه الرائعة على فلسفة أرسطو حتى سمي بأسم له دلالة وهو الشارح الأعظم و « نفس أرسطو وعقله » ولا تكاد تجد مخطوطات يهودية لأرسطو دون شرح أبن رشد عليها . وأن شروحه تحمل أسم أرسطو في عناوينها . وكان لأبن رشد مكان عظيم في الفكر اليهودي ، كما أخذ مكانه في المدرسة اللاتينية باعتباره شارحاً فيصلاً وحجة في آراء وأفكار وفلسفة أرسطو . وقد ألف ابن رشد ثلاثة شروح على فلسفة أرسطو : الأول ويسمىٰ الجامع والثاني وهو أوسع من الأول ويسمىٰ التلخيص . أما الشرح أو التفسير فهو أوسع الجميع . ولا يوجد لدينا النص العربي الكامل لهذه الأنواع الثلاثة من شروح ابن رشد . ويبدو أن بعض الأقسام من أعماله فقدت فقداناً لا يعوض . وقد حفظت لنا أجزاء كثيرة من كتبه في ترجمات عبرية ولاتينية . ولسوء الحظ ، فقد قسم كبير من مؤلفاته العربية ، ولا يوجد لها الا ترجمات عبرية ولاتينية . وقد نقل صمويل هذا ثلاث رسائل صغيرة لابن رشد ونشرها تحت اسم Sheloshal mamarim . وقد نشرها بعد أن حققها وترجمها للألمانية J . Hercy

(١) أوليري ، ديلاسي . المصدر المذكور آنفاً ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

تحت عنوان Drei Abhanalungen über die Conjunction des Separaten Intellects mit dem Menschen. Berlin, 1869.

٤ ـ رسالة لأرسطو في قياس الظواهر الجوية سنة ١٢١٣ م .

٥ ـ كتاب موسى بن ميمون المسمىٰ دلالة الحائرين .

يعتبر أبو عمران موسىٰ بن ميمون بن عبدالله المتوفي سنة ١٢٠٤ م من أشهر فلاسفة اليهود في القرون الوسطىٰ . واسمه باللاتينية هو Maimonides . هاجرت أسرته إلى أفريقيا من الأندلس واستقرت في فاس ، ثم انتقل هو إلى مصر ودخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي وأولاده من بعده ، وسمع عن ابن رشد وتتلمذ على فلسفته وأفكاره ونشر مذهبه الفلسفي في أوربا اللاتينية وبين اليهود . ومع أن ابن ميمون كان معروفاً للمدرسين اللاتين ، إلاّ أنه لم يصيره عمله مشهوراً عندهم ، بقدر ما صيره عمله في نشر فلسفة ابن رشد وشرحها والتبشير بها . وكذلك الحال في بقية المؤلفين اليهود خلال القرون الوسطىٰ ، فإن نشرهم لفلسفة ابن رشد ودفاعهم عنها هو الذي جعلهم ذوي خطر في الفكر الغربي في القرون الوسطىٰ .

وقد نقل صمويل هذا كتاب دلالة الحائرين عن العربية ، لأن الغالبية الساحقة من مؤلفات ابن ميمون ، كتبها بالعربية ، وقد أصدر الكتاب تحت عنوان Moreh nebukim وقد تمت الترجمة سنة ١٢٠٤ م ، وقد نشرت النسخة العربية في باريس في ثلاثة أجزاء فيما بين سنتي ١٨٥٦ و١٨٦٦ م بتحقيق مونك Munk . ونشرت في لندن سنة ١٨٨٤ م ترجمة انكليزية لنفس العام قام بها فريند لاندر .

هذا وقد أتم صمويل ترجمة هذا الكتاب في مدينة أرليس Arles . وهناك ترجمة عبرية ثانية لنفس العمل قام بها الحازري بعد عدد قليل من السنوات ، ولكنها ليست دقيقة وانتقدت بشدة ولم تكن ناجحة .

٦ ـ رسالة لابن ميمون عن البعث بعنوان Lggeret أو Ma'amar tehiyyat ha - metim . طبعت في القسطنطينة سنة ١٥٦٩م .

٧ ـ رسالة لابن ميمون المسماة المشناة Mishan وهي شرح على ما يسمىٰ باسم Pirqe abot طبعت سنة ١٤٨٠ م في سونسيني Soneine .

٨ ـ « ثلاث عشرة مقالة » لابن ميمون تحت عنوان Shelosh esreh iqqarim وقد طبع نص هذه المقالات سنة ١٥٥١ م في البندقية ، ثم أعيد طبعه عدداً كبيراً من المرات Moreh nebukim and bi, ur millot ha - Ziarot كما طبع كتاب Ma'amar yiqqawu في بريسبورغ سنة ١٨٣٧ م بتحقيق M.L. Bisliches .

٣ ـ **الحارزي، يهودا بن سليمان Judah ben Solomon al- Harizi** يهودي اسباني ناقل من العربية إلى العبرية توفي سنة ١٢٣٤ م ، ارتحل كثيراً ونقل كثيراً من الأعمال العربية إلى العبرية . ومن أشهرها الأعمال التالية :

١ ـ رسالة تنسب إلى جالينوس في النفس سنة ١٢٠٠ م بعنوان Sefer ha - nefesh .

٢ ـ رسالة أخرىٰ تنسب لجالينوس .

٣ ـ كتاب حنين بن اسحاق المعروف باسم أقوال الفلاسفة (مفقود في العربية) .

٤ ـ رسالة في التربية Lggeret ha - mussar وهي رسالة أخلاقية تنسب إلى أرسطو شرحها علي بن رضوان .

٥ ـ مقامات الحريري ، الحريري مؤلف مشهور بمقاماته وقد قلدها اليهود واقتبسوا الكثير منها وعلى رأسهم الحارزي هذا . لم يبق من هذه المقامات سوى قسم من المقامة الأولىٰ والمقامات الست والعشرين التالية لها .

٦ ـ كتاب السراج لابن ميمون . نقل قسماً منه فقط .

٧ ـ كتاب دلالة الحائرين لابن ميمون . وقد نقله تحت عنوان Moreh nebukin وقد كان ابن طيبون نقل نفس الكتاب إلى العبرية قبل فترة قصيرة . ويبدو أنه استخدم في ترجمته هذه نصاً لاتينياً ولجأ فيها إلى ما يسمىٰ بالأسلوب الحر . وقد انتقدت هذه الترجمة كثيراً وأهملت وحل محلها ترجمة ابن طيبون . ولكنها مهمة لأنها نقلت فلسفة ابن ميمون إلى الغرب ، وكانت الأساس الذي استندت إليه الترجمة اللاتينية مجهولة المؤلف لنفس الكتاب . تلك الترجمة التي استعملها كثير من المؤلفين اللاتين . وقد اعاد النظر فيها وعدلها Agostino Giustiniani وطبعت في باريس سنة ١٥٢٠ م . كذلك كانت هي أصل الترجمة القشتالية لنفس العمل والتي أنجزها بدرو الطليطلي .

٨ ـ رسالة في البعث لابن ميمون Ma'amor tehiyyot ha - metim ويبدو أنها نقلت أولاً من العربية إلى العبرية على يد صمويل بن طيبون ، ثم نقلها من العبرية إلى العربية ابن جول ، وأخيراً نقلها الحارزي من العربية إلى العبرية .

٩ ـ كتاب الأخلاق لأرسطو .

١٠ ـ كتاب السياسة لأرسطو .

٤ ـ إبراهيم بن صمويل بن حسداي Abraham ben Samuel ibn Hasdai:

يعتبر ابن حسداي هذا واحداً من أعظم النقلة اليهود مدىٰ العصور . ولد في قطلوينا وبرز في برشلونة وتوفي في حدود سنة ١٢٤٠ م . نقل عدداً من الكتب العربية إلى العبرية أهمها الكتب التالية :

١ ـ كتاب التفاحة المنسوب خطأ إلى أرسطو ، وقد فقد الأصل العربي للكتاب وبقيت الترجمة العبرية بعنوان Sefer ha - Tappuha . وقد طبع لوزيوس J.J. Lusius النص العبري واللاتيني للكتاب في جيسين Giessen سنة ١٧٠٦ م . كذلك طبع كتاب التفاحة بنصه العبري كثيراً في البندقية وتورينو وغيرها من البلدان خلال القرن السادس عشر كذلك

نقـل كتـاب التفاحـة إلى الألمانيـة J.Musen ونشر الكتاب في Lemberg سنـة ١٨٧٣ م ونقله إلى الانكليـزيـة Hermam Gollanez ونشـره في لندن سنة ١٩٠٨ م . وقد نقل كتاب التفاحة إلى اللاتينية تحت إشراف مـانفـريـد Manfred ملك صقليـة بين سنتيّ ١٢٥٠ م و١٢٦٦ م ، بـل يقال إنه عملها بنفسه . وذلك نقلاً عن ترجمة إبراهيم للكتاب .

٢ ـ رسالة العناصر المنسـوبة لإسحـاق الإسرائيلي ، وقـد نقلها تحت اسم Sefer ha - Yesodot ، ويسمىٰ هذا الكتاب أيضاً كتاب الإسـطقيسات Al - Istaqisàt . وقد فقد النص العربي للكتاب .

٣ ـ كتاب ميزان العمل للغزالي ، وقد ترجمه تحت اسم الميزان الصادق . وقد نشر هـذه الترجمـة جولـد نثال وصـدرها بمقـدمة عبـرية عن حيـاة الغزالي ومؤلفاته وصدرت هذه الطبعة في لاينبريغ سنة ١٨٣٩ م .

والترجمة سيئة رديئة وحذف المترجم منها كل ما له علاقة بالله ورسولـه صلّى الله عليه وسلم ونسب أقوال القرآن الكريم والرسول عليـه السلام إلى بعض الحكماء . وعنوان الكتاب بالعبرية هو Mozen Zedeq .

٤ ـ كتـاب Sefer ha - Yesodot . نشر النص العبـري مع تـرجمة المـانيـة Salomon Fried (فرانكفورت سنة ١٩٠٠م). وقد نقـل نفس الكتاب إلى اللاتينية جيرار الكريموني . .

٥ ـ رسالتان لابن ميمون .

٥ ـ يعقوب اليهودي Magister Jacobus Hebraeus:

نحن نجهل كل شيء عن هذا المترجم سـوى إنه نقـل كتاب التيسيـر لابن زهر .

يعتبر ابن زهر ، واسمه الكامـل أبو مـروان عبد الملك بن أبي العـلاء زهر ويسمىٰ أيضـاً أبو مـروان ابن زهر ، أكبـر طبيب في الأندلس وأكبـر طبيب لـدىٰ المسلمين والنصارىٰ . ولـد في إشبيلية حـوالي سنة ١٠٩٣ م ومـات

فيها سنة ١١٦٢ م . ألف على الأقل ستة كتب لم يبق منها سوى ثلاثة هي : كتاب الاقتصاد في إصلاح النفس والأجساد . كتاب التيسير في المداواة والتدبير . كتاب الأغذية وهو أهم كتبه . وعن طريق الترجمات اللاتينية والعبرية لهذه الكتب الثلاثة ظل تأثير ابن زهر في الطب الأوربي حتى نهاية القرن السابع عشر .

١ - كتاب التيسير في المداواة والتدبير . نقل هذا الكتاب فور صدوره إلى العبرية مرتين دون أن يعرف الناقل ، وقد عرفت إحدىٰ الترجمات في إيطاليا قبل سنة ١٢٦٠ م . وقد قام يعقوب اليهودي المذكور أعلاه بترجمة هذا الكتاب عن العبرية إلى إحدىٰ اللهجات المحلية الأوربية ، وعن هذه اللهجة المحلية الأوربية نقل الكتاب إلى اللاتينية ١٢٨٠ - ١٢٨١ م والناقل هو بارافيتشي Paravice . وقد طبعت هذه الترجمة في البندقية كثيراً من المرات . وجميع هذه الطبعات تحوي التيسير والكليات لابن رشد . وهناك طبعات مستقلة للتيسير . وهناك ترجمة لاتينية أخرىٰ للتيسير عملها يوحنا من كابوا John of Capua (النصف الثاني من القرن الثالث عشر) وعلى الرغم من أن هذه الترجمة أجود من ترجمة بارافيتشي المار ذكرها الا لم تنشر ، وقد حوت الترجمتان أخطاء شنيعة وتصحيفاً مزرياً . ولا يوجد ترجمات حديثة لكتب ابن زهر كلها .

ولابد من التنويه أن ابن زهر عرف في أوربا باسمه اللاتيني Abhomeron Avenzoar.

٦ - يعقوب أناطولي Jacob - Anatoli (١١٩٤ - ١٢٥٦ م):

ولد يعقوب هذا في جنوبي فرنسا (مرسيليا) غالباً ونبغ في ناربونة وبيزيه ، ثم انتقل إلى نابولي ودخل في خدمة الأمبراطور فريدريك الثاني الذي كان آنذاك شديد الرغبة في تقديم الكتب العربية إلى الغرب . وهكذا نجده يرعىٰ يعقوب هذا ويجري عليه رزقاً ، وكان يعقوب هذا

تلميذاً وصهراً لصموئيل بن طيبون . وتستند شهرته إلى أنه أول من نقل شروح ابن رشد على أرسطو إلى العبرية ، وكان مشايعاً لابن ميمون ، وهو أول من نشر وجهة نظر ابن ميمون الفلسفية ونشر فلسفة ابن رشد وشروحه لدىٰ شعوب أوربا اللاتينية . وقد قام بنقل الكتب التالية إلى العبرية :

١ ـ متوسطات ابن رشد وشروحه المتوسطة على كتاب أيساغوجي لفرفوريوس .

٢ ـ شروح ابن رشد المتوسطة على مقولات أرسطو .

٣ ـ التفسيرات لأرسطو (وهي شروح متوسطة قام بها ابن رشد) Interpretation .

٤ + ٥ ـ التحاليل الأولىٰ والثانية لأرسطو بقلم ابن رشد وتسمىٰ أيضاً التحاليل السابقة واللاحقة Prior and Postirion Analitics . وقد تم هذا العمل في نابولي سنة ١٢٣٢ م وقد نقل الكتب الثلاثة الأول من العبرية إلى اللاتينية يعقوب مانتينو Jacobe Mantino (النصف الأول من القرن السادس عشر) ونشرت سنة ١٥٥٠ م و١٥٥٣ م .

٦ ـ المجسطي لبطليموس من العربية تحت عنوان حبّورها جدول هاقصرا المجسطي (المؤلف الكبير المسمىٰ المجسطي) . وقد تم ذلك سنة ١٢٣٥ م .

٧ ـ مختصر المجسطي لابن رشد وقد تم ذلك أما سنة ١٢٣١ م أو ١٢٣٥ م ولا يعرف هذا النص الا بهذه الترجمة العبرية .

٨ ـ كتاب الفرغاني المسمىٰ كتاب في الحركات السماوية . يبدو أن الترجمة تمت عن ترجمة لاتينية بالاستعانة بنص عربي . هناك ترجمتان لاتينيتان لنفس العمل الأول بقلم يوحنا الإشبيلي والثانية من عمل جيرار الكريموني ، وغالباً استعمل أناطولي ترجمة جيرار . هذا وإن الترجمة اللاتينية المنشورة في فرانكفورت سنة ١٥٩٠ م قد نقلها عن

ترجمة أناطولي هذه يعقوب كريستمان Jacob Christmann.

وهناك ترجمات لعدد من رسائل الفارابي في المنطق وجدت ملحقة بترجمات أناطولي لمؤلفات ابن رشد فنسبت إليه ، وهي ، في الأعم الأغلب ، من عمل موسىٰ بن طيبون .

٧ ـ يهودا بن سالمون بن كوهين Judah Salomon ben Cohen.

لا نعرف عنه سوى أنه نقل شروح ابن رشد على كتب أرسطو : المتوسطات ، التفاسير وكان ذلك في طليطلة سنة ١٢٦٠ م .

٨ ـ سليمان بن أيوب (النصف الثاني من القرن الثالث عشر) .

يهودي إسباني ولد وتثقف في غرناطة ، ولكنه انتقل إلى بيزيره Béziers وهناك نبغ وبرز كطبيب وكناقل من العربية إلى العبرية . نقل من الكتب ما يلي :

١ ـ كتاب الفرائض لابن ميمون Sefer ha Mizwot وقد أنجزه سنة ١٢٤٥ م في بيزيره .

٢ ـ كتاب التنبيه لابن جناح .

٣ ـ كتاب التسوية لابن جناح .

وهذان الكتابان (رقم ٢ ورقم ٣) هما كتابا نحو وقواعد وقد أنجزهما في بيزيره سنة ١٢٥٤ م .

٤ ـ كتاب ابن رشد المتوسطات على أرسطو De Coelo وهو شرح ابن رشد على كتاب الطبيعة والسماء والعالم لأرسطو وقد تم ذلك سنة ١٢٥٩ م .

٥ ـ أرجوزة ابن سينا الطبية Sefer ha - Argusah. وقد نقلها إلى العبرية شعراً وأنجزها سنة ١٢٦٢ م .

٩ ـ موسىٰ بن طيبون Mosses ibn Tibbon (النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي) .

طبيب من مقاطعة بروفانس وفلكي ومترجم من العربية إلى العبرية ، ولد في مرسيليا وفترة نشاطه كانت بين سنتي ١٢٤٠ أو ١٢٨٣ م. وهو واحد من أشهر وأعظم النقلة في العصور الوسيطة ، فقد نقل هو وقريبه يعقوب بن ماحير بن طيبون إلى العبرية مكتبة كاملة من الرياضيات العربية والفلك العربي والطب العربي .

ولقد قسمت ترجماته حسب الموضوعات إلى أربعة أقسام كبرىٰ :

الفلسفة والإلهيات، الرياضيات والفلك ، الميكانيكا والطبيعة ، الطب .

(أ) الفلسفة والإلهيات :

جميع المواد من رقم (١) إلى رقم (٨) تشير إلى شروح ابن رشد على أرسطو وهي أهم ترجماته الفلسفية كلها وتشير إلى المختصرات (جامع) باستثناء المادة رقم (٦) فإنها تشير إلى المتوسطات (التلخيص).

١ ـ كتاب السماع الطبيعي Physica Auscultatio تمت ترجمته سنة ١٢٥٠ م وطبع دون اسم موسىٰ سنة ١٥٥٩م بعنوان Riva di Trento .

٢ ـ كتاب السماء والعالم De Coelo et Mundo .

٣ ـ كتاب الكون والفساد De Generatione et Corruptione تم نقل الملخص سنة ١٢٥٠م. وعمل له شرحاً ليفي بن جيرسون سنة ١٣٢١ م Levi ben Gerson .

٤ ـ كتاب الآثار العلوية Meteoralogia. وقد نقل هذا الملخص العبري إلى اللاتينية إيليا كريتنسيس Elia Cretensis. وقد نشر النص اللاتيني في البندقية سنة ١٤٨٨ م وأيضاً سنة ١٤٨٩ م.

٥ ـ كتاب النفس De Anima تم إنجازه سنة ١٢٤٤ م وعمل عليه شرحاً سنة ١٣٢٣ م ليفي بن جيرسون .

٦ ـ كتاب في النفس Idem وهو الشرح الأوسط (التلخيص) وهي المتوسطات

التي أنجزها ابن رشد سنة ١١٨١ م وتمت الترجمة العبرية سنة ١٢٦١ م .

٧ ـ كتاب الطبيعيات الصغير Parva Naturalia . أنجز الترجمة سنة ١٢٥٤ م في مونبيليه . وأنجز ابن رشد تأليفه في إشبيلية سنة ١١٧٠ م وقد نقل النص اللاتيني عن العربية .

٨ ـ الميتافيزيكا (ما وراء الطبيعة) Metaphysica وتم إنجازه سنة ١٢٥٨ م وقد نقل هذا الكتاب إلى اللاتينية يعقوب مانتينو وطبع النص اللاتيني في روما سنة ١٥٢١ م وفي بولونيا ١٥٢٣ م .

٩ ـ شروح على الكتاب الأول من كتاب ما وراء الطبيعة تأليف تيميستيوس Themistios المسمىٰ (أنامستيوس)، نقلها من الترجمة العربية بقلم اسحاق بن حنين وإصلاح ثابت بن قرة وقد تم نقل الشروح إلى العبرية سنة ١٢٥٥ م . كما وإن هذه الترجمة العبرية نقلها إلىٰ اللاتينية موسىٰ فينزي Finzi وطبعت في البندقية سنة ١٥٧٦ م . وأن مؤلف هذا الكتاب من رجال القرن الرابع ق . م .

١٠ ـ كتاب الحدائق تأليف السيد البطليوسي . وهو عبارة عن موازنة العالم الأرضي بعالم خيالي مثالي . وقد أحل المترجم مكان الآيات القرآنية التي استعملها المؤلف الأصلي للاستشهاد مقتبسات من التوراة . وقد حقق الكتاب ونشره كوفمان وصدر في بودابست سنة ١٨٨٠ م . ولا بد من التنويه أن الأصل العربي للكتاب مفقود .

١١ ـ كتاب الفارابي المسمىٰ ، كتاب المبادىء . وهو كتاب فلسفي وسياسي تم تأليفه في دمشق سنة ٩٤٢ م ونقح في القاهرة سنة ٩٤٩ م . وقد تم نقله إلى العبرية سنة ١٢٤٨ م . وقد حقق النص العبري ونشره في لاينبريغ سنة ١٨٤٩ م . هرشل فيليبوفسكي Herahnell Filipowski .

هذا وإن المواد من رقم ١٢ إلى رقم ١٤ هي كتب من تأليف ابن ميمون .

١٢ ـ كتاب السراج وهو شروح على المشناة وقد حققه جيجر ونشره في بيتراغ سنة ١٨٤٧ م (A. Geiger (Beitrage 1847.

١٣ ـ كتاب الفرائض تمت ترجمته سنة ١٢٤٠ م وقد ترجمه سابقاً إبراهيم بن حسداي . وقد طبع في القسطنطينة (١٥١٦ ـ ١٥١٨ م)، وله عدة طبعات مع المشناة والتورات .

١٤ ـ مقالة في صناعة المنطق ، وقد تمت ترجمتها سنة ١٢٥٤ م. وهناك طبعة سقيمة مع ترجمة لاتينية صدرت في بال سنة ١٥٢٧ م كما وإن هناك عدداً كبيراً من الطبعات لهذا العمل .

(ب) الرياضيات والفلك .

١٥ ـ عناصر إقليدس . وقد تمت الترجمة في مونبيليه سنة ١٢٧٠ م. ويبدو، غالباً ، أنه ترجم شروحاً على نفس العمل للفارابي وابن الهيثم من العربية إلى العبرية .

١٦ ـ كتاب الأفلاك تأليف ثيودوسيوس من بيتينيا (النصف الأول من القرن الأول ق.م) وذلك نقلاً عن الترجمة العربية التي قام بها قسطا بن لوقا وآخرون . وقد تمت في مونبيليه سنة ١٢٧١ م. ولابد من ذكر أن نفس الكتاب نقله إلى اللاتينية سابقاً أفلاطون التيفولي وجيرار الكريموني .

١٧ ـ كتاب الهيئة أو إصلاح المجسطي لجابر بن أفلح (النصف الأول من القرن الثاني عشر) وقد نقله إلى العبرية سنة ١٢٧٤ م.

١٨ ـ كتاب الحساب والجبر لمحمد الحصار (النصف الثاني من القرن الثاني عشر) وقد نقله إلى العبرية في مونبيليه سنة ١٢٧١ م.

١٩ ـ كتاب الهيئة للبطروجي (النصف الأول من القرن الثاني عشر) نقله إلى العربية سنة ١٢٥٩ م ونقل النص العبري إلى اللاتينية كالوينموس بن داود سنة ١٥٢٨ ـ ١٥٢٩ م Qalonymos ben David.

(ج) الميكانيكا والطبيعة :

٢٠ ـ مسائل أرسطو Problemata، وهي مسائل الطبيعة التي نقلها إلى العربية حنين ابن اسحاق ، وقد نقلت إلى العبرية سنة ١٢٦٤م.

(د) الطب :

٢١ ـ الأرجوزة (Canticum) مع شرح ابن رشد عليها. وهي قصيدة لابن سينا في الطب .

٢٢ ـ القانون الصغير لابن سينا وتم نقله في مونبيليه سنة ١٢٧٢م.

٢٣ ـ زاد المسافر لابن الجزار Viaticum Peregrinantis، وقد ترجمه سنة ١٢٥٩ م. وقد كان موسىٰ يقتبس الاصطلاحات الفنية الطبية العربية ويأتي بمقابلها العبري . وقد انتقد الترجمة اللاتينية التي قام بها قسطنطين الإفريقي لنفس العمل والترجمة العبرية التي نقلت عن اللاتينية .

٢٤ ـ كتاب الايساغوجي لجالينوس وترجمة حنين بن اسحاق : Galen Lsa-goge Johammitü ad Tegni . والكتاب موضوع في صيغة أسئلة وأجوبة . وتاريخ الترجمة غير معروف .

٢٥ ـ كتاب الأقرباذين للرازي Antidotary وقد ترجمه إلى العبرية سنة ١٢٥٧ م.

٢٦ ـ كتاب التقسيم والتشجير (ويسمىٰ أيضاً كتاب تقسيم العلل) للرازي وقد نقله إلى العبرية سنة ١٢٨٣ م.

٢٧ ـ مقالة في تدبير الصحة لابن ميمون (وتسمىٰ الرسالة الأفضلية لأن المؤلف ألفها سنة ١١٩٨ م وقدمها إلى الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي). وقد فرغ من ترجمتها إلى العبرية سنة ١٢٤٤م ولابد من ذكر أن نفس الرسالة نقلها إلى اللاتينية أرمانغو سنة ١٢٩٠ م بعنوان الغذاء

الصحي . كما نقلها من العبرية إلى اللاتينية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر حنا من كابوا Johm of Capua. وقد حقق النص العبري نشره يعقوب بن موسىٰ زيبي Jacob ben Moses Zebi بعنوان Liber Mosheh (وارسو ١٨٨٦ م)، كذلك حقق نفس الكتاب ونشره في القدس سنة ١٨٨٥ م Jacob Saphir ha - Levi بعنوان Banhagat ha- Beri'ut.

٢٨ ـ كتاب السموم والتحرز من الأدوية القتالة لابن ميمون . وقد نقل هذا الكتاب مرتين إلى العبرية إحداهن هذه الترجمة بقلم موسىٰ بن ميمون كذلك نقله إلى اللاتينية أرمانغو بن بليس بعنوان De Veninis.

وهناك أخيراً كتاب للغزالي اسمه كتاب القسطاس المستقيم نقله إلى العبرية موسىٰ بن طيبون بعنوان ميزان النظر . وكان يظن أن النص العربي مفقود ثم ثبت العكس . وهناك من ينسبه إلى يعقوب بن ماحير المتوفي سنة ١٣٠٨ م.

١٠ ـ شيم طوب بن اسحاق Shem - Tobben Isaac توفي بعد ١٢٦٧ م :

ويسمىٰ أيضاً بأبي الطرطوسي Babi ha - Trotosi.

يهودي اسباني طبيب ومترجم من العربية إلى العبرية . ولد في طرطوسة من اسبانيا سنة ١١٩٦ م وارتحل في الشرق الأدنىٰ ، ولما عاد بدأ بعد سنة ١٢٢٦ م دراسات في الفلسفة والعلوم في برشلونة ، وبرز بعد ذلك في مونبيليه ومرسيليا . نقل من الكتب ما يلي :

١ ـ متوسطات ابن رشد المسمىٰ الشرح الأوسط على كتاب « في النفس لأرسطو De anima وعنوانه العبري هو Defer ha - nefesh».

على أن شهرته تقوم على ترجمته لكتابين طبيين من أشهر كتب الإسلام الطبية الأول كتاب التصريف للزهراوي والثاني كتاب المنصوري للرازي .

٢ ـ كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم الزهراوي . وقد أتم

الترجمة في مرسيليا سنة ١٢٥٨ م ثم عدلها سنة ١٢٦١ م وأعطىٰ الكتاب العنوان التالي العبري : Sefer ha - Shimmush . وقد ترجم بحرية وقدم للترجمة بفصول عن العناصر الأربعة . كذلك قام يهودي آخر بترجمة كتاب التصريف في شمالي فرنسا حوالي نفس الوقت وهو ميشولان بن يوناه Meshullan ben Jonah.

٣ ـ كتاب المنصوري للرازي وأكمل ترجمته سنة ١٢٦٤ م.

وبهذا جعل الطب العربي في متناول الأطباء اليهود المتزايدين في العدد والذين لا يعرفون العربية .

٤ ـ كتاب أمثال وحكم أبقراط المسمىٰ Aphorismis . وقد بدأ في ترجمته عن العربية سنة ١٢٦٧ م وأنهاه في نفس السنة . وعلى الرغم من أن هناك على الأقل خمس ترجمات لنفس العمل ، إلاّ أن هذه الترجمة تمتاز بوضوحها واشتمالها على شروح بالاديوس Palladios على ابقراط وكتابه .

١١ ـ زراحيا غراشيان **Zarahiah Gracian** توفي بعد سنة ١٢٨٠ م :

يهودي ترجم كتباً كثيرة من العربية إلى العبرية في الطبيعة وما وراء الطبيعة والروح والنفس والطب وغير ذلك من الموضوعات . أما أهم ترجماته فهي ما يلي :

١ ـ كتاب الفصول في الطب لابن ميمون . وقد ترجم نفس العمل ناثان هامئتي . وقد تمت الترجمتان في زمن متقارب وفي مدينة رومة نفسها . ولم تطبع الترجمة الأولىٰ وطبعت الترجمة الثانية طبعاً رديئاً سنة ١٨٣٥ م في لفوف Livow .

٢ ـ مقالة في الجماع لابن ميمون . يوجد نصان لهذا الكتاب أحدهما مطول والآخر مختصر . وقد نقل زراحيا النص الأول من العربية إلى العبرية .

٣ ـ كتب جالينوس في الطب . وقد نقل هذه الكتب الطبية إلى العربية حنين بن اسحاق وقد نقل الكتابين الأولين من هذه الكتب .

٤ ـ كتاب القانـون لابن سينا . نقـل إلى العبريـة الكتابين الأولين من القـانون وذلك في رومة حوالي سنة ١٢٧٩م.

٥ ـ كتاب الأمثال والحكم لمـوسىٰ بن ميمون Aphorisms وتمت التـرجمة في رومة سنة ١٢٧٧ م.

٦ ـ كتاب الطبيعيات لأرسطو La Physique.

٧ ـ كتاب ما وراء الطبيعة لأرسطو La Metaphisique.

٨ ـ كتاب السماء والعالم لأرسطو La Coelo et mundo.

٩ ـ كتاب النفس لأرسطو La de anima.

١٠ ـ شـرح طيميستيـوس على كتـاب السمـاء لأرسـطو Le Commentaire de Themistios sur de Coelo.

١١ ـ كتاب الفارابي في مـاهية النفس Zebi Hirsch in his Hemdah genuzal نشر هذا الكتاب في لونيكسورغ سنة ١٨٥٦ م.

١٢ ـ كتاب أرسطو المسمىٰ De Causis وشروح الفارابي عليه.

١٣ ـ متوسطات ابن رشد في شرح كتاب الطبيعة لأرسطو.

١٤ ـ متوسطات ابن رشد في شرح كتاب ما وراء الطبيعة لأرسطو.

١٥ ـ متوسطات ابن رشد في شرح كتاب النفس لأرسطو.

١٢ ـ أحيطوب بن اسحاق Ahitub ben Isaac (النصف الثاني من القرن الثالث عشر):

نبغ في بالرمو أواخر القرن الثالث عشر واشتهر كطبيب وناقل من العربية إلى العبرية. نقل عن العربية إلى العبرية كتاب موسىٰ بن ميمون: مقـالة في صناعة المنطق. وعلى الرغم من أن هذه الترجمة أجود من بعض الـوجوه من تـرجمة مـوسى بن طيبون لنفس العمـل التي تمت سنـة ١٢٤٥ م الا أنهـا لم تحل محلها. كما وإن نفس العمل نقله إلى العبـرية يـوسف بن فيفس Vives من لوركا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر ميلادي.

١٣ ـ يعقوب بن يوسف اللاوي Jacob ben Joseph ha - Levi (توفي بعد سنة ١٢٩٦ م) :

نقل هذا الشخص رسالة في الجراحة ألفها ماسويه الثالث فقد نصها العربي وبقيت في ترجمتين إحداهما لاتينية والأخرىٰ عبرية وعنوان الرسالة Cyrurgia Joannis Mesue . واسم ماسويه يطلق على ثلاثة اشخاص مسيحيين ظهروا في دنيا الإسلام الأول ظهر في القرن التاسع ميلادي والثاني ظهر في القرن الحادي عشر والثالث وهو مؤلف الرسالة المذكور ظهر في القرن الثالث عشر ، ولا يوجد معلومات كافية عنه . وقد نقل ابن لاوى هذا هذه الرسالة إلى العبرية ، وتعاصر معه ناقل لاتيني نقلها إلى اللاتينية اسمه فيراريوس Ferrarius وثم عمل الترجمتين أواخر القرن الثالث عشر. وقد حقق النص العبري ونشره في برلين سنة ١٨٩٣ م يوليوس ليوبولد باجيل .

١٤ ـ ناثان المِئوي Nathan ha - Me'ati (أواخر القرن الثالث عشر) :

يبدو أن ناثان هذا من أصل إيطالي وقد برز في رومه أواخر القرن الثالث عشر ونقل إلى العبرية عدداً لا بأس به من المؤلفات العربية ، من أهمها :

١ ـ أمثال وحكم أبقراط Aphorismis وهي حكم مأثورة ترجمها مع شروح جالينوس عليها وقد نقلها عن العربية .

٢ ـ القانون لابن سينا وهو أهم ما نقله إلى العبرية من مؤلفات عربية وقد تمت الترجمة في رومة سنة ١٢٧٩ م. وعلى الرغم أن زراحيا غراشيان نقل القانون إلى العبرية متعاصراً تقريباً مع نقل ناثان لهُ ، إلاَّ أنه يبدو لنا أن ترجمة زراحيا وقفت عند الكتاب الثاني من القانون . وقد عدل ترجمة ناثان هذه يوسف بن فيفس من لوركا Vives قبل سنة ١٤٠٢ م. وقد طبعت ترجمة القانون العبرية في نابولي سنة ١٤٩٥ م ولم يطبع النص العربي للقانون الا بعد حوالي قرن في روما سنة ١٥٩٣ م.

٣ ـ كتاب المنتخب في أمراض العيون لعمار بن علي . والمؤلف هو عمار بن

علي ويسمىٰ باللاتينية Canamusli وقد بـرز في القاهـرة زمن الحكم بأمـر الله الفاطمي . ويعتبر عمار هذا من أشهر أطباء العيون المسلمين وأكثرهم أصـالة وابتكـاراً . وقد تـرجم هذا الكتـاب إلى الـلاتينيـة والعبـريـة وظـل يستخدم كتاباً تعليمياً في طب العيون في جامعات أوربا حتى بدأت نهضة طب العيون في أوربا في القرن الثامن عشر . وقد نقل ناثـان هذا الكتـاب في رومة إلى العبرية خصيصاً للطبيب البابوي Maestro Gajo.

٤ ـ كتاب الفصول في الطب لموسى بن ميمون . وقد طبعت هذه الترجمة في ليفـوف Lwow سنة ١٨٣٥ م طبعـاً رديئاً وكـذلـك طبعت ثـانيـة في سنـة ١٨٨٨ م في فلنو Vilno . ولابد من ذكر أن نفس الكتاب نقله إلى العبرية أيضاً زرحيا بن اسحاق في زمن متقارب مع نقل ناثان له .

٥ ـ كتاب الأمثال والحكم Aphorismis لموسى بن ميمون .

٦ ـ كتاب للرازي في الأوعية الدموية بعنوان Venesection.

٧ ـ كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم الزهراوي .

٨ ـ كتاب الأغذية لابن زهر .

٩ ـ كتاب مجهول المؤلف عن أسباب الكسوف .

١٠ ـ كتـــاب أبقـــراط في : خـــواص الأهـــويـــة والمياه والأمـــاكن مـع شـــروح جالينوس عليها . وقد بدأ بترجمته ولكنه لم يتمـه إذ وافاه أجله المحتـوم فأتمه ابنه سليمان سنة ١٢٩٩ م.

١٥ ـ يعقـوب بن ماحيـر بن طيبون Jacob ben Mahir ibn Tibbon ١٢٣٦ ـ ١٣٠٤ م:

أحد كبار النقلة اليهـود من العربيـة إلى العبريـة ، وهو ابن أخت النـاقل اليهودي الكبير مـوسىٰ بن طيبون. وقد كـان مشهوراً كشهـرة خالـه كمترجم ، ولكنه كان إلى جـانب ذلك فلكيـاً ذا أصالـة . ولد في مـرسيليا سنـة ١٢٣٦ م وتوفي في مونبيليه سنة ١٣٠٤ م اشتهر كما قلنا ، بشكل خاص كفلكي ، ألف

جدولاً فلكياً وعين خطوط الطول لمدينة مونبيليه اعتباراً من سنة ١٢٠٠ م فما بعد . وهذه الجداول هي تعديل لجداول الزرقالي . وقد ألف هذه الجداول بالعبرية ، ثم نقلت إلى اللاتينية . وقد ترجم الكتب التالية من العربية إلى العبرية .

١ ـ كتاب الكرة المتحركة في الفلك لمؤلفه Autolycos of Pitane (النصف الثاني من القرن الرابع ق.م) ويسمىٰ De Sphaera Mota d'Autolycos. هذا الكتاب ترجمه إلى العربية اسحاق بن حنين وقسطا بن لوقا ، وقد نقله إلى العبرية سنة ١٢٧٣م . وقد سبق لجيرار الكريموني أن نقل نفس الكتاب من العربية إلى اللاتينية تحت عنوان De Sphaera Mota .

٢ ـ عناصر اقليدس الخمسة عشر The Elements and data of Eukleides (في ١٥ كتاب) ولعل هذا العمل أول كتاب ترجمه سنة ١٢٥٥ م .

٣ ـ كتاب أقليدس المعطيات The Data نقله من ترجمة اسحاق بن حنين وتنقيح ثابت بن قرة بعنوان كتاب المفروضات وتمت ترجمته سنة ١٢٧٢ م . وكان جيرار قد نقل نفس العمل إلى اللاتينية .

٤ ـ كتاب مينلاوس الاسكندري في الفلك (النصف الثاني من القرن الأول ميلادي) The Sphaeria of Menelaes وذلك نقلاً عن الترجمة العربية بقلم اسحاق بن حنين وتنقيح ثابت بن قرة (وقد فقد النص اليوناني والنص العربي معقد كل التعقيد) . وقد تمت الترجمة العبرية سنة ١٢٧٣ م وسبق لجيرار أن نقل نفس الكتاب للاتينية .

٥ ـ كتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا L'usage de la sphere Céleste . ترجم إلى العبرية سنة ١٢٥٦ م وقد نقل نفس الكتاب إلى الإسبانية سنة ١٢٥٩ م يهودا بن موسىٰ وجان كاسبا .

٦ ـ كتاب ابن الهيثم في هيئة العالم La Configuration du monde . ترجم الكتاب إلى العبرية أما سنة ١٢٧١ م أو سنة ١٢٧٥ م . وقد نقل نفس الكتاب من العبرية إلى اللاتينية أبراهام من بالمس De Balmes (النصف

الثـاني من القرن الخـامس عشـر). وقـد نقـل الكتـاب عن العـربيـة إلى الإسبانية أبراهام الطليطلي بتكليف من الملك الفونسو العاشر .

٧ ـ كتـاب ابن الصفار المسمىٰ كتـاب العمـل بـالأسـطرلاب . L'usage de l'astralabe . وقـد سبق لأفـلاطـون التيفـولي أن نقـل نفس الكتـاب إلى اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر .

٨ ـ كتاب الرزقالي المسمىٰ كتاب العمـل بالصفيحـة الزيجيـة L'Usage de la Sapheé نقله إلىٰ اللاتينية يعقـوب بن ماحيـر هذا بـالإشتراك مـع جان من بـرشيا Brescia إلى الـلاتينية سنـة ١٢٦٣ م. وقد نقـل نفس الكتـاب إلى الإسبانية فيرارندو الـطليطلي Ferrando بين سنتي ١٢٥٥ و ١٢٥٦ م . ثم نقله نقـلاً ثانيـاً أبراهـام الطليـطلي وبرنـالدو Bernaldo وكـان ذلـك سنـة ١٢٧٧ م . ثم نقله يعقوب بن ماحير إلى العبريـة في وقت غير محـدد هل هو قبل الترجمة اللاتينية أم بعدها .

٩ ـ رسـالة فلسفيـة للغزالي وقـد ترجمهـا إلى العبـريـة بعنـوان Mozene ha - iyyunim (Balance of Speculations). لا يـعـرف عنـوان الـكـتـاب الأصلي ، إذ أنـه ليس كتاب ميـزان العمـل الـذي تـرجمـه إلى العبـريـة إبراهيم بن حسداي في النصف الأول من القرن الثالث عشـر . وهناك من يشك في نسبة هـذا الكتاب إلى الغـزالي ، ولكن ، غالبـاً ، فإنـه له وهـو مؤلفه .

١٠ ـ كتـاب جابـر بن أفلح : إصلاح المجسـطي . لا يعرف تـاريـخ نقله إلى العبرية . ولكن ترجمة يعقوب هذه أصلحهـا وأكملها صمـويل بن يهـوّدا سنة ١٣٣٥ م . كذلـك ترجم نفس العمـل من العربيـة إلى العبريـة سنة ١٢٧١ م مـوسى بن طيبـون . وسبق لجيـرار نقـل نفس العمـل إلى اللاتينية .

١١ ـ كتاب ابن رشد خلاصة المنـطق (منطق أرسـطو) Compendium of the Organon نقله إلى العبـرية سنـة ١٢٨٩ م وعدل التـرجمـة مـرسيلي بن

يهودا في طركـونة سنـة ١٣٢٩ م تحت عنوان Qizzur ha - higgayon . وقد نقل هذه الترجمة العبريـة إلى اللاتينيـة أبراهـام من بالمس Balmes (النصف الثاني من القرن الخامس عشر) وكانت هذه الترجمة هي أصل جميع الإصدارات المطبوعة . يوجد النص اللاتيني مطبوعاً مع مجمـوعة أعمـال أرسـطو Aristolatis Opera (البنـدقيـة ١٥٥٩ م). والـنص العبراني عنوانه Kol meleket ha - higgayon وقد طبع سنة ١٥٥٩م في ترنتو .

١٢ - شـروح ابن رشد على كتـاب الحيـوان لأرسـطو De partibus XI- XIX and de generatione animalium . أنجـز ابن رشـد هـذا العمـل في إشبيلية سنة ١١٦٩ م ، ونقله يعقـوب إلى العبريـة سنة ١٣٠٢ م . وقـد نقـل التـرجمـة العبـريـة إلى الـلاتينيـة يعقـوب مـانتينـو Mantino (ت ١٥٤١ م) وعنـوان ترجمتـه هـو Paraphrasis Averrois de partibus et generatione animalium وقد طبعت في رومة سنة ١٥٥١ م مع شـروح وتعليقات بقلم لاوي بن جرسون . كما وإنها موجـودة ضمن الترجمـات اللاتينية المطبوعة من سنة ١٥٥٠ م فما بعد لمؤلفات ابن رشد .

١٦ - إبراهام بن شيم طوب Shem - Tob مـولـود في مـرسيليـا حـوالي سنـة ١٢٥٠م :

قـام إبـراهـام هـذا بتـرجمـة الكتـاب الثـامن والعشـرين من كتـاب.أبي القـاسم الزهـراوي التصريف لمن عجـز عن التأليف من العبـرية إلى الـلاتينية يساعده سيمون كوردو الجنوى Simon Jannensis Cardo de Genoia وجعلا عنوانه Liber Servatories sefer ha - Shimmush .

كما قام الإثنـان بترجمـة كتاب ابن سيـرا في [أو ابن سيرابيـون] كتاب الأدوية المفردة . وقد نال هذا الكتاب شهرة عظيمة عند الشعوب النصرانية في أوربا كما صار أحد المـراجع المعـدودة . ويعرف ابن سيـرافي لدىٰ الشعـوب اللاتينية باسم Serapion Junior . وقد طبع الكتاب لأول مـرة في ميلانـو سنة

١٤٧٣ م تحت عنوان Liber Serapionis aggregatus in medicinis simplicibus وقد نقلا الكتاب الثاني من العبرية إلى اللاتينية أيضاً .

١٧ ـ إسحاق بن يوسف الفاسي :

ترجم إلى العبرية كتاب الغزالي المسمىٰ كتاب مشكاة الأنوار . وهناك ترجمة أخرىٰ مجهول ناقلها .

١٨ ـ اسحاق البلاج Isaac al - Balag :

نقل إلى العبرية حوالي نهاية القرن الثالث عشر أقساماً من كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي من العربية . وعلى الرغم من أن الترجمة لم تكن كاملة ولم تشمل سوى قسم المنطق والإلهيات وقسم من شرح الطبيعيات ، وعلى الرغم من أنها لم تكن ترجمة دقيقة وإنما هي ترجمة بتصرف ، إلاَّ أنها مارست نفوذاً واسعاً جداً في الغرب وأثرت بعمق شديد في الفلسفة اليهودية . وقد أعطىٰ المترجم القسم المترجم عنواناً هو مراتب الفلاسفة . وقد أكمل ترجمة الكتاب بعده اسحاق بن بُلجَر . ويضاف في كثير من المخطوطات إلى ترجمة البلاج وتتمة ابن بلجر شرح موسىٰ الزبوني على كتاب مقاصد الفلاسفة .

١٩ ـ داود هرمانوس David Hermanus :

مترجم لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه ترجم كتاب علاج أمراض العين لعمار بن علي الموصلي .

٢٠ ـ سليمان بن إبراهيم بن داود.

مترجم يهودي لا نعرف عنه شيئاً سوى أنه نقل كتاب الكليات في الطب لابن رشد من العربية إلى العبرية في وقت ما خلال القرن الثالث عشر .

٢١ ـ شيم طوب بن فلكرة Shem - Tob ibn Falaquera توفي بعد سنة ١٢٩٠م :

يهودي فيلسوف ومترجم من العبرية إلى العربية .

كان فيلسوفاً أكثر منـه مترجمـاً . وكان من انصـار ابن رشد وابن ميمـون وقام بجهد مشكور في سبيل جعل فلسفتهما الأرسطوطالية تتلاءم مـع العقيدة اليهودية . ولقد مارست ترجمته لكتاب ينبوع الحياة لابن جبيرول بعض النفـوذ على الفلاسفة المتأخرين . ألف عدداً من الرسائل الفلسفية مستقاة بشكل كلي من مصادر عربية إسلامية دون أن يشير إلى ذلك . وإن كتابـه المسمىٰ Dé, ot ha - Filusifim هو ، في الحقيقة تـرجمة تكـاد تكون كـاملة لبعض شروح ابن رشد على أرسطو . وقد نقل إلى العبرية الكتب التالية :

١ ـ مستخلصات طويلة من كتاب ينبوع الحياة لابن جبيرول .

٢ ـ شروح ابن رشد على كتب أرسطو في الطبيعة وما وراء الطبيعة . وقد حقق هذه المستخلصات ونشرها سلمون مونك في باريس سنة ١٨٥٩ م .

٢٢ ـ صمويل بن بينفينيست Samuel ben Benveniste :

مترجم يهودي لا نعرف عنه سوى أنه نقل من العربية إلى العبريـة كتاب مـوسىٰ بن ميمون المسمىٰ مقـالة في الـربـو . ويبـدو أنهـا كتبت على أسـاس ترجمة لاتينية أقدم مجهول مترجمها .

٢٣ ـ صمويل بن يعقوب من كابوا Capua:

متـرجم يهودي مقـل لا نعرف عنـه إلّا أنه نقـل إلى العبريـة من العربيـة رسالة ماسويه المارديني في الأدوية المسهلة والمقيئة والأشربة . وابن مـاسويـه هذا هو ابن ماسويـه الكبير ، تمييـزاً له عن ابن مـاسويـه الأوسط وابن ماسـويه الصغير .

٢٤ ـ يعقوب بن أباسي Abbasi:

يهودي أندلسي تـرك مدينـة وشقة Huesca وتجـول في البلاد ثم استقـر نهائياً في بيزيرBéziers . له نقول قليلة جداً من العربية إلى العبرية ويمكن أن نـذكر منهـا كتاب السـراج لابن ميمون ، فقـد نقل قسمـاً منه من العـربيـة إلى العبـرية . كمـا وإنه نقـل إلى العبريـة شروح مـوسىٰ بن ميمـون الثـالثـة على المشناة .

الفَصْل الرَّابعُ

النَّقْل وَالنَّقلة

في القرن الرّابع عشَر ومَا بَعدهُ

الفصل الرابع
النقل والنقلة في القرن الرابع عشر وما بعده

استمر تيار الترجمة في القرن الرابع عشر وما بعده من العربية إلى العبرية واللاتينية، وعلى مقياس أضيق كثيراً ، إلى لهجات أخرى أوربية كالقطلانية وغيرها . وإن المرء ليلاحظ أن القسم الأكبر مما نقل كان إعادة لمواد سبقت ترجمتها في الفترة الماضية ، أو أنها شروح عليها . ولقد كان تيار النقل من العربية إلى العبرية أغزر منه بكثير من تيار النقل من العربية إلى اللاتينية . ذلك إنه ، مع مطالع القرن الرابع عشر تبلور في غربي أوربا . اتجاه حضاري جديد ، هو في أساسه وصلبه مستمد من الحضارتين الإسلامية واليونانية . هذا ، مع العلم أن أوربا تعرفت إلى علوم اليونان وحضارتهم عن طريق الترجمات العربية والعلوم الإسلامية . ولقد كانت مهمة الغرب حتى مطالع القرن الرابع عشر نقل الروائع العربية إلى اللاتينية . ولقد حدث مع حلول أواخر القرن الثالث عشر ومطالع القرن الرابع عشر أن بدأ العالم الإسلامي يفقد زعامته القيادية في مضمار الحضارة ، وذلك عائد إلى عدد من العوامل منها الغزو المغولي للعالم الإسلامي وتفكك الوحدة الإسلامية الحضارية ، وتغلب التقليد على الابتكار ، والمحافظة على القديم والنظر إليه بتقديس . . . ، وقد تم ذلك في الوقت الذي بدأت أوربا النصرانية تستيقظ من سباتها العميق بتأثير الحضارة الإسلامية التي نقلت روائعها إلى اللغة اللاتينية، فقد أصبح واضحاً للعيان تقدم النصرانية وتفوقها الحضاري اعتباراً

من مطالع القرن الرابع عشر . ومع ذلك كان هناك شعور واضح بتفوق المسلمين الحضاري ، على الأقل في بعض أقسام المعرفة الإنسانية كالرياضيات وعلم المثلثات وطب العيون والكيمياء .

ولقد كانت توجد ، عند مطالع القرن الرابع عشر ، الكتب الطبية الكلاسيكية في مكتبات باريس ومونبيليه وسالرنو وبولونيا وغرناطة ودمشق والقاهرة وبغداد . وليس هناك مقياس أدق وأفضل من هذا المقياس لتقدير منجزات هذين القرنين (الثاني عشر والثالث عشر) . فعند بداية القرن الثاني عشر كان العالم اللاتيني لا يزال متخلفاً بما لا يقاس عن العالم الإسلامي ، أما عند مطالع القرن الرابع عشر ، فقد ضاقت الشقة كثيراً بين الحضارتين .

والملاحظ ، كما ذكرنا سابقاً ، غزارة تيار النقل العبري اليهودي بالموازنة مع تيار النقل اللاتيني ، فقد تمت في القرن الرابع عشر وما بعده نقل أكبر عدد ممكن من الكتب العربية إلى العبرية . وقد كانت الغالبية العظمىٰ من النقلة من اليهود الغربيين أما من إسبانيا أو من جنوبي فرنسا . وقد تم النقل في كثير من العلوم كالطب والفلك والفلسفة . وتجمع المصادر على أنه أصبح تحت تصرف قراء العبرية مجموعة رائعة من الكتب العربية منقولة إلى اللغة العبرية . وقد أدركت المجتمعات اليهودية أهمية هذا العمل وتسابق اغنياء اليهود لتمويل مثل هذه المشاريع وإعطاء النقلة ما يكفيهم للقيام بهذه المهمة .

والذي يلفت النظر هو تركيز اليهود على ابن رشد ، فقد نقلوا كتبه إلى العبرية أكثر من مره وشرحوها أكثر من مرة ، ولا سيما كتبه الفلسفية وشروحه على أرسطو . وقد كان يحدث أحياناً أن نقلة كتب ابن رشد كانوا متعاصرين تقريباً ، بل كانوا يعيشون في المنطقة نفسها ، وقد أدىٰ هذا الشيء إلى ازدواجية العمل وتبديد الجهد . وواضح أن قسماً من هذه النقول لم يكتب لها الذيوع السريع ، ويبدو أن بعض التراجمة لم يكونوا على مستوىٰ المسؤولية ـا حدا بالبعض ألا ينظر إلى مهنة النقل باحترام ، فقد كانت تعتبر عملاً آلياً ـالصاً لا يتصف صاحبه بأية صفة أدبية .

ومما يجدر ملاحظته أن كثيراً من الكتب العربية الفلسفية نقلت إلى اللاتينية لا عن العربية مباشرة ، وإنما عن طريق ترجماتها العبرية .

وفي خلال القرن الرابع عشر تبدأ الشروح العبرية على ابن رشد ومؤلفاته ، ومن أهم الشراح لاوي بن غرسون البانيولي الذي شرح الاتصال في نظرية ابن رشد على الرأي القائل باتحاد النفس بالعقل الفعال ، كما شرح كتاب ابن رشد عن « مادة العالم ».

وكان موسى الناربوني معاصراً للاوي ، ووضع بين سنتي ١٣٤٠ و ١٣٥٠م شروحاً على نفس الكتب التي ترجمها لاوي لابن رشد وشرحها ، كما ترجم بعض الكتب في علم الطبيعة .

وكان القرن الرابع عشر عصراً ذهبياً للمدرسة اليهودية الرشدية ، على حين بدأت تتدهور وتنحط في القرن التالي . وكان ابن رشد لا يزال موضوع دراسة ، وكانت الشروح لا تزال توضع على كتبه . ففي حوالي سنة ١٤٥٥ م أتىٰ يوسف بن سام توف من سيغوفيا بشرح على أخلاق أرسطو أراد به أن يكمل عمل ابن رشد الذي شرح كل فلسفة أرسطو باستثناء كتاباته الأخلاقية . ويعتبر ريتان الياس رليديغو الذي كان معلماً في بَدْوا في نهاية القرن الخامس عشر آخر رشدي يهودي عظيم ، فقد كتب شروحاً على جوهر الفلك سنة ١٤٨٥ م، ونشر كذلك بعض التعليقات والشروح على ابن رشد . وشهد القرن السادس عشر الاضمحلال النهائي للرشدية اليهودية . ففي عام ١٥٦٠ م نشر في ريفادي ترينتو مختصر « لمنطق ابن رشد » فظل متناً متداولاً بين اليهود . ولكن منزلة ابن رشد كانت آخذة في الذبول والاضمحلال، فيما عدا المنطق . فقد كان الكاهن موسى الألموزيني (حوالي ١٥٣٨ م) يستخدم كتاب الغزالي الشهير تهافت الفلاسفة ليعارض ابن رشد وفلسفته .

ولن يكون في مقدورنا هنا أن نقسم النقلة حسب اللغة كما فعلنا سابقاً ، وإنما سنعمد إلى إدراجهم جميعاً في لائحة واحدة مرتبة الفبائياً حسب ورود اسم المترجم بصرف النظر عن جنسه أو دينه أو لغته أو ما شابه .

١ ـ ابراهام الطرطوسي ويكنىٰ بابراهام اليهودي البرشلوني :

لا نعلم عنه شيئاًكثيراً سوىٰ أنه نقل ثلاثة كتب من العربية بمساعدة سيمون الجنوى.

١ ـ كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف بعنوان Liber Servitaris .

٢ ـ كتاب ابن سيرافي (ويسمىٰ ابن سيرابيون أيضاً) المسمىٰ كتاب الأدوية المفردة . وقد نشر الكتاب وطبع في ميلانو سنة ١٤٧٣ م .

٣ ـ كتاب حنين بن اسحاق في البول . وقد ترجم هذه الرسالة إبراهام وحده ونشرت في نورنبورغ سنة ١٥٣٧ م .

٢ ـ أبراهام جافيسون توفي بعد سنة ١٥٧٥ م :

نقل إلى العبرية قصيدة تنسب إلى الغزالي (وهناك شك كبير حول نسبتها إليه) مطلعها قل لإخوان وأودعها في كتابه الأمثال من أسفار الكتاب المقدس حوالي سنة ١٥٧٥ م . وقد حقق النص العبري ونقله إلى الفرنسية بيدرسون ونشرها في مجلة العالم الشرقي :

J. Pederson : in: Le monde Orientale XXV, p. 230- 249.

٣ ـ أبراهام من بالمس Balmes توفي سنة ١٥٢٣ م :

مترجم لا نعرف عنه الكثير . نقل ما يلي :

١ ـ رسالة ابن الهيثم المعروفة باسم كتاب هيئة العالم . كانت هذه الرسالة الفلكية قد نقلها سابقاً إلى الإسبانية أبراهام الطليطلي من أجل الملك الفونسو العالم ، ونقلها إلى العبرية من العربية يعقوب بن ماحير بن طيبون سنة ١٢٧١ م أو سنة ١٢٧٢ م . وقد نقل أبراهام هذا الترجمة العبرية هذه للرسالة إلى اللاتينية . وتشرح هذه الترجمات الشعبية الكبرىٰ والاهتمام الكبير الذي تمتعت به هذه الرسالة في العالم النصراني وفي العالم اليهودي ، على حين أنها نسيت كلياً تقريباً في دار الإسلام .

٢ ـ رسالة الوداع لابن باجة (أبو بكـر محمد بن يحيى بن الصـائغ وبـاللاتينيـة Avenpace) نقل هذه الرسالة في النصف الأول من القرن الرابع عشر من العربية إلى العبرية حاييم بن فيف Hayyim ben Vives وقام أبـراهام هـذا بنقلهـا إلى اللاتينيـة بعنوان Epistola Expeditionis هـذا وقد مـارس ابن باجة نفوذاً قوياً على ابن رشد والبرت الكبير .

٣ ـ رسالة ابن رشد المسماة خـلاصة المنـطق Compendium of Organon . نقلت هذه الرسالة ـ إلى العبرية سنة ١٢٨٩ م وعدلها سنة ١٣٢٩ م مرسيل بن يهـودا من طركـونة سنـة ١٣٢٩ م وأعطاهـا هـذا العنـوان Qizzur ha - Higgayon . وقد نقل هذه الترجمة العبرية المعدلـة إلى اللاتينيـة أبراهـام المذكور وكانت ترجمته هذه أصل جميع الاصـدارات المطبـوعة . يـوجد النص اللاتيني مطبوعاً في : Aristotelis Opera, Venezia , 1550 . ونشر النص العبـري في ريفـادي تـرينتـو Rivadi Trento عـام ١٥٥٩م تحت عنوان Kel meleket ha - higgayon .

٤ ـ استفـان Stephanus Arlandi :

طبيب وفلكي وناقل من العربية إلى اللاتينية، أتى من برشلونة إلى مونبيليه والتحق بمدرستها وقد برز في الربع الأول من القرن الرابع عشر . لـه عدد من الترجمات بعضها فقد وهناك شك حـول نسبة بعضهـا إليه ، وهنـاك ترجمـات تنسب لغيره .

١ ـ كتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا De Sphaera Sobda .

٢ ـ Dietarium, or translitio dietarü a Costa ben Luca compositi. غـالباً هذه الرسالة هي تـرجمة لكتـاب قسطا بن لـوقا المسمىٰ رسـالة في تـدبير الأبدان .

٥ ـ اسحاق بن شيم طوب بن شيم طوب :

شـارح يهودي لعـدد من الكتب أهمها شـرحه لكتـاب دلالـة الحـائـرين

لموسىٰ بن ميمون شرح من كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي قسم الإلهيات وأتمه سنة ١٤٥٩م .

٦ ـ اسحاق بن ناثان من قرطبة نبغ حوالي ١٣٤٧ م :

مترجم يهودي اسباني من العربيـة إلى العبريـة . نسب إليه أنـه نقل من العربية إلى العبرية ثلاثة أو أربعة أعمال مهمة .

١ ـ رسالة أسئلة وأجـوبة للغـزالي . فقد وجهت للغـزالي أسئلة معينة فـأجاب عنها إجابات محددة ووضعت في شكل رسالة . وقد فقـد الأصل العـربي غالباً . نشر هذه الرسالة بالعبرية مع ترجمة المانية مع محاولة لإيراد النص العـربي الأصلي هنريش مـالتر وذلـك سنة ١٨٩٦ م في فـرانكفـورت على المانين .

٢ ـ تعليق محمد التبريزي على مقدمة القسم الثاني من كتاب ابن ميمون دلالة الحائرين ذلـك أن محمد التبـريزي ، وهـو مسلم فارسي بـرز في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، كتب في العربية تعليقاً وشروحاً على مقدمة القسم الثاني من كتاب دلالة الحائرين . وقد نقل هذا التعليق إلى العبـرية مـرتين الأولىٰ بقلم اسحاق هـذا في ميورقـة سنة ١٣٤٧ م . والثـانية بقلم مجهـول . وقد حقق تـرجمة اسحـاق ونشرهـا في البندقيـة سنـة ١٥٧٤ م موسىٰ ابن كوهين . وقد فقد النص العربي لهذا التعليق .

٣ ـ مقالة في التوحيد لموسىٰ بن ميمون .

٧ ـ أشعيـا .

مترجم يهودي لا نعرف عنه سوى أنه شرح من كتاب مقـاصد الفـلاسفة للغزالي قسم الطبيعيات .

٨ ـ أغستينو نيفو Augustino Nifo :

مترجم نبغ في القرن الرابع عشر لا نعرف عنه الكثير . نقل مـا يلي إلى اللاتينية :

١ ـ كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي . وقد نقله اغستينو هذا من العربية إلى اللاتينية أوائل القرن الرابع عشر وعمل عليه شرحاً . وقد طبعت هذه الترجمة في بادوا سنة ١٤٩٧ م . وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب تهافت التهافت لابن رشد ، ولكن يلاحظ على ترجمة هذين الكتابين أنهما ترجما ترجمة سيئة للغاية مع تصرف شديد ولا يوثق بهما .

٢ ـ كتاب دلالة الحائرين لابن ميمون . نقل هذا الكتاب كثيراً إلى العبرية واللاتينية . وقد نقله مجهول إلى اللاتينية في القرن الثالث عشر . ولكن تلك الترجمة لم تكن جيدة ولم تكن موثوقة ولكنها كانت مهمة لأن كثيراً من المؤلفين اللاتين استعملوها . وقد أعاد فيها النظر وعدلها اغستينو هذا وطبعت في باريس سنة ١٥٢٠ م وكانت أصل الترجمة القشتالية التي قام بها بدرو الطليطلي .

٩ ـ أندريه الباغو Andrea Alpago توفي سنة ١٥٢٠ م :

مترجم إيطالي نقل عدداً من الكتب الهامة من العربية إلى اللاتينية أهمها :

١ ـ كتاب القانون في الطب لابن سينا . وقد كان سبق لجيرار الكريموني أن ترجم نفس الكتاب ولكن الباغو أصلحه وأصدره إصداراً جديداً .

٢ ـ الأرجوزة في الطب لابن سينا مع شروح ابن رشد عليها . كان قد نقلها إلى اللاتينية أرمانغو ولكن فيها أخطاء كثيرة فأصلحها الباغو وأصدرها إصداراً جديداً .

٣ ـ كتاب في النفس لابن سينا De anima

٤ ـ كتاب في تقدمة المعرفة لابن سينا Aphorismi .

٥ ـ كتاب في الأدوية القلبية لابن سينا . كان قد نقله إلى اللاتينية أرنولد فيلانوفا سنة ١٣١٢ م ولكن في الترجمة كثير من الأخطاء ، فأتى الباغو وأصلح الترجمة وأصدر الكتاب إصداراً جديداً .

٦ ـ كتاب السنكجبين (بالفارسية) لابن سينا .

٧ ـ كتاب ابن سيرافي (ويسمىٰ أيضاً يوحنا بن سيرابيون) المسمىٰ الكناش .

٨ ـ كتاب موجز القانون . وهو الكتاب الذي ألفه ابن النفيس وهو شرح مطول علىٰ القسم الطبي من كتاب القانون لابن سينا . وقد نقله إلى اللاتينية الباغو المذكور وصدر سنة ١٥٤٧ م في البندقية ضمن مجموعة كتب ابن سينا الطبية .

١٠ ـ إيليا كرتيانسيس Elia Cretensis:

لم يعرف لهذا المترجم سوى أنه نقل من العبرية إلى اللاتينية الشرح الصغير لابن رشد على كتاب أرسطو المسمىٰ الآثار العلوية Meteorology وهو الملخص الذي نقله إلى العبرية موسىٰ بن طيبون . وقد نشر هذا النص اللاتيني في البندقية سنة ١٤٨٨ م وفي سنة ١٤٨٩ م .

١١ ـ بطرس من ريجيو Petrus de Regio :

نقل إلى اللاتينية كتاب البارع في أحكام النجوم للمؤلف المغربي أبي الحسن علي بن أبي الرجال وقد كان نقله من العربية إلى القشتالية يهودا بن موسى ، فنقله بطرس هذا وزميله أيجيديوس Aegidius de Tebadis إلى اللاتينية . وصدرت له طبعة في البندقية سنة ١٤٨٤ م .

١٢ ـ تودروس تودروس Todros Todros :

يهودي من مقاطعة البروفانس في فرنسا ولد في مدينة أرليه Arles في بداية القرن الرابع عشر ، ولا يعرف متى مات بالضبط . عاش على ضفاف نهر الرون . اشتهر كمترجم من العربية إلى العبرية. ترجم ما يلي :

١ ـ كتاب عيون المسائل للفارابي . وقد نقله دتيريشي إلى الألمانية ونشره مع النص العربي وصدر في ليدن سنة ١٨٩٠ م . كما نقله إلى اللاتينية ونشره في بون سنة ١٨٦٣ م شمولدرز .

٢ ـ كتاب النجاة لابن سينا . وقد لخص فيه ابن سينا فلسفة أرسطو . والترجمة غير كاملة إذ أن المترجم نقل قسمي الطبيعة وما وراء الطبيعة

ولم ينقل المنطق . وقد طبع هذا الكتاب بهذه الترجمة في نهاية طبعة كتاب القانون لابن سينا وصدرت الطبعة في روما سنة ١٥٩٢ م.

٣ ـ كتاب ابن رشد مختصر خطابة أرسطو وقد أكمله سنة ١٣٣٧ م وقد استعمل في الترجمة قاموس الخليل بن أحمد الفراهيدي المسمىٰ كتاب العين . وقد نقل هذه الترجمة العبرية إلى اللاتينية أبراهام من بالمس . وقد نشر هذا الكتاب غولد تثال في لاينبريغ سنة ١٨٤٢ م.

٤ ـ كتاب ابن رشد مختصر كتاب الشعر لأرسطو وقد أكمله سنة ١٣٣٧ م. وقد حقق الكتاب ونشره بالأصل العربي والترجمة العبرية لازينيو Lasinio سنة ١٨٧٢ م في باريس.

٥ ـ ترجم ثلاثة كتب لابن رشد : إثنان يبحثان في نظرية ابن سينا في طبائع الكائنات الثلاثة ، والثالث يبحث في عالم الغيب أو عالم البصائر .

٦ ـ نتف من رسالة لابن رشد تبحث في المادة الأولىٰ (الهيولىٰ). يوجد فيها بحث لآراء أمبيد وكليس وفيثاغوراس وأفلاطون في الروح .

١٣ ـ حاييم بن فيف Hayyim ibn Vives (النصف الأول من القرن ١٤):

لا نعلم عنه شيئاً سوى أنه نقل إلى العبرية من العربية رسالة الوداع لابن باجة .

١٤ ـ داود بن يعيش David ibn Ya'Ieh (النصف الثاني من القرن الرابع عشر) :

يهودي من إشبيلية مترجم من العربية إلى العبرية نبغ في النصف الثاني من القرن الرابع عشر .

ترجم عن العربية إلى العبرية رسالة يونانية منقولة من اليونانية إلى العربية حول الاقتصاد المنزلي وقد فقد الأصل اليوناني وبقيت الترجمات العربية والعبرية واللاتينية . وإن مؤلف هذه الرسالة شخص اسمه Bryson من

أتباع أيضاً غورسية الجديدة ، وعنوان الرسالة العربي هو : رسالة بروشن في تدبير الرجل لمنزله . وقد نشر مارتن بليسنر Martin Plessner النصوص العربية والعبرية واللاتينية للرسالة وصدرت سنة ١٩٢٥ م .

وكان أرمانغو بن بليس قد نقل هذه الرسالة من العربية إلى اللاتينية وأعطاها العنوان التالي Yconomica وقد نسبت لجالينوس .

١٥ ـ ريموندي جان باتيستا Raimondi Gianbatista :

مترجم من العربية إلى اللاتينية وجد في روما أوائل القرن السادس عشر عرف عنه أنه نقل العمل التالي إلى اللاتينية .

كتاب المخروطيات لابولونيوس . ذلك أن أبا الفتح محمود بن محمد بن قاسم بن فضل الأصفهاني نقّح ترجمات المخروطيات هذا ، وقد بدأ ريموندي بترجمة الأجزاء الخامس والسادس والسابع من نص أبي الفتح هذا في أوائل القرن السادس عشر في رومة ، ثم أكملها Giovanio Alfonso Borelli, و Ebramo Ecchelbense . ونشر العمل سير توماس هيث سنة ١٩١٠ م .

١٦ ـ شمشون بن سليمان Samson ben Solamon (النصف الأول من القرن الرابع عشر) :

ناقل من العربية إلى العبرية ، تخصص في نقل كتب الطب . ازدهر حوالي سنة ١٣٢٢ م . وقد أكمل سنة ١٣٢٢ م ترجمة قانون جالينوس الطبي من العربية إلى العبرية (وهي كتب جالينوس الستة عشر) . وقد عزيت الترجمة خطأ إلى كالونيموس ابن كالونيموس Qalonymos ben Qalonymos .

١٧ ـ شامبيير سينغوريان Symphorien Champier :

(نبغ في النصف الأول من القرن السادس عشر)

مترجم لا نعرف عنه سوى أنه نقل كتاب الكليات في الطب لابن رشد ، وقد تمت الترجمة سنة ١٥٣٧ م .

۱۸ ـ سليمان بونيراك Solomon Bonirac (النصف الأول من القرن الرابع عشر) :

يهودي من قطلونيا مترجم من العربية إلى العبرية ترجم من العربية إلى العبرية كتاب جالينوس ، والكتاب نقل حنين بن اسحاق من اليونانية إلى العربية ، وأعطاه حنين عنواناً هو : كتاب البُحْران ، وقد استعمل المترجم في ترجمته كثيراً من المصطلحات والتعابير العربية .

۱۹ ـ سليمان بن باتر Solomon ben Pater. (النصف الأول من القرن الرابع عشر) :

يهودي قشتالي نبغ في بورغو Burgos حوالي سنة ١٣٢٢ م . وقد نقل من العربية إلى العبرية كتاب ابن الهيثم المسمىٰ باسم كتاب هيئة العالم . ولقد كان أبراهام الطليطلي نقل هذه الرسالة الفلكية الهامة الصغيرة من العربية. إلى الإسبانية من أجل الملك الفونسو العالم العاشر (النصف الثاني من القرن الثالث عشر). كذلك نقلها من العربية إلى العبرية أما سنة ١٢٧١ م أو سنة ١٢٧٣ م يعقوب بن ماحير بن طيبون . وفيما بعد نقل ترجمة يعقوب بن ماحير هذه إلى اللاتينية أبراهام من بالمس Balmes (توفي سنة ١٥٢٣ م). وتشرح هذه الترجمات الأهمية الكبرىٰ والشعبية العظيمة التي تمتعت به هذه الرسالة في العالم النصراني والعالم اليهودي ، على حين أنها نسيت كلياً في دار الإسلام وأصبح القوم يجهلون كل شيء عنها .

۲۰ ـ سرخياها ـ لاوي بن اسحاق الجيروندي توفي حوالي سنة ١٤٨٦ م :

لا يعرف عنه سوىٰ أنه نقل من العربية إلى العبرية كتاب الغزالي الشهير المسمىٰ كتاب تهافت الفلاسفة . وهذه هي ترجمة عبرية مستقلة لكتاب التهافت للغزالي ، إذ جرت عادة النقلة اليهود بشكل خاص ، أن ينقلوا كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي وينقلوا معه كتاب تهافت التهافت لابن رشد .

۲۱ ـ صمويل بن سليمان هاميئاتي Samuel ben Solomon ha - Me'ati :

مترجم إيطالي يهودي نبغ في حدود سنة ١٣٠٦ م. كان ينقل من العربية

إلى العبرية نقل الكتابين التاليين :

١ ـ كتاب تدبير الأمراض الحادة . وهو كتاب طبي هو عبارة عن شروح وتعليقات عملها جالينوس على كتاب أبقراط في الأمراض الحادة . وكان حنين بن اسحاق قد نقله من اليونانية إلى العربية وأعطاه العنوان التالي : كتاب تدبير الأمراض الحادة . وقد كان والد المترجم بدأ في نقله من العربية إلى العبرية ، ولكنه توفي قبل أن يكمل الترجمة فأتمها ابنه صمويل هذا من بعده .

٢ ـ كتاب ابن زهر المسمىٰ مصباح الشفاء Lamp of healing . وقد كان سبق ليعقوب بن ماحير بن طيبون أن نقل نفس الكتاب إلى العبرية ، ولكن ترجمته هذه فقدت ولم يبق سوى ترجمة صمويل هذه .

٢٢ ـ صمويل بن موطوط Samuel ibn Motôt (النصف الثاني من القرن الرابع عشر) :

يهودي قشتالي ازدهر بين سنتي ١٣٧٠ و١٣٩٢ م عرف كناقل من العربية إلى العبرية . ترجم ما يلي .

١ ـ كتاب الحدائق لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفي سنة ١١٢٧ م . وهو كتاب في الفلك (واسم كتابه بالانكليزية The Orchard). وقد فقد الكتاب من اللغة العربية ، ويعرف الكتاب بترجمتين عبريتين الأولىٰ ، وهو كاملة وأجود من الثانية ، الترجمة التي قام بها موسىٰ بن طيبون ، والثانية وهي الترجمة التي عملها صمويل بن موطوط هذا . وهي ترجمة ناقصة (الفصول من الأول إلى الرابع) وقد نشر الترجمتين معاً وحققهما داود كافمان وصدر الكتاب سنة ١٨٨٠ م في بودابست .

٢ ـ كتاب العقيدة الرفيعة لإبراهيم بن داود هاليفي . وقد نقل صمويل هذا الكتاب من العربية إلى العبرية سنة ١٣٩٢ م . ولكن هذه الترجمة حجبتها ترجمة أخرىٰ أجود منها قام بها بعد فترة وجيزة سليمان بن لابي . وقد

نشر ترجمة سليمان هذا لكتاب العقيدة الرفيعة لإبراهيم بن داود هاليفي ، مع ترجمة المانية سمسون فيل Samson Weil في فرانكفورت على الماين سنة ١٨٥٢ م .

٢٣ ـ فالا . ج G. Valla :

مترجم لاتيني نبغ في القرن الخامس عشر ترجم كتاب الرازي الشهير الجدري والحصبة كتاب الجدري والحصبة . نقله إلى اللاتينية ، وهو أول نقل لهذا الكتاب إلى اللاتينية ونشر الكتاب سنة ١٤٩٨ م في البندقية . كما نقل نفس الكتاب إلى اليونانية جاك غوبيل Jacques Goupyl وصدر في باريس سنة ١٥٤٨ م.

٢٤ ـ فرنانديز ، فدريكو دو كاسترو Fernandez, Federico de Castroy :

مترجم إسباني نقل إلى اللغة القشتالية كتاب ابن جبيرول المسمىٰ ينبوع الحياة . وابن جبيرول يهودي أندلسيّ اسمه أبو أيوب سليمان بن يحيىٰ بن جبيرول، ويسمىٰ عند اللاتين باسم Avicobron وقد توفي سنة ١٠٥٨ م . وقد اشتهر بهذا الكتاب الذي ألفه بالعربية وقد سبق ليوحنا الإشبيلي ودومنجو جند يسالفو أن نقلاه إلى اللاتينية ونشره بوميكر Cl. Baümeker في منستر ١٨٩٢ ـ ١٨٩٥ م، وقد صدرت الطبعة القشتالية هذه في مدريد بين سنتي ١٩٠١ و١٩٠٣ م.

٢٥ ـ صمويل بن يهودا من مرسيليا Samuel ben Judah of Marseille :

مترجم يهودي بروفنسالي ولد في مرسيليا سنة ١٢٩٤م تنقل في البلاد ولا يعرف بالدقة مكان وفاته ولا تاريخ الوفاة .

أحد النقلة من العربية إلى العبرية . كان أميناً كل الأمانة في الترجمة ودقيقاً بشكل رائع . وكان يعدل باستمرار ترجماته. من أشهر ما نقله إلى العبرية ما يلي :

١ ـ جمهورية أفلاطون بشرح ابن رشد عليها . وقد انتهى من الترجمة سنة

١٣٢٠ م ثم أعاد فيها النظر مرتين .

٢ ـ كتاب أرسطو المسمىٰ الأداة أورغانون Organon وقد نقل شروح ابن رشد عليها المسمىٰ الجامع وتم ذلك سنة ١٣٢٩ م . هذا وكان قام بنفس العمل سابقاً يعقوب ابن ماحير إذ أنه نقل نفس الكتاب إلى العبرية سنة ١٢٨٩ م .

٣ ـ كتاب أرسطو الأداة الأوغانون . وهو عبارة عن ترجمة لأسئلة ونقاط متعلقة بمسائل عويصة وغامضة مع شروح ابن رشد عليها وتعليقاته . وقد تمت الترجمة سنة ١٣٢٠ م، ونقل النص العبري إلى اللاتينية أبراهام من بالمس وطبعت سنة ١٥٥٠ م .

٤ ـ كتاب التلخيص لابن رشد وهو شروح ابن رشد على كتاب الأخلاق لأرسطو تمت سنة ١٣٢١ م في بوكيرBeaucaire .

٥ ـ كتاب المجسطي لبطليموس بشرح ابن رشد للأقسام الأول والثاني والثالث من الكتاب .

٦ ـ الكتاب الأول من رسالة عن الروح تأليف الاسكندر الأفرويدسي Alexander of Aphrodisias . وقد نقل الرسالة عن اليونانية إلى العربية اسحق بن حنين . وقد نقلها صمويل إلى العبرية في مرسية سنة ١٣٢٤ م ، ثم أعاد تعديلها حتى أصدرها أخيراً سنة ١٣٤٠ م .

٧ ـ رسالة في الكسوف الكلي الذي حدث يوم الإثنين في آخر يوم من أيام سنة ٤٧١ هـ في إشبيلية وهي من تأليف أبي عبدالله محمد بن معاذ الإشبيلي .

٨ ـ رسالة في الفجر.

لم يذكر المترجم ، ولكنْ الغالب أن المترجم هو صمويل ، وقد وجدت الرسالتان في نفس المخطوط .

٩ ـ رسالة في حركة النجوم الثوابت للزرقالي (النص العربي مفقود) ولا يوجد

سوى مخطوط عبري واحد لهذه الرسالة .

١٠ ـ كتاب إصلاح المجسطي لجابر بن أفلح . استعان الناقل بجامع ابن رشد وكتاب ابن الأفلح وأتم ترجمة إصلاح المجسطي وعدل فيها سنة ١٣٣٥ م . ومن الجدير بالذكر أن نفس العمل نقله إلى العبرية سابقاً موسىٰ بن طيبون سنة ١٢٧٤ م.

١١ ـ شروح ابن رشد علىٰ كتاب الأخلاق لينكوماخوس وقد أتمه في حدود سنة ١٣٢١ م

٢٦ ـ كالونيموس بن داود الكبير Qalonymos ben David the elder :

ظهر في فرنسا وترجم كتاب ابن رشد المشهور تهافت التهافت إلى العبرية تحت العنوان الآتي Happalat ha - Happala . وقد نقلت هذه الترجمة إلى اللاتينية وطبعت ونشرت سنة ١٥٢٧م في البندقية . وقد تمت الترجمة قبل سنة ١٣٢٨ م.

كذلك نقل النص العبري لكتاب الهيئة للبطروجي المتوفي في النصف الأول من القرن الثاني عشر وكان كتابه نقل من العربية إلى العبرية سنة ١٢٥٩ م فنقله كالونيموس إلى اللاتينية .

٢٧ ـ كالونيموس بن كالونيموس Qalonymos ben Qalonymos :

أحد كبار النقلة من العربية إلى العبرية ، وهو طبيب يهودي من مقاطعة البروفانس ولد سنة ١٢٨٧ م في أرليه . تنقل في البلاد ، وآخر أخباره أنه رجع إلى أرليه سنة ١٣٢٨ م ثم انقطعت أخباره ولم يعلم عنه بعدها شيء . ترجم عدداً مهماً من الأعمال العربية إلى العبرية أهمها :

١ ـ رسالة أرخميدس في الكرات والاسطوانات نقلاً عن ترجمة قسطا بن لوقا . لأن لهذا الكتاب ترجمتين إلى العربية . الأول نقلها قسطا بن لوقا ، والثانية قام بها حنين بن اسحاق وثابت بن قرة .

٢ ـ كتاب أرخميدس الذي نقله ثابت بن قرة ونقله إلى اللاتينية جيرار الكريموني تحت اسم De mensura Cireuli . ولكن نسبة الترجمة إلى كالونيموس غير مؤكدة ولا ثابتة .

٣ ـ كتاب الهندسة لأبولونيوس ، وهي غالباً مستخلصات من هندسته .

٤ ـ الكتاب الرابع عشر من كتب أقليدس [العناصر].

٥ ـ كتاب ينسب إلى بطليموس مترجم إلى العربية مع شروح وتعليقات بقلم أحمد بن يونس المصري . وقد نقله عن النص العربي .

٦ ـ كتاب لجالينوس باسم De Clysteribus et Colica ، نقلاً عن ترجمة حنين ابن اسحاق له . وقد تمت الترجمة العبرية سنة ١٣٠٨م. وقد نقل الكتاب إلى اللاتينية عن الترجمة العبرية فرانسيسكوس رافائيلنجيوس Franciscus Raphelengius وصدرت الطبعة الأولى منه في ليدن سنة ١٨٩١ م .

٧ ـ رسالة جابر بن حيان في السموم ، نقل نتفاً منها ، وقد تمت الترجمة غالباً في أفينيون سنة ١٣١٩ م.

٨ ـ رسالة مختصرة للكندي عن طوالع النجوم Nativities .

٩ ـ رسالة أسباب تشكل المطر للكندي .

١٠ ـ الرسالة الكافية في الرطوبة والمطر للكندي . هذا وأن الترجمة العبرية أجود وأفضل من الترجمة اللاتينية لنفس الرسالة والتي تمت تحت العنوان التالي :

Liber Alkindi de pliuvüs imbvibus et Ventis ac aeris mutation. Venice, 1507, Paris, 1540.

١١ ـ كتاب في شكل القطاع تأليف ثابت بن قرة . وهو الكتاب الذي نقله جيرار الكريموني .

١٢ ـ كتاب المدخل إلى الطب تأليف حنين بن اسحاق ، وقد سبق أن نقله إلى اللاتينية مارك الطليطلي .

١٣ ـ كتاب إحصاء العلوم للفارابي . وقد حققه ونشر المتن العربي مع ترجمة لاتينية وأخرىٰ إسبانية غونزاليز بالانسيا González Palencia (مدريد ١٩٣٣ م) وقد ترجم هذا الكتاب مرتين إلى اللاتينية مرة بقلم دومينكو غونديسالفو Domingo Gundisalvo ، وأخرىٰ بقلم جيرار الكريموني .
كما وإن هذه الترجمة العبرية لهذا الكتاب هي الثانية ، إذ سبق له أن نقل قبل هذا الى العبرية .

١٤ ـ كتاب فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة للفارابي .

١٥ ـ كتاب في العقل والمعقول للفارابي . هناك ترجمة أخرىٰ لنفس العمل عدلها ونقحها Jediah ben Abraham Bedersi .

١٦ ـ رسائل أخوان الصفا وخلال الوفا . ترجم المترجم الرسالة الحادية والعشرين من هذه الرسائل حيث يوازن بين الإنسان وعدد كبير من أنواع الحيوانات . وقد طبعت هذه الرسالة في مانتوا سنة ١٥٥٧ م ثم في فرانكفورت سنة ١٧٠٤ م . وقد نقل هذه الرسالة إلى الألمانية يوليوس لاند سبيرجير Julius Landsberger ونشرها في دامشتاد سنة ١٨٨٢ م .

١٧ ـ كتاب العمود [العمدة؟] في أصول الطب لعلي بن رضوان . وقد ترجمه نفس المترجم مرتين إلى العبرية ، ضاعت الأولىٰ وبقيت الثانية .

١٨ ـ رسالة في الأسطوانات والمخاريط لابن السمح . وقد فقد الأصل العربي .

١٩ ـ شروح جابر بن أفلح على كتاب مينلاوس Menelaos المسمىٰ Menelos المسمىٰ Figura Sectories (غير معروف باللغة العربية ولعله إصلاح المجسطي).

الأرقام من ٢٠ إلى ٢٩ هي شروح ابن رشد على أعمال أرسطو .

٢٠ ـ Priora Analitica [التحليل الأولي] فقط مستخلص من هذه الرسالة .

٢١ ـ Posteriora Analitica [التحليل النهائي] ترجمة لشروح ابن رشد على هذه الرسالة.

٢٢ ـ Sophistici Elenchi [الجدل والفلسفة]. وهو ترجمـة لكتاب التلخيص الذي ألفه ابن رشد شرحاً لهذه الرسالة . وقد تم نقلهـا إلى العبريـة سنة ١٣١٣ م . هذا وإن الترجمة اللاتينية المطبوعة التي قـام بها أبـراهام من بالمس لهذه الرسالة قد استندت إلى ترجمة كالونيموس هذه .

٢٣ ـ كتـاب Topica لأرسـطو [البـرهـان] . ألف ابن رشـد كتـاباً على هـذا المـوضوع هـو التلخيص . وقد تم نقـل هـذا العمـل إلى العبـريـة سنـة ١٣١٣ م . وإن النص اللاتيني المطبوع الذي نقله إلى اللاتينية كـل من أبراهام من بالمس ويعقوب مانتينو قد اشتق من هذه الترجمة العبرية .

٢٤و ٢٥ ـ كتب أرسطو في الطبيعة وشروح ابن رشد عليها التلخيص Physica وقـد تمت التـرجمـة سنـة ١٣١٦ م في أرليـه . وقـد سبق لـزراحيـا بن غـراسيـان أن نقـل نفس الكتـاب إلى العبـريـة في رومـا سنـة ١٢٨٤ م، ولكن ترجمة كالونيموس أكثر شعبية . وإن الطبعة اللاتينيـة التي ترجمهـا يعقوب مانتينـو قد اشتقت من هـذه الترجمـة . ويبدو أن كـالونيمـوس قد ترجم شرح ابن رشد على الرغم من اختلاط الأمر بينه وبين استاذه موسىٰ بن سليمان من بوكير Beaucaire .

٢٦ ـ De Generatione et Corruptione : في الكـون والفسـاد وقـد تـرجم شرح ابن رشد على هذا الكتاب الذي هو التلخيص وذلك في أرليه سنة ١٣١٦ م.

٢٧ ـ Meteorologica : الآثار العلوية وهـو ترجمـة لشرح ابن رشـد على هذا الكتاب الذي هو التلخيص وتم ذلك سنة ١٣١٦ م في أرليه .

٢٨ ـ Metaphysica : مـا وراء الطبيعـة وهو تـرجمة لشـرح ابن رشد المسمىٰ التلخيص على هذا العمل ، ويبدو أنها ترجمة مستقلة عن مـادة الطبيعـة [رقم ٢٤ و٢٥] والتي قـام بهـا زراحيـا غـراسيـان في رومـا سنـة ١٢٨٤ م . وإن الترجمة الـلاتينية التي قـام بها لنفس العمـل Elijah del Medigo وتعليقات أبراهام بيباغو Bibago عليها قد استندنـا إلى ترجمـة

كالونيموس هذه .

٢٩ ـ De Plantis . لقد نقل هذا الكتاب الذي ينسب لأرسطو وليس له ، إلىٰ العربية عن اليونانية حنين بن اسحاق وأصلح الترجمة ثابت بن قرة . وقد نقل كالونيموس النص العربي مع شروح ابن رشد عليه إلى العبرية .

٣٠ ـ رسالة في المثلثات تأليف أبو سعدان . وقد انتهى من ترجمتها سنة ١٣١١ م . هذا وإن النص العربي مجهول .

٣١ ـ رسالة في الهندسة، مجهول مؤلفها وعنوانها وموضوعها . نقلها من العربية إلى العبرية .

٣٢ ـ كتاب تهافت التهافت لابن رشد . نقله من العبرية إلى اللاتينية . وقد أنجز الترجمة سنة ١٣٢٨ م من أجل روبيرت حاكم أنجو Anjoa . وقد عدل هذه الترجمة وعلق عليها Agostino Nifo اغستينو نيفو (١٤٧٣- ١٥٣٨) ونشرها سنة ١٤٩٧ م في البندقية .

٢٨ ـ لاوي بن غيرسون Lavi ben Gerson :

لا يعرف له شيء سوىٰ أنه عمل شرحاً على كتاب الكون والفساد لأرسطو De Generatione et Corruptione، أو بالأحرى على شرح ابن رشد علىٰ الكتاب المسمىٰ الشرح الجامع (المختصر) . وكان موسىٰ بن طيبون قد نقل شرح ابن رشد الجامع على كتاب أرسطو إلى العبرية سنة ١٢٥٠ م ، فأتىٰ لاوي بن غيرسون وعمل شرحاً على ترجمة موسىٰ هذه وذلك سنة ١٣٢١ م.

٢٩ ـ موسىٰ فينزي Moses Finzi :

كتاب ما وراء الطبيعة لمؤلفه ثيميستيوس Themistios (النصف الثاني من القرن الرابع) كان موسىٰ بن طيبون قد نقل إلى العبرية شروح الكتاب الأول من كتاب ما وراء الطبيعة لمؤلفه ثيميستيوس ، تلك الشروح التي نقلها

من اليونانية إلى العربية اسحاق بن حنين وأصلحها ثابت بن قرة ، وقد انتهى موسىٰ من نقل هذه الشروح سنة ١٢٥٥ م . ثم أتىٰ موسىٰ فينزي هذا ونقل هذه الشروح إلى اللاتينية عن ترجمة موسى بن طيبون العبرية وطبعت هذه الترجمة اللاتينية في البندقية سنة ١٥٧٦ م .

٣٠ ـ موسىٰ الزبوني :

عمل شرحاً باللغة العبرية على كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي . وهو أجود الشروح التي عملت على هذا الكتاب وأهمها . وموسىٰ هذا هو الذي شرح كتاب دلالة الحائرين لموسىٰ بن ميمون . ولم يكن موسىٰ النربوني يعرف العربية إلاَّ لماماً ، ولذا كان يعتمد على الترجمات العبرية . ولعله توفي سنة ١٣٦٢ م .

٣١ ـ موسى بن سليمان من بوكير Beaucaire :

وبوكير بلد تقع على ضفاف نهر الرون في فرنسا . إزدهر موسىٰ هذا في الربع الأول من القرن الرابع عشر . ترجم ما يلي .

١ ـ كتاب ابن رشد الذي هو تفسير ما وراء الطبيعة لأرسطو .

٢ ـ كتب بالعبرية ملخصاً لشرح ابن رشد على كتاب الطبيعة لأرسطو .

٣٢ ـ موسىٰ بن يوشع (أواخر القرن الرابع عشر) :

عرف موسىٰ هذا بعمله تحليلاً لكتاب تدبير المتوحد لابن باجة . ذلك أن ابن باجة المعروف لدىٰ اللاتين باسم Avenpace ، واسمه الكامل أبو بكر محمد بن يحيىٰ بن باجة الصائغ (توفي سنة ١١٣٩ م) ألف عدداً من الكتب أشهرها تدبير المتوحد . وقد فقد نص هذا الكتاب ولا يوجد إلاَّ التحليل الذي عمله موسىٰ هذا لهذا الكتاب باللغة العبرية أواخر القرن الرابع عشر . وقد نشر هذا التحليل هيرزوغ Herzog D. في كتابه عن بحوث أبي بكر الصائغ في تدبير المتوحد . وقد نشر الكتاب في برلين ١٨٩٦ م .

٣٣ ـ هرمانوس Hermanus Szcundus :

نقل كتاب أبي معشر البلخي واسمه اللاتيني Albumasar المسمىٰ . المـدخـل إلى علم أحكـام النجـوم . وقـد طبعت هـذه التـرجمـة في أوغسبـورغ سنة ١٤٨٩ م . وسبق ليـوحنا الاسبـاني أن نقل نفس الكتـاب إلى اللاتينية .

٣٤ ـ هيـر ، ميش Herr, Mich :

مترجم من عصر النهضة نقل إلى الألمانية كتابين هما :

١ ـ كتاب تقويم الصحة تأليف ابن بطلان واسمه الكـامل أبـو الحسن المختار بن حسن البغدادي توفي سنة ١٠٦٣م . واسمه عنـد اللاتين Elbuchasen Elimitar وقد نقله هير المذكور أعلاه إلى الألمانية ونشره في ستـراسبورغ سنة ١٥٣٣ م .

٢ ـ كتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان تأليف ابن جزلـة ، واسمه أبـو علي يحيى بن عيسىٰ تـوفي سنة ١١٠٠ م . واسمـه عنـد الـلاتين Bengesla . وقد نقله هير المذكور أعلاه إلى الألمانية في نفس الوقت الذي نقل كتاب ابن بطلان . ويحتوي هذا الكتاب على ٤٤ لوحة يصف فيها ٣٥٢ مرضـاً ويذكر علاجها .

٣٥ ـ يشوع الشاطبي Joshus Shatibi (أواخر القرن الرابع عشر) :

يهودي أندلسي نقل إلى العبرية من العربية مباشرة كتاب مقالة في الـربو من تأليف موسىٰ بن ميمون .

٣٦ ـ يعقوب مانتينو Jacob Mantino (النصف الأول من القـرن السـادس عشر) :

مترجم من العبرية إلى اللاتينية نقل عدداً من الكتب العربيـة التي كانت نقلت إلى العبرية سـابقاً فقـام هو بنقلهـا من العبريـة إلى اللاتينيـة . أهم هذه الكتب التالية :

١ ـ كتب ابن رشد وشروحه على كتاب الحيوان لأرسطو - De Partibus XI XIX and de generatione animalium . وقد فرغ ابن رشد من تأليف هذا الكتاب في إشبيلية سنة ١١٦٩ م . وقد نقل الكتاب إلى العبرية يعقوب بن ماحير بن طيبون سنة ١٣٠٢ م. ونقلها يعقوب مانتينو إلى اللاتينية . وقد طبعت الترجمة في روما سنة ١٥٢١ م مع شروح وتعليقات بقلم لاوي بن غيرسون .

٢ ـ كتاب ابن رشد الجامع في شرح كتاب أرسطو المسمىٰ ما وراء الطبيعة Metaphysica . وقد كان نقل هذا الكتاب إلى العبرية موسىٰ بن طيبون ، فأتىٰ يعقوب مانتينو ونقل الترجمة العبرية إلى اللاتينية ونشرها في رومة سنة ١٥٢١ م وفي بولونيا سنة ١٥٢٣ م.

٣ ـ كتاب ابن رشد في شرح كتب أرسطو المسماة تقسيمات أرسطو Categries وشروحه Interpretation والتحليل الأول والنهائي . وقد كان يعقوب أناطولي نقل هذه الكتب إلى العبرية من العربية فأتىٰ يعقوب مانتينو ونقل الترجمة العبرية إلىٰ اللاتينية ونشرت هذه الطبعة اللاتينية سنة ١٥٥٠ م وايضاً سنة ١٥٥٣ م.

٣٧ ـ يهودا بن موسىٰ بن دانيال (النصف الأول من القرن الرابع عشر) :

يهودي مترجم من اللاتينية إلى العبرية . أنجز في رومة حوالي ١٣٢٥ م ترجمة عبرية لكتاب عربي اسمه جوهر الفلك De Substantia arbis ، وقد نقل الكتاب عن ترجمة لاتينية مأخوذة عن نص عربي .

٣٨ ـ يهودا بونسنيور Judah Bonsenyor :

يهودي إسباني سليل أسرة معروفة بخدمتها لملوك أراغون . وقد استخدمه ملك أراغون خايمه الثاني Jaeme II (١٢٩١ ـ ١٣٢٧ م) كشارح ومترجم عنده. وقد نقل له من العربية إلى القطلونية مجموعة من الأمثال العربية بعنوان .Liber de Paraule et dits Savis efilasofs وقد نشر نفس هذا الكتاب تحت نفس العنوان شخص اسمه غابرييل Gabriel[٢]

٣٩ - يهودا بن سليمان ناثان Judah ben Solomon Nathan :

يهودي بروفنسالي ومترجم من العربية إلى العبرية ، ظل حياً حتى بعد سنة ١٣٧٧ م . نقل إلى العبرية الأعمال التالية .

١ - كتاب أمية بن أبي الصلت المسمىٰ كتاب الأدوية المفردة . وأمية هذا طبيب وفلكي ورياضي أندلسي توفي سنة ١١٣٤ م وله مؤلفات كثيرة في عدة فروع من العلم . وقد نقل كتابه هذا إلى اللاتينية أرنولد فيللانوفا (النصف الثاني من القرن الثالث عشر) وأعطاه العنوان التالي : Simplieia . وربما كان يهودا هذا أول من نقل هذا الكتاب إلى العبرية . وقد ساعده في ترجمته عمه ناثان .

٢ - كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي . نقل هذا الكتاب سابقاً إلى اللاتينية يوحنا الإشبيلي . ونقله إلى العبرية اسحاق البلاج . وقد تم نقل هذا الكتاب إلى العبرية قبل سنة ١٣٤٠ م بناء على طلب عمه ناثان . وقد استعان المترجم بكتاب الشفاء وكتاب النجاة لابن سينا وكتاب المباحث الشرقية لفخر الدين الرازي ، وتهافت التهافت لابن رشد . وقد قدم للترجمة مقدمة طويلة ، وكان قصده منها حماية القارىء من الفلسفة ، وقد أحل محل الآيات القرآنية في النص اقتباسات من التوراة ، وقد انتشرت هذه الترجمة كثيراً .

٣ - كتاب ابن وافد المسمىٰ كتاب الوساد Liber de Cervicalibus Capitis وقد تمت الترجمة سنة ١٣٥٢ م .

٤٠ - يهودا بن سليمان بن لابي توفي في قادس سنة ١٤١١ م :

أحد زعماء اليهود في مملكة أراغون وأغنيائهم ، وكان حامياً للعلوم ومشجعاً لها . ساعد في إنجاز الأعمال التالية :

١ - ساعد زراحيا بن اسحاق هاليفي Zerahiah ben Isaac ha - Levi لإكمال ترجمة كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي من العربية إلى العبرية تحت عنوان : Happalat ha - Filosofim .

٢ ـ ساعد يوشع بن يوسف لورقي الثاني Joshua ben Joseph II لإكمال ترجمة رسالة عربية في قوىٰ ونوعية الأطعمة المختلفة والأدوية البسيطة والمركبة . وقد فقدت الرسالة في النص العربي وبقيت الترجمة العبرية باسم Gerem ha - ma'alot. .

٤١ ـ يوسف بن يشوع الأول اللورقي Josph ben joshua ih - Lorqi :

طبيب يهودي إسباني وباحث ومترجم توفي قبل سنة ١٣٧٢ م. أعاد ترجمة كتاب موسىٰ بن ميمون المسمىٰ مقالة في المنطق من العربية إلىٰ العبرية . وكان موسى بن طيبون نقل نفس العمل إلى العبرية سنة ١٢٥٤ م. وقد حجبت ترجمة يوسف هذه ترجمة موسىٰ بن طيبون وظلت هي الترجمة المعتبرة المعيارية والمستعملة في دوائر التعليم اليهودية فترة طويلة من الزمن .

٤٢ ـ يوسف بن يشوع الثاني اللورقي (لعله حفيد الأول) Joseph ben Joshua IIha - Lorqi:

يهودي اسباني عرف كطبيب ومترجم من العبرية إلى العربية توفي قبل سنة ١٤٠٨ م . ترجم قسماً من قانون ابن سينا قبل سنة ١٤٠٢ م ، وإن ما ترجمه من القانون يشتمل على الأقل على الكتاب الأول والمقالة الأولىٰ من الكتاب الثاني . وقد قدرت ترجمته ونشرت في نابولي بين سنتي ١٤٩١ ـ ١٤٩٢ م.

كذلك عدل ترجمة ناثان هاميثاتي للقانون .

٤٣ ـ يوسف بن فيفس اللورقي Joseph ben Vives ha - Lorqi :

لم يعرف عنه إلاَّ أنه عدل ترجمة ناثان ميثاتي لقانون ابن سينا قبل سنة ١٤٠٢ م ذلك أن ناثان ترجم كتاب القانون لابن سينا من العربية إلى العبرية ، ولكن يبدو أنه ارتكب فيها أخطاء ولم يكن دقيقاً في الترجمة ، فأتىٰ يوسف هذا فعدلها وأصلحها . وطبعت في نابولي سنة ١٤٩٢ م . وهي الطبعة العبرية هذه . على حين لم يطبع القانون في العربية إلاَّ بعد قرابة قرن .

الفصل الخامس

الوسائل والتأثيرات

الفصل الخامس
الوسائل والتأثيرات

نصل الآن إلى نهاية بحثنا في النقل من العربية إلى اللاتينية والعبرية ، وذلك في عهد الاستشراق الأول . ذلك أننا ذكرنا أن نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا حصل في عهد الاستشراق الأول. وذكرنا أيضاً أن الأوربيين أدركوا ، غالباً كنتيجة من نتائج الحروب الصليبية ، إن المسلمين أكثر تحضراً منهم بما لا يقاس ، وإن هزيمة المسلمين بقوة السلاح مستحيلة ، وأنهم إذا أرادوا أن يتغلبوا على المسلمين ، فعليهم أن يحاربوهم بسلاح المعرفة والعلم ، ولما كان العلم آنذاك إسلامياً عربياً فقد قرر القوم نقل روائع الآثار العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية ليستفيد منها القوم في مواجهتهم للإسلام .

والواقع كان القوم في أوربا يضطرمون حقداً وبغضاً للإسلام وأهله ، ويسعون جهدهم للقضاء على هذا العدو الرهيب الذي اقتلع جذور النصرانية من مهدها فلسطين وسلخ عن النصرانية أماكن كثيرة أصبحت دار إسلام كما هي الحال مع بلاد الشام ومصر وبرقة وشمالي أفريقية بكامله وصقلية وإسبانيا وأقسام من إيطاليا وفرنسا .

وقد لجأ القوم إلى تغذية الكره والحقد والبغض للإسلام في قلوب أبنائهم بنشر القصص الكاذبة عن بربرية الإسلام والمسلمين ووحشيتهم وفظاظتهم وسوء معاملتهم للآخرين . وقد كانوا يخترعون الأقاصيص الكاذبة

لتشويه صورة المسلمين في عقول الناشئة وقد اضطلع بهذه المهمة بشكل خاص الكنيسة ورجال الدين .

فقد كانوا يصفون المسلمين بالكفار وشوهوا صورة الرسول الكريم الذي هو أعظم مخلوق فجعلوه في أقبح صورة ، وشوهوا تسامح المسلمين ومبادئهم في حروبهم وتعاملهم مع الشعوب المغلوبة المحررة وقلبوا كل حسنات الإسلام إلى مساوىء ، وهم متعمدون لذلك . ذلك أن كثيراً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون .

لقد كانوا ينظرون إلى الإسلام على أنه تجسيد للرعب والدمار ، وأتباعه كفرة قتلة وهم أفراد من قبائل شيطانية من البرابرة الضالين المكروهين .

ولذلك لجأ العقلاء منهم إلى العمل من أجل التغلب على الإسلام والمسلمين وذلك أن تحاربهم بسلاحهم وهو سلاح العلم والمعرفة ، وإن تجردهم من قوتهم الحقيقية المتمثلة بتمسكهم بمبادىء دينهم وبتفوقهم الحضاري ، فلجأ الحكام المتنورون ولجأت الكنيسة بقضها وقضيضها إلى العمل في هذا السبيل المزدوج ، فأحضرت أمهات الكتب العربية إلى أوربا وبدأ القوم في نقلها إلى اللاتينية ، ومن ثم الاستفادة من محتوياتها في سبيل رفع سوية التعليم والتدريس ، كذلك ، لم يغب عن بال البابوية ولا لحظة واحدة ، الهدف التبشيري الذي تعده من أهم واجباتها ، ولذلك سعت البابوية لتعليم رهبانها اللغة المكروهة اللغة العربية ، وذلك من أجل فهم أفضل لسر تفوق المسلمين ، ومن أجل حسن سير عملية نقل روائع الكتب العربية إلى اللاتينية ، ومن أجل التبشير بين الكفار المسلمين عسىٰ أن يهتدوا إلى النصرانية .

ولقد لجأ القوم ، من أجل تحقيق هذه الأغراض ، إلى تأسيس مؤسسات تعمل في هذا الاتجاه فقد لجأ القوم ، أول الأمر ، إلى إرسال البعوث التعليمية إلى مدارس المسلمين وجامعاتهم ، ثم تأثروا بالمسلمين فأسسوا الجامعات في بلادهم وقلّدوا ما هو جار آنذاك في طليطلة وقرطبة

ودمشق والقاهرة وبغداد . . . كذلك أسسوا المراكز من أجل ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية . ثم أسسوا مدارس خاصة لتعليم الرهبان اللغة العربية .

ولقد نجحت خطة أوربا هذه نجاحاً مدهشاً . فالتقدم الواضح الذي كانت تحققه دار الإسلام على أوربا أوائل القرن الثاني عشر ، أصبح أثراً بعد عين في القرن الرابع عشر . وحققت أوربا قفزة حضارية رائعة كل الروعة ، وذلك بفضل الجهود التي بذلتها من أجل الاستفادة من منجزات المسلمين الحضارية .

وطبعاً ، وهذه هي المأساة ، تعاصر مع تقدم أوربا الحضاري تقهقر الإسلام الحضاري وتراجع حضارته التي ظلت رائدة في العالم لعدد كبير من القرون . ولن يكون في مقدورنا هنا أن نبحث أسباب هذا التراجع ، ولكنها تتمثل في الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي وتهدم ودمار قسم كبير جداً من المؤسسات الثقافية والحضارية لدىٰ المسلمين ، إلى جانب سيطرة الجمود والتمسك بالقديم لدىٰ الباحثين وندرة الأصالة والابتكار ، والانطواء على الذات وعدم الانفتاح على المؤثرات الحضارية .

وإن بحثنا في هذا الفصل سيتناول ناحيتين مهمتين من الموضوع الأولىٰ : ما هي الوسائل التي أعدتها أوربا وهيأتها من أجل تحقيق التقدم الحضاري والثانية مدىٰ الاستفادة التي حققتها أوربا من هذه العملية ، عملية نقل المعرفة العلمية العربية إلى أوربا خلال القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر .

ويقول سارتون : أن القسم الأعظم من تقدم الجناح الغربي للنصرانية إنما تم بسبب الجمع الحكيم لثمار الثقافة الإسلامية[1] . فبهذه الطريقة انتقلت مئات من أمهات الكتب العلمية العربية ، والعربية اليونانية إلى تربة

(1) Sartun, George op. cit. Vol II, p. 279.

أوربـا المجدبـة ، وكانت النتيجـة زخات من المـطر الوابـل أحيـا تلك الأرض الموات[٢].

هذا ولابد من تأكيد مـا سبق أن ألمحنا إليـه ، وهو أن مصـادر المعرفـة الرئيسية في أوربا آنذاك كانت عربيـة [أي مكتوبـة باللغـة العربيـة] ، وكانت المعرفة العربية هي الطاغية وهي الأكثر أهمية مما عداهـا بما لا يقـاس . وإن الغالبية العـظمىٰ من المعرفـة ـ سواء أكـانت عربيـة أم يونـانية ، وهي مكتـوبة بالعربية ، أتت أوربا اما بطريق مباشر هو طريق الترجمة رأسـاً من العربيـة إلى اللاتينية ، أو عن طريق غير مباشر عن طـريق النقل من العـربية إلى العبـرية ، ومن ثم من العبرية إلى اللاتينية .

نبدأ الآن في بحث وسائل نقل المعرفة والعلم العربي إلى أوربا .

وسائل نقل المعرفة والعلم العربي إلى أوربا :

اتبـع القوم وسـائل متعـددة في سبيل نقـل المعرفـة والعلم العـربي إلى بلادهم . فأولاً كانت العملية فردية ، يرتحل الشخص الراغب في المعرفة إلى بـلاد المسلمين للتـزود من المعـرفـة ، ثم تـدخلت الكنيسـة في المـوضـوع فأصبحت ترسل الرهبان والطلاب المتفوقين للدراسة وتعلم اللغة العربيـة . ثم لجأ القوم إلى تأسيس مراكز للنقل وتقـاطر إليهـا العلماء وأهم مـركزين للنقـل وجدا في طليطلة وصقلية ، وقد تم بحثهما سابقاً . هذا مـع العلم أنه وجـدت مراكز كثيـرة منتشرة في اسبـانيا وفـرنسا وانكلتـرا وغيرهـا من العالم النصـراني الغربي . بعد ذلـك بدأ القـوم في فتح المـدارس المتخصصة من أجـل تعليم الـطلاب اللغة العـربية وإعـدادهم للترجمـة والنقل والـدرس والتبحر في علوم الشرق لغايات دعائية وعلمية .

من المـلاحظ أن أولىٰ الجـامعـات الأوربيـة أسست تقليـداً لجـامعـات المسلمين الزاهرة ولا سيما تلك التي وجدت في الأندلس في قرطبـة وغرنـاطة

---

(١) أرنولد ، توماس (محرر) . المصدر المذكور آنفاً . ص ٥٠١ .

وإشبيلية وطليطلة وغيرها . ولقد انتشرت وذاعت في أوربا شهرة هذه الجامعات باعتبارها مراكز حرة للتعليم الأصيل والبحث المثمر . وكان على طالب العلم الأوربي الشغوف بالعلم المتطلع إلى الاستزادة والخروج عن دائرة التعليم الإكليركي ومناهجه الجافة ، تلك المناهج التي كانت تدرس في باريس واكسفورد وبادوا والتي كانت تقتل المبادأة لدى عامة الطلاب ، أقول كان على مثل هؤلاء الطلاب المتفوقين المتطلعين إلى الاستزادة أن ينحدروا إلى بلاد الأندلس الأقرب إليهم من غيرها ليتزودوا من المعرفة الحقة في منابتها الأصيلة . ذلك إن تلك الجامعات كانت مركز إشعاع حقيقي ، وكانت تقبل الطلاب بصرف النظر عن دينهم أو لغتهم أو جنسهم ، وكانت أخبارها تملأ أوربا باعتبارها موئلاً للحكمة التي حرمت منها معاهد الغرب .

ففي الأندلس حيث نعم المسيحيون الموجودون تحت ظل الحكم الإسلامي بالحرية الدينية وبالحماية الحقيقية والأمن ، آثر الخاصة من النصارى أسماء العرب ولغتهم وثقافتهم فاختلفوا إلى مدارس المسلمين ومجامعهم ومكتباتهم وحلقات دروسهم ينهلون من علومها ويتبحرون في آدابها ، وكان على رأس هؤلاء الطلاب رجال الدين النصراني .

كذلك نزح طلاب العلم من أنحاء أوربا إلى الأندلس فالتحقوا بمدارسها وجامعاتها وانتفعوا بدور الكتب العظيمة فيها ، ثم عادوا إلى بلادهم ونشروا فيها حضارة المسلمين وعلومهم وثقافتهم .

وإذا عرفنا أن التعليم كان آنذاك وقفاً على الرهبان أدركنا أية ثورة أحدثته معارف المسلمين العقلية في عقول رجال الكنيسة حتى اضطرت البابوية ، تحت ضغط أمثال هؤلاء العائدين من مدارس المسلمين ، إلى إدخال الفلسفة والعلوم الدينوية في مناهج مدارس الأسقفية .

ويبدو لنا أن هؤلاء الرهبان الذين كانوا يرجعون إلى بلادهم من إسبانيا بعد الانتهاء من تعليمهم لم يكونوا يعودون وهم يحملون الأفكار الجديدة التي نبتت في أذهانهم من جراء دراساتهم والمعارف الجديدة التي تلقوها من

أسـاتذهـم فقط ، وإنمـا كانـوا يعودون ومعهم مخـطوطات علميـة أما عـربية أو منقولة إلى اللاتينية .

فمن الأمثلة على ذلك قضية جون غورتز الراهب الذي أوفد إلى إسبـانيا في بعثة دبلوماسية لبلاط الخليفة العظيم عبـد الرحمن النـاصر . فمكث هنـاك في قـرطبة ثـلاث سنوات تعلم خـلالها اللغـة العربيـة . ولما رجـع إلى وطنـه أحضر معه حمل فرس مخطوطات عربية مما كان له أثر يذكر في نشر العلم في ربوع الرين والفلاندرر .

هـذا وإن الراهب جيـربر دوريـاك Gerbert d'Aurillac مثـل حي على هذا الاتجاه، اتجاه الطالب الأوربي للاستزادة من العلم بالذهاب إلى مدارس الأندلس الإسلامية . فقد رحل إلى الأنـدلس وعاش فيهـا ثلاث سنـوات واتقن العربيـة وتتلمذ على الأساتذة المسلمين في قرطبـة وعندمـا رجع إلى وطنـه حمل معـه الأرقام الهندية وبثها في أوربا كلها وأصبح بعد فترة بابا باسم سلفستر الثاني . كذلك تخرج على علماء قرطبة شانجة ملك ليون واستورية . وقد اعترف بهذه الحقيقـة أحد كبـار المؤرخين الانكليز فـذكر في كتـابـه فلسفـة التـاريـخ : إن مدارس العرب في إسبانيا كانت هي مصادر العلوم . وكان الطلاب الأوربيـون يهـرعون إليهـا من كل قـطر يتلقون فيهـا العلوم الطبيعيـة والريـاضية ومـا وراء الطبيعة[١] .

كذلك لابد من ذكر عالم انكليزي ارتحـل من وطنه وحضـر إلى اسبانيـا ليتعلم العـربية فيهـا . هذا العـالم هو روبـرت من شستر Robert of Chester وهو من أوائل الانكليز الذين فعلوا ذلك .

ولقد حذا أديلارد من باث Adelard of Bath (١٠٧٠-١١٣٥م) حـذو جيربر وهو نبيل انكليزي وابن عم هنري الأول ارتحل كثيراً وتعلم في مدارس قرطبة وإشبيلية ثم ارتحل إلى الشرق وتعلم هناك العربية ، ثم رجـع إلى وطنه

---

(١) سيما يلوفيتشي، أحمد . المصدر المذكور آنفاً . ص ٦٩ .

وتجول هنا وهناك واشتهر كمترجم وكعالم . وقد أحضر معه من الشرق ، لأول مرة ، كتاب أقليدس المعروف بالعناصر أو الأصول الخمسة عشر .

تأسيس المدارس والمؤسسات الثقافية :

سبق أن ذكرنا سابقاً مدرسة الترجمة والنقل التي وجدت في طليطلة ، والمؤسسة الثقافية التي أوجدها فريدريك الثاني وخلفاؤه من بعده في صقلية لنفس الغاية . ونحب أن نضيف هنا إلى ما سبق أن ذكرناه عن صقلية ونشاط ملوكها في حقل النقل أن الملك شارل أنجو الذي اعتلىٰ عرش صقلية سنة ١٢٦٦ م كان كثير الاهتمام بالموضوع وتدلنا سجلات بلاطه المحفوظة حتى الآن علىٰ أنه اهتم شخصياً بترجمة المؤلفات العربية إلى اللاتينية وقد كان لديه بالتأكيد مؤسسة ثقافية كاملة لهذا الغرض بما في ذلك نقلة ومترجمون مثل فرج بن سالم ونساخون ومصححون مثل هنري الانكليزي . وهناك خطاب من الملك شارل مؤرخ في سنة ١٢٨١م يذكر فيه الحاوي باسمه العربي في عدة خطابات أخرىٰ. كما وهناك خطاب آخر من الملك مؤرخ سنة ١٢٨٠م يشير فيه إلى تقويم ابن جزلة عندما فرغ فرج بن سالم من ترجمته. وبالمناسبة فقد كان كتاب الحاوي أحد كتب تسعة باحثة في الطب كانت تتألف منها مكتبة كلية الطب في جامعة باريس .

ولقد أدرك جيربير الذي أصبح بابا باسم سلفستر الثاني ٩٩٩ - ١٠٠٣ م أهمية المدارس في سبيل نشر المعرفة بالعلم العربي ، وهو الذي استقى ثقافته العلمية من معاهد العرب ومدارسهم في الأندلس عندما كان فيها قبل أن يصبح بابا ، فأسس مدرستين في أوربا لتعليم العربية الأولىٰ في روما والثانية في ريمس من فرنسا وطنه الأصلي .

ولابد من ذكر أن مدرسة الطب في سالرنو ساعد في تأسيسها روجه الثاني الذي أصبح ملكاً على صقلية أوائل القرن الثاني عشر ، ويقال أنه اشترك في تأسيسها أربعة أشخاص : لاتيني ويوناني ومسلم ويهودي .

هـذا وإن الـرهبـان الأسبـان الـذين تعلمـوا في مــدارس المسلمين في الأنـدلس ونهلوا من علومهم وثقافتهم ، لم يلبثـوا بعد أن اشتـد عـودهم ، أن أسسوا مراكز لتعليم العربية ودراسة التراث العربي في أديارهم ومن أشهرها دير ريبـول ـ حيث تعلم الأب جربـر وترجم إلى الـلاتينية من مخـطوطات المكتبـة بعض المصنفات الرياضية والفلكية العربية ـ ودير ســان كوجـات وسان ميليـان وثيلانويا وغيرها من الأديار .

وقد انتقل تأسيس المدارس لتعليم العربية من الأديرة إلى الكاتـدرائيات ابتداءً من القرن العاشر . فذاعت شهرة مـدارس أوبيدو وليـون وبيك وخيـرونا وبـرشلونة وسـانتيا غـودوكويـو ستيلا ، وقـامت مثيلات لهـا في باريس وشـارتر وأورليان وتور وريمس ، وفي أمهات مدن إيطاليا وانكلترا والفلمنك وغيرها .

إن القاموس اللاتيني ـ العربي والمحفوظة نسخة مخطوطة منه في جامعة ليدن يعود تـاريخها إما إلى القـرن العاشر أو إلى القـرن الحادي عشر، وهو أقـدم وثيقة تثبت دراسة اللغة العربية من قبل بحاثة لاتيني. وقد بقي هذا القاموس استثناءً وحيداً لمدة طـويلة . ذلك أن المعـاجم اللاتينيـة العربيـة التاليـة لهذا المعجم وصلتنا متأخرة كثيراً ، منها ما نسب إلى رامون مارتي Ramon Marti ، ومنهـا ما نسب إلى بدرو من الكالا Pedro de Alcalà (في حدود سنة ١٥٠٥ م) . وقد طبع معجمـه في غرنـاطة سنـة ١٥٠٥ م وهو أول معجم من نـوعه يـطبع . ومن المفروض أن يكون لـدىٰ النقلة من العربيـة إلى اللاتينيـة معاجم عـربية ـ لاتينية ولاتينية ـ عربية .

هذا وإن أول معجم وجد ينسب إلى مترجم يسمىٰ ستيفن وهو مـا يعرف بـاسم مفردات ستيفن Stephen's Synomyms جمعـه ستيفن الأنطاكي ويعـطي اللفظ اليـوناني والـلاتيني ومقابله العـربي . ولقد كـان الأمبراطـور فريـدريك الثاني أمبراطور الأمبراطورية الجرمانية المقدسـة وملك صقلية واحـداً من أقدم أبـطال ودعاة الـدراسات العـربية في أوربـا . وهو الـذي أسس سنـة ١٢٢٤ م جامعة نـابولي وأمـر لها بكميـة وافرة من المخـطوطات العـربية . وربمـا قصد

فريدريك أن يجعل من جامعة نابولي معهداً ثنائي اللغة ، وقد أكمل الفونسو العاشر ملك ليون المعروف باسم العالم تأسيس جامعة سلمنكة (وتسمىٰ أيضاً طلمنكة) سنة ١٢٥٤ م كما وإنه اسس في نفس السنة جامعة في إشبيلية وهدف لها أن تكون معهداً ثنائي اللغة . فقد جعلها جامعة لاتينية عربية وكان الأطباء المسلمون يقومون بالتدريس فيها إلى جانب الأساتذة النصارىٰ . وقد جمع هذا الملك حوله عدداً من البحاثة اليهود والنصارىٰ ليكمل عمل والده في نقل المعارف الإسلامية إلى اللاتينية ، ولينقل الى اللغة الإسبانية أمهات الكتب العربية .

وقد احتاج هذان المعهدان اللذان كانا بالحقيقة حلقتي بحث إلى علماء يعرفون العربية . وفي نفس الوقت بدأ الدومنيكان يؤسسون المدارس العربية ، لأنهم شعروا أن من واجبهم أن يتثقفوا بثقافة أعدائهم الكفار (المسلمين ؟) وأن يكونوا قادرين على فهمهم والتفاهم معهم . ونفس الشيء صحيح بالنسبة لليونانية والعبرية . ولذلك اسسوا في باريس مدارس عربية وعبرية ويونانية وذلك بعد سنة ١٢١٧ م .

هذا ولقد بلغت مدرسة شارتر الذروة في عهد ونار أحد خريجيها (سنة ١١١٧ م). وسيطر ثلاثة من خريجيها على ميدان الفلسفة في أوربا الغربية وهم وليم الكوشي وجلبردو لابوره وجان السالسبوري .

هذا وقد اعترفت مدينة باريس بنقابة الأساتذة فيها سنة ١١٧٠ م وهي نواة جامعة باريس ، ووصلت سنة ١٢٠٠ م إلى حد الاعتراف بها جامعة وأقر البابا أنيوسنت الثالث ، وهو أحد خريجيها قوانينها سنة ١٢١٠ م . ولقد بدأت جامعة باريس في السنة التالية من تأسيسها أي سنة ١٢٠١ م بتدريس العلوم الإسلامية مما يعكس الأهمية الكبرىٰ التي كان القوم يولونها لهذه العلوم ، وكان لتدريس هذه المواد أثرها الكبير على الفكر الأوربي[١] .

---

(١) خدابخش ، صلاح الدين. حضارة الإسلام . تعريب علي حسني الخربوطلي . بيروت، دار الثقافة ١٩٧١ ، ص ١٥٠ .

ونعرف من بعض الرسائل البابوية والمراسيم البابوية لكل من البابوات أنيوسنت الرابع (١٢٤٨ م) واسكندر الرابع (١٢٥٨ م) وهو نوريوس الرابع (١٢٨٥ م) وجود بعض الطلاب الشرقيين يستلمون منحاً دراسية من أجل الدراسة في باريس .

وقد أدرك الدومينيكان سريعاً أن حلقات الدراسة من أجل دراسة وتعلم وتعليم العربية ستكون أكثر فاعلية بكثير لو أسست في بلدان ناطقة بلغة الضاد ، فأسسوا مثل هذه الحلقات في كل من مرسيه وتونس قبل سنة ١٢٦٥ م . ويذكر أن البابا هونوريوس الرابع تقدم بفتح مدرسة للغة العربية في باريس[1] . وقد أدرك عدد من زعماء الكنيسة والمفكرين اللاتين في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أهمية الدراسات العربية والحاجة إليها وبشكل خاص من أجل غايات تبشيرية . من هؤلاء البحاثة يمكن أن نعد رامون مارتي وأرنولد دوفيللانوفا وراموند لول والقديس بطرس باسكال من بلنسية Valencian St. Peter Pascal والإيطالي ريكولدو دي مونت كروتسي Ricoldo di Monte Croce وروجير بيكون الانكليزي .

فروجر بيكون ١٢١٤ ـ ١٢٩٤ م كان يتقن العربية وله آثار كثيرة ومعروف كفيلسوف وداعية لتبني علوم المسلمين ونشرها في أوربا ، وهو لم يتردد في القول أن « الفلسفة إنما هي أرومة عربية . . . لذلك فإن اللاتيني لا يستطيع أن يكون على وقوف بالكتب المقدسة ولا على الفلسفة إلاّ إذا عرف اللغة التي نقلت عنها »[2] .

أما رامون لول (١٢٣٥ ـ ١٣١٤ م) .R.Lul فقد كان يلتهب حماساً لنشر تعليم اللغة العربية وبشكل خاص بين الرهبان لغات تبشيرية ولهداية

---

(١) شيخو ، لويس . الأداب العربية في القرن التاسع عشر . ط ٢ بيروت . مطبعة الأباء اليسوعيين، ١٩٢٦ الجزء الأول ، ص ١٢ .

(٢) أرنولد ، توماس . المصدر المذكور آنفاً . ص ٣٥٦.

الكفار والوثنيين إلىٰ الحقيقة الخالـدة . وهو قـد ولد في جـزيرة ميـورقة وتعلم العربية وكان قادراً على التأليف والكتابة بها . وقد ارتحل بين المسلمين وربما ألف كتابه Liber del gentil بالعربية أولاً ثم ترجمه إلى القطلونيـة واللاتينيـة . وكتـابه هـذا محاورة بين نصراني ويهـودي ومسلم يعـرض كـل منهم فضـائـل دينـه . . ولـه مـوسـوعـة دينيـة لاتينيـة بعنـوان « التـأمـل في الله » Liber de Cartemplacion . ولاشك أنه كتب جانباً منها علىٰ الأقل بالعربية ، ثم نماهـا بعد ذلك وطورها وكتبها باللغة القطلونيـة . وقد تمكن من إقنـاع ملك أراغون ومايورقة في أن يؤسس مدرسة فرنسيسكـانية للعـربية في ميـرامار [في جـزيرة مايورقة]. وقد تم ذلـك سنة ١٢٧٦ م ووافق على ذلـك البابـا يوحنـا الحادي والعشـرون . وقد أشـرف هو بنفسـه عليها فتخـرج منها بـالعربيـة ثلاثـة عشـر راهباً . ولقد واجهت هذه المدرسة صعوبـات جمة ولم تعمـر أكثر من ثـلاثين سنة .

ولقد بلغت جهود راموند ذروتها في عريضتـه التي رفعها إلى مجمـع فينا في دوفينـه Dauphiné في فـرنسـا بين سنتي ١٣١١ ـ ١٣١٢ م وقـد قبلت بسـرور . ومن أجل تـطبيق رغبات ذلـك المجمع فقـد أصدر البـابا كليمـانس الخامس أمره بتدريس اللغات العربية والعبرية والكلدانيـة واليونـانية في خمس جامعات هي باريس وروما واكسفورد وبولونيا وسلمنكة ، مع تنصيب أستاذيـن لكل من هذه اللغات في كل كرسي في الجامعات المذكـورة وتكليفهم بترجمـة نصوص عربيـة وعبريـة وكلدانية للرد على منتقـدي الدين . وقـد تقرر أن تنفق البابويـة على مدارس رومـة وأن ينفق ملك فرنسـا على مدارس بـاريس ، وأن تمول بقية المدارس من قبل الرهبان والأكليروس . ومما يدل على أن هذه اللغات كانت تدرس في كلية باريس تعليمات البابا يوحنا الثاني والعشرين إلى قاصده الرسولي في باريس أن يراقب تدريس العربية في تلك الكلية وذلك سنة ١٣٢٥ م .

هذا وان إنشاء هذه الكراسي لتدريس اللغات الشـرقية ، واهتمـام هؤلاء البحاثة باللغة العربية كان بشكل رئيسي من أجـل غايـات تبشيريـة . كان تعلم

وتعليم اللغة العربية بالنسبة لهم وسيلة لمحاربة الإسلام، أو لعلهم يستطيعون تنصير المسلمين واليهود . كانت آمالهم عدوانية لسحق الإسلام(1) .

هذا وقد عرف لول التصوف الإسلامي وأعجب بابن عربي، وتأثر بابن سبعين وابن هود وعفيف التلمساني ، وتأثر بشكل خاص في مذهب الإشراق ، كما تأثر من الناحية الأدبية بكتاب كليلة ودمنة وظهر ذلك في مصنفه : الكتاب السعيد في عجائب الدنيا . وباعتباره مطلعاً على الفلسفة فقد تأثر بالافلاطونية الحديثة ، ولكنه تميز عنها بطابعه الخاص وبمعارضته للرشدية .

ولقد عاون لول في مشروعاته رامون مارتي الدومنيكي . وقد تقرر في مجمع طليطلة تأسيس مدرسة فيها لتعليم العربية وذلك سنة ١٢٥٠ م . كذلك قرر نفس المجمع الانفاق على ثمانية من الرهبان الدومنيكيين على رأسهم رامون مارتي كانوا قد توقفوا عن الدراسة العربية، وقد أرسل نفر من زملائهم إلى باريس لتعلم العربية والعبرية واليونانية فيها وذلك سنة ١٢٥٥ م . وقد كلفهم مجمع بلنسية المنعقد سنة ١٢٥٩ م تأسيس مدرسة للعربية والعبرية في قطلونيا سنة ١٢٦١ م . وقد صنف أحدهم وهو غليوم الطرابلسي كتاباً ضد الإسلام أهداه إلى من أصبح فيما بعد البابا غريغوريوس (١٢٧١ - ١٢٧٦ م) هذا وقد ذكرنا سابقاً تأسيس مدرستي ريمس وشارتر في فرنسا وكيف قامتا بتدريس العربية . كما فعلت الشيء نفسه جامعة باريس . وأسس البابا هونوريوس الرابع معهداً لتدريس اللغات الشرقية ، ومن بينها العربية ، في باريس سنة ١٢٨٥ م . وتنفيذاً لقرار مجمع فينا في دوفينه القاضي بتدريس اللغة العربية في باريس فقد أنشأت جامعة باريس كرسياً للغات السامية . إلاّ أن الفلسفة الإسلامية ولا سيما فلسفة ابن رشد سيطرت عليها . وفي العصر الأخير أنشيء كرسي للدراسات الإسلامية في جامعة باريس والحق به معهد للدراسات الإسلامية . وأنشأ الملك فرنسوا الأول كرسياً للعربية والعبرية في

---

(1) Sartum, George op. Cit. Vol III, p.375.

ريمس سنة ١٥١٩ م ، وعهد إلى جوستنياني أسقف نبيونه فأعاد إليها سالف مجدها . كذلك اسس نفس الملك معهد فرنسا كوليج دو فرانس سنة ١٥٣٠ م وأعد فيه كرسيين للعبرية واليونانية وأضاف إليهما الملك هنري الثالث كرسياً للعربية سنة ١٥٨٧ م.

وفي إيطاليا اهتمت جامعة بولونيا (١٠٧٦ م) بعلوم العرب ، وجامعة نابولي (١٢٢٤م). بثقافتهم، وجامعة سيينا Sienna (١٢٤٦ م) بآدابهم ولغاتهم ، وجامعة روما (١٢٤٨ م) بدراسة الآثار واللغة والآداب العربية والألسنة السامية، وركزت الجامعة الغريغورية (١٥٥٣ م) نشاطها في اللاهوت والحقوق والقانون الشرقي والدراسات الإسلامية .

وقد اعتبر مجمع فينا في دوفينه جامعة سلمنكة أحد المراكز العلمية من أجل تعليم اللغات الشرقية ، فوجد فيها خمسة وعشرون كرسياً منها اليونانية والعبرية والعربية . ثم وهنت الصلات بين اسبانيا والعرب وتوقف أوكاد النشاط التعليمي حتى أوائل القرن الثامن عشر.

ولقد تأسس في جامعة اكسفورد كراسي لتعليم اللغات العربية والعبرية والكلدانية والسريانية وذلك نزولاً على قرار البابا كليمانس الخامس بناء على توصية مجمع فينا في دوفينه (١٣١١ ـ ١٣١٢ م) . ولكن الدراسة وهنت بعد فترة ولم تنشط الا في القرن السابع عشر عندما أسس فيها كبير الأساقفة لود كرسياً لتدريس العربية فيها سنة ١٦٣٦ م . وقد أنشأ الملك دينيس جامعة لشبونة عام ١٢٩٠ م واهتمت منذ إنشائها باللغة العربية والتراث العربي .

ولقد اهتمت جامعة فينا منذ تأسيسها سنة ١٣٦٤ م باللغات الشرقية وتبعتها في هذا المضمار جامعة هايدلبرغ .

من هذا العرض نرى كيف اهتم القوم بنقل الحضارة الإسلامية إلى لغاتهم وما هي المؤسسات التي أوجدوها من أجل هذا الغرض .

التأثيرات :

ونعني بها مدى تأثر أوربا بهذه المعطيات الحضارية التي أخذوها عن المسلمين ، إلى أي حد ساهمت في تقوم أوربا الحضاري ، وبشكل خاص في حقول الفلسفة والعلم والرياضيات وما ماثل .

هناك من العلماء من يغمط هذه الناحية حقها ، ويقرر أن دور الحضارة الإسلامية ، إن كان لها دور هو دور الوسيط ، إذ أن أوربا أخذت عن طريقهم ، العلوم اليونانية التي كانت أوربا قد نسيتها وحفظها المسلمون .

ولكن الدراسة الموضوعية للموضوع تكشف بشكل لا لبس به عن الدور العظيم الذي لعبته الحضارة الإسلامية في نهضة أوربا . وإن العلماء في أوربا تبنوا هذه الحضارة ، وكثير منهم نسب إلى نفسه أجود الكتب وأعظمها ، كما فعل قسطنطين الافريقي عندما نسب إلى نفسه عدداً من أمهات الكتب العربية في الطب ، وهي في حقيقتها نقول لاتينية لكتب عربية . هذا وهناك عدد من البحاثة الغربيين درسوا الموضوع بروح من عدم التحيز ، واستطاعوا التجرد من التعصب الذميم ، ولو لفترة ، واعترفوا بأصالة الحضارة الإسلامية ، وبالتالي بأثرها في تقدم أوربا ورقيها وازدهارها .

لخص ليكي الموقف بصفة عامة فقال : « منذ أن انتقل التعليم في أوربة من الأديرة إلى الجامعات ، ومنذ أن انتشرت العلوم الإسلامية وأثرت في الأفكار ، ومنذ أن حطم الانقلاب الصناعي سطوة الكنيسة ، بدأت النهضة الثقافية في أوربا »[1] .

كذلك ينوه جورج سارتون صاحب كتاب : مقدمة في تاريخ العلم ، في الدور العظيم الذي لعبته الحضارة الإسلامية في الحضارة العالمية والخدمات التي أدتها للفكر الإنساني وذلك في قوله : « إن الجانب الأكبر من الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون . فالفارابي أعظم الفلاسفة . . . والمسعودي

---

(١) خدابخش ، صلاح الدين . المصدر المذكور آنفاً . ص ١٥٠ .

أعظم الجغرافيين والطبري أعظم المؤرخين »[1].

ويعترف غوستاف لوبون اعترافاً كاملاً بفضل المسلمين على أوربا وأثرهم في نهضتها ، فيقول نقلاً عن مسيو ليبري « لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة في الآداب عدة قرون »[2].

وهناك من يتحفظ بشأن دور العرب والمسلمين البناء في التعجيل بعصر النهضة في أوربا ، ولكنه يعترف بأثرهم في بروزها وازدهارها ، وذلك مثل الفرد غيوم الذي ذكر في كتاب تراث الإسلام الجزء الأول ص ٢٢٨ ما يلي : لو أنهم (أي العرب المسلمين) كانوا كذلك (أي برابرة مدمرين مثل المغول) لتأخر عصر الأحياء عن موعده في أوربا أكثر من قرن .

وإذا علمنا أنه نقلت كتب عربية إلى اللاتينية يبلغ تعدادها أكثر من ثلاثمائة كتاب ، كما أحصاها كلارك في كتابه عن الطب العربي[3] ، وأغلبها من أمهات الكتب ، أدركنا مقدار النهضة التي أحدثتها هذه الترجمات . ولا يدخل في هذا التعداد الا الكتب التي نقلت خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر فقط ، ولا التي نقلت إلى غير اللاتينية ، ولا يدخل في هذا الحساب كثير من كتب التنجيم والسيمياء . هذا مع العلم أن باحثين أخرين رفعوا الرقم إلى أربعمائة كتاب . ويورد جرجي زيدان تفصيلاً لما نقل من هذه الكتب . فقد تجاوز عدد الكتب الفلسفية تسعين كتاباً ، كما بلغ عدد كتب الطبيعيات ثلاثين كتاباً ، وناف عدد الكتب الطبية على المائة والعشرين ، كما قارب عدد كتب الكيمياء وغيرها من أنواع العلوم الأربعين كتاباً[4] . وهذه كمية هائلة من المعارف الجديدة انتشرت في أرجاء أوربة خلال القرون الثلاثة الثاني عشر

---

(١) عقيقي ، نجيب . المصدر المذكور آنفاً . ج١ ـ ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) لوبون، غوستاف . حضارة العرب . تعريب عادل زعيتر . الطبعة الثالثة. القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٦ م، ص ٣٠.

(٣) سيما بلوفيتش ، أحمد. المصدر المذكور آنفاً . ص ٦٩ .

(٤) زيدان ، جرجي تاريخ آداب اللغة العربية . الطبعة الثانية . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٨ م . ج٢ ـ ٥٠٧.

والثالث عشر والرابع عشر فملأت بحق فراغاً كبيراً وحفزت على انتشار التعليم والمعرفة وساعدت في تبديل عقلية القوم ومهدت لعصر النهضة في القرن الخامس عشر والسادس عشر . أمام هذه الحقائق نستطيع أن ندرك عمق الحركة الفكرية والثورة العارمة التي بعثتها في الغرب حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، والفائدةالتي جناهاعلماء الغرب من هذه الترجمات .

فكانت هذه الترجمات أدوات جوهرية للتقدم وساهمت أكبر مساهمة في نقل الغرب من حال إلى حال . وسنورد فيما يلي أبحاثاً تفصيلية عن مقدار تأثير معارف المسلمين العلمية وأثرها في تقدم المعرفة في أوربا واستفادة أهلها منها .

سنقسم البحث إلى عدة رؤوس موضوعات أهمها : الفلسفة ، الطب ، الرياضيات والفلك ، اللغة والأدب ، الفيزياء والكيمياء .

ولابد ، قبل أن نبدأ البحث ، من أن نذكّر بما سبق أن قلناه في الفصل الأول من هذه الدراسة والذي عنوانه البدايات الأولىٰ . فقد ذكرنا جون أحد رهبان دير غورتز وذكرنا أنه أوفد إلى الأندلس سنة ٩٥٣ م في مهمة رسمية من قبل الأمبراطور أوتو الأول إلى بلاط عبد الرحمن الناصر ، وكيف تعلم هذا الراهب اللغة العربية واطلع على ثقافة المسلمين وأعجب بها ، ولما ترك الأندلس عائداً إلى بلاده اصطحب معه حمل فرس كتباً عربية . وقد أدىٰ ذلك إلى حدوث ، بعد فترة من الزمن ، بعض الازدهار العلمي والاهتمام بالعلم العربي في المدارس الفلمنكية (هولندا وبلجيكا واللوكسمبورج) وهذا دليل على بداية تفتح القوم على العلم الإسلامي وتأثرهم به وبما أحضر إليهم من كتب .

الفلسفة :

تعتبر الفلسفة من الميادين التي برز بها المؤلفون المسلمون . وللفلسفة في الإسلام معنىً خاص واتجاه خاص . فكانت الفلسفة تطلق على أفكار

وآراء حكماء اليونـان الفلسفية وبشكـل خاص أرسـطو . وإن مهمة الفيلسـوف الحقيقي هي أن يشرح آراء هؤلاء الحكماء وبشكل خاص أرسطو الذي سمـوه المعلم الأول . وإن على الفيلسوف ، إذا وجد تناقضاً وتنـافراً بين آراء أرسـطو وبين الشريعة الإسلامية فعليه أن يزيل هذا الاختلاف والتناقض لأن الاختـلاف والتناقض بين آراء أرسطووبين الشريعة الإسـلامية سـطحي إذ أن الشريعـة حق وآراء أرسـطو حق ، فلا يمكن لحق أن ينـاقض حقـاً آخـر لـذا وجب التـوفيق بينهما . هذا وقد نسبت إلى أرسطو آراء وكتب ليس هو قائلهـا ولا مؤلفها مثـل المذهب الافلاطوني الحديث الذي نسب إليه وليس لـه وإنما هي آراء استـاذه أفـلاطون تبنـاها وشـرحها وزاد عليهـا أفلوطين الإسكندري في القـرن الثـالث الميلادي . ولقد اعتنق الفلاسفة المسلمـون آراء هذه المـدرسة الأفـلاطونيـة الحديثة وتبنوها ونسبوها لأرسطو .

ومن هنا نجد كثيراً ممن اشتغلوا بالمسائل الفلسفية كالغزالي وابن عربي لا يطلق عليهم هذا الاسم ، على الرغم من اشتغالهم بالمسائل الفلسفية .

وقد انتشرت الفلسفة الإسلامية في طول أوربا وعرضها وتأثر بها علماؤها وحكماؤها وكهانها وبشكل خاص بمؤلفات الفارابي وابن سينا والغزالي وأخوان الصفا وابن طفيل وابن رشد . هذا ولقد وجد عـدد من المؤلفين اللاتين ألفـوا رسائل فلسفية ونسبوها لأنفسهم وهي في حقيقتها اقتباس واضح وأخذ صريـح من هنا وهناك من أصـول الفلسفة الإسـلامية . فقـد وجد في طليـطلة، خلال القرن الثالث عشر ، شخص اسمه فيرجيل القـرطبي Virgil of Cordova يقال إنه ألف كتاباً اسمه الفلسفة Philosophia والغالب أنه ترجمه عن العربية ونسبه لنفسـه . ومهما يكن من شيء وسـواء أكان الكتـاب تأليفـاً أصيلاً أم تـرجمة ، والـرأي الغالب أنـه ترجمـة حرفيـة ، فإنـه دليـل واضح على السمعـة الـرفيعـة والاحترام الذي كانت تتمتع به الحضارة الإسلامية والفلسفة الإسلامية .

كذلك وجد شخص ينتمي إلى الطائفة الفرنسيسكانية اسمه انسيلوم تورميدا Anselmo Turmeda ترجم قسماً من رسـائل أخـوان الصفا . ومن المفـروض

أن كتابه المسمىٰ Disputa del ase كتاب أصيل ، ولكنه في حقيقته ترجمة ويجب النظر إليه بهذا المنظار . إن أول مفكر عربي إسلامي مهم اشتغل بالفلسفة هو الكندي وقد اطلق عليه اسم فيلسوف العرب ، وقد ضاعت أغلب مؤلفاته ولم يؤثر تأثيراً ناجحاً في النهضة الأوربية .

أما أمر الفارابي فمختلف جداً ذلك أن الفارابي ، ويسمىٰ المعلم الثاني ، تأثر كل التأثر بالفلسفة اليونانية وبآراء أرسطو وبشكل خاص آراء أفلاطون ، كما وله مؤلفات في تصنيف العلوم وله مؤلفات في الموسيقىٰ . ولقد تأثر بالفارابي كل التأثر غوند يسالفو المتوفي سنة ١١٥٠ م . كان غوند يسالفو زميلاً ليوحنا الإشبيلي في الترجمة من العربية إلى اللاتينية في طليطلة حوالي منتصف القرن الثاني عشر . وقد ألف غوند يسالفوس هذا كتاباً اسمه تقسيم الفلسفة De Divisions Philosophia ولكن هذا الكتاب هو صورة منتزعة من كتاب الفارابي إحصاء العلوم ومن كتابه الآخر كتاب الموسيقىٰ الكبير . كما وإن كتاب فنسنت دوبوفيه Vincent de Beauvais المسمىٰ باسم مرآة المبادىء Speculum doctrinale في حقيقته لا أكثر من اقتباسات من الفارابي وبوثيوس Boëthius وأبزودور الأشبيلي Isodore وجيدو الأريزي Guido Arezzy . ولقد اقتبس روجر بيكون كثيراً من آراء الفارابي الموسيقية وضمنها الكتاب الثالث الذي خصصه للموسيقىٰ من كتابه الجامع المعروف باسم الكتاب الأكبر Opus Majus، ونحا نحو ابن سينا في تقدير قوة الموسيقىٰ العلاجية . ومع أن ابن سينا (أبو علي الحسين بن سينا ٩٨٠ - ١٠٣٨ م) مشهور كطبيب من عباقرة الطب مدىٰ العصور ، إلَّا أن شهرته كفيلسوف لا تقل عن شهرته كطبيب . كان ابن سينا بوجه خاص شارحاً لفلسفة أرسطو ومكملاً لها . وقد تأثر ابن سينا وتبع خطىٰ الفارابي في قوله بوحدة العقل الفعال ، ولم يتفق معه في مسألة وحدة العقل بالقوة لدىٰ جميع الناس . وعنده أن العقول المحضة قد انبثقت من واجب الوجود بأشياء بسيطة لا تخضع للتغيير . هذه الأشياء الجميلة تتجه دوماً إلى واجب الوجود محاولة تقليده غارقة في اللذة العقلية الناجمة عن التفكير في الأله خلال الأزلية .

فهـذا التفسير أكسب ابن سينـا نفوذاً قـوياً في الغـرب عنـدمـا نقلت كتبـه إلى اللاتينية . وقد اقتبس الغرب عن ابن سينا كثيراً من التعابير الغنية الإصطلاحية في حقل الفلسفة ومن أهمها كلمة Intention ومعنـاها العـربي المعقولات أي كـل ما يـدرك بالعقـل فهو معقـول . وهناك نـوع من المعقولات المـدركـة من الشيء أولاً أو بداهة كالشجرة ، والمدركة ثانياً أو منطقياً لشيء بـالإضافـة إلى الإدراك الكوني المجرد . ومذهب ابن سينا أن المنطق موضوعه هو المعقولات الثانية التي ينتقل بها المرء من المعلوم إلى المجهول . وقـد أخذ هـذه الأفكار البيرت الكبير فأصبحت جزءً رئيسياً من فلسفة القرون الوسطىٰ الكلاسيكية .

ولقد كانت فلسفة ابن سينا وشروحه على أرسطو ذائعة في القرن الثالث عشر وما قبله حتى ليمكن أن تكون هي الشروح التي أشارت إليها أوامر مجمع باريس المقدس سنة ١٢٠٩م . وقد اعتمـد القوم على شـروحه لأرسـطو خلال القرن الثالث عشر . أما القرن الرابع عشر فقـد شاهـد ارتفاع أسهم ابن رشـد كشارح أعظم لمؤلفات أرسطو .

وقد اعتمد على فلسفـة ابن رشد تـوما الأكـويني والبرت الكبيـر وروجير بيكون الذي وصفـه بأنـه أكبر عميـد للفلسفة بعـد أرسطو . وقـد اعترف تـوما الأكويني بمؤلفاته صراحة باقتباسه عن ابن سينـا والغزالي وابن رشـد . كذلـك استعـان البـرت الكبيـر بفلسفـة ابن سينـا واقتبس منه ومن الفـارابي ومن ابن رشد . كذلك صنف جونثـالث عدة كتب من أهمهـا خلود الروح معتمـداً على ابن سينا بشكل خاص . ناحياً فيه منحىٰ الفلسفـة الإسلاميـة . هذا ولنـا كلام كثير عن ابن سينا الطبيب العظيم .

هذا وعلى الرغم من أن الغزالي ليس فيلسوفـاً إلاَّ أنه مـارس نفوذاً قـوياً وعميقاً في الغرب ولا سيما في كتابـه مقاصـد الفلاسفـة وكتابـه الآخر تهـافت الفلاسفة ، أما كتاب مقاصد الفلاسفة فقد مارس نفوذاً واسعاً كـل السعة وأثـر بعمق في بعض الفلاسفة السكولاستيكيين المدرسين وبشكـل خاص في تـوما الأكـويني الذي اقتبس منـه بحريـة زائدة واستعمـل أقوالـه وحججـه للرد علىٰ

خصومه. كذلك أثر هذا الكتاب بعمق شديد في الفلسفة اليهودية .

أما كتابه الآخر تهافت الفلاسفة فقد كان له بالغ الأثر في لول المتوفي بعد سنة ١٢٥٠ م.

ذلك أن رامون لول كان من أعداء ابن رشد ومدرسة المشائين فتصدىٰ لتلك المدرسة وجادل انصارها بكتاب اسماه خنجر الإيمان، وهو في جدله هذا يعتمد اعتماداً تاماً على حجج الغزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة المشائين ومن لف لفهم . وقد شاع أصله العربي وترجمته اللاتينية . وإذا ذهبنا إلى الأندلس وجدنا عدداً من الفلاسفة والمنصوفة كان لهم تأثير رائع في أوربا حتى وقت متأخر كل التأخر، وأول هؤلاء المفكرين السيد البطليوسي وآخرهم ابن رشد وابن عربي. ألف السيد البطليوسي رسالة مهمة كل الأهمية اسمها الحدائق (مفقود أصلها العربي وحفظت في ترجمة عبرية) وهي تحوي أفكاراً عن الكون والبعث وما شاكل مصبوغة بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة. وعلى الرغم من عدم أصالة هذه الأفكار، إلَّا أنها مارست نفوذاً قوياً بين الباحثين المسلمين واليهود على السواء حتى القرن الرابع عشر .

وإن ابن باجة أعظم بكثير من البطليوسي فقد كان موسوعياً وأعماله الفلسفية هي رسالة تدبير المتوحد ورسالة الوداع . ولم تعرف رسالة تدبير المتوحد الا عن طريق تحليل عبري لها . وقد أحس القوم بأهمية ونفوذ ابن باجة بطريقة غير مباشرة عن طريق تأثيره القوي على كل من ابن رشد والبرت الكبير .

ولقد أتىٰ ابن الطفيل بعد ابن باجة وألف عدداً من الأعمال الفلسفية أهمها قصته الفلسفية المسماة حي بن يقظان وهي قصة من أروع قصص العصور الوسطىٰ المبتكرة وتمثل ذروة الفلسفة الإشراقية . وقد لاقت نجاحاً كبيراً جداً ليس فقط بين المسلمين واليهود ، وإنما أيضاً بين اللاتين وحتى العصور الحديثة ، فمثلاً استحسنها كاتب وناقد نافذ البصيرة مثل لايبنيتز Leibniz ، وهي تحوي تطوراً رائعاً للفلسفة الإسلامية وتصنيفاً للعلوم . ويمكن أن نجد

أصول قصة روبنسون كروز في هذه القصة الشهيرة التي ترجمها إلى اللاتينية أدوار بوكوك سنة ١٦٧١ م باسم الفيلسوف الذي علم نفسه . ولقد نبغ في الأندلس عدد من الصوفية المتفلسفين من أشهرهم ابن عربي ، أبو بكر محمد بن علي محي الدين (١١٦٥ ـ ١٢٤٠ م). إن ابن عربي كان الممثل الرئيسي لمدرسة الفلسفة الإشراقية وهي فلسفة صوفية تمركزت وتأصلت في قرطبة منذ أكثر من قرن من زمن ابن عربي . وأشهر مؤلفاته الفتوحات المكّية وفصوص الحكم وترجمان الأشواق . وبالإضافة إلى القيمة التاريخية لمؤلفات ابن عربي فيما يتعلق بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة والفلسفة الأوغسطينية المتأخرة . فإنها مهمة كل الأهمية لأنها أرهاص بدانتي والكوميديا الإلّهية ، ذلك أن كتاباته حوت أفكاراً ومعلومات وتصورات هي أقرب ما يكون إلى تلك التي حوتها بعده الكوميديا الإلّهية . ومن المؤكد أن دانتي استقى تصوراته من مصادر إسلامية . وقد تأثر بكتاب الفتوحات المكية وفصوص الحكم كل من دونس سكوتوس وروجير بيكون وراملول وفلاسفة اليهود من أمثال يحيى بن لاوى وموسىٰ بن ميمون وغيرهم .

هذا وقد جرت أبحاث كثيرة لمعرفة المصدر العربي الذي استقىٰ منه دانتي معلوماته وتصوراته في الكوميديا الإلّهية . فذهب قوم إلى أن مصدره ابن عربي وكتابه الفتوحات المكية . علىٰ حين جنح آخرون إلى أن فيلسوف المعرة أبا العلاء المعري هو مصدره وذلك من رسالته رسالة الغفران ، ولكن المشكلة أن دانتي لم يكن يعرف العربية ، كما وإن كتب المعري وابن عربي لم تنقل إلى اللاتينية . وأخيراً أثبت مونيوت سندينو صلة الكوميديا الإلّهية القصوىٰ بقصة المعراج ، فقد ثبت أن قصة المعراج قد نقلت إلى اللاتينية قبل زمن دانتي وثبت من الرجوع إلى مخطوطات لاتينية في مكتبة باريس وغيرها اطلاع دانتي على قصة المعراج واقتباسه منها أوصاف الجنة والنار .

وقد ظهر في غرناطة عالم صوفي شهير اسمه ابن عباد ارتحل كثيراً وانتقل إلى المغرب وهناك مات سنة ١٣٩٠ م . ألف ابن عباد هذا كتاباً هو شرح على الصوفية . وقد أثر هذا الكتاب في التفكير الصوفي لدىٰ المسلمين

والمسحيين . ونجد أثاراً كثيرة ومقتطفات طويلة من هذا الكتاب في كتابات قديس اسباني مشهور هو سان خوان دولاكروتز San Juan de la Cruz.

ويعتبر فيلسوف قرطبة الشهير ابن رشد أشهر وأهم وأعظم ممثل للفلسفة الإسلامية المبنية على فلسفة اليونان وخصوصاً فلسفة أرسطو ، حتى سمي الشارح الأعظم و« نفس أرسطو وعقله » ويبدو أن أفكاره لم تصادف تربة صالحة في العالم الإسلامي ففقد كثير من مؤلفاته . وهو مؤلف غزير التأليف ألف في الفلسفة وفي الطب وفي الفلك . وهو طبيب من الطراز الأول ، ولكن شهرته كفيلسوف غطت تماماً على شهرته كطبيب وذاعت فلسفته في كل أوربا ، وكان اليهود هم الذين أذاعوا فلسفته وترجموا كتبه ونشروها في أوربا ، وذلك بعد أن حرفوها .

وقد انتشرت الرشدية في أوربا الغربية انتشاراً رهيباً وأصبح لها أتباعها وعشاقها كما أصبح لها أعداؤها وشانئوها، وانتشرت في كل من فرنسا وإيطاليا وانكلترا . وقد شوهت شخصية ابن رشد تشويهاً تاماً فأصبح نموذجاً للالحاد والكفر والزندقة ، بل وحتىٰ رمزاً للفحش والفساد . فقد نسبت إليه كل الأفكار الخطيرة التي ليست له ، ومنها نظرية الحقيقة المزدوجة التي هي غريبة عن ابن رشد تماماً . وقد دخلت فلسفة أرسطو إلى الغرب المسيحي مع فلسفة ابن رشد وشروحه عليها في وقت واحد . وقد صار ابن رشد هو الملهم الرمزي للمذهب المسمىٰ مذهب التفكير الحر Lebertin ، ذلك المذهب الذي لبث قروناً عديدة يمثل عند أعداء الرشدية فضيحة وعاراً وعند انصارها فضيلة ووسيلة إلى التفكير الحر والتقدم إلى الأمام .

ولكن لا يشك أحد في إيمان ابن رشد العميق ورغبته الخالصة في التوفيق بين آراء أرسطو وبين تعاليم الدين الإسلامي .

كانت تعاليم ابن رشد المتصلة بوحدة العقول قد انتشرت إلى درجة كافية في باريس حوالي سنة ١٢٥٦ م حتى دفعت البرت الكبير إلى أن يكتب كتاباً في وحدة العقل ضد الرشدية . وجرىٰ عام ١٢٦٩ م تجريح بعض آراء

ابن رشد . وكانت كتبه آنذاك معروفة حتى وجدت جماعة خاصة في باريس اعتنقت آراء ابن رشد ، ويمكن وصفها أنها نصف يهودية. ومرة أخرىٰ هوجم في باريس بعض آراء ابن رشد سنة ١٢٧٧م. وكان الفرنسيسكان يميلون ميلاً تاماً إلى ابن رشد في باريس وانكلترا . وقد ظلت الحال على ما هي عليه حتى سنة ١٣٠٨ م عندما وقف الفرنسيسكاني دونس سكوتوس موقفاً مضاداً تماماً لابن رشد . وحتى أواخر القرن الرابع عشر عندما ضعف شأن الرشدية في باريس ظلت حية بين الفرنسيسكان وفي انكلترا .

وكان الدومينيكان أقل ميلاً إلى الكتاب العرب ، ويمثل هذا الاتجاه خير تمثيل كتاب رامون لول الذي عنوانه « طعنة دامغة ضد العرب واليهود » وكتابه موجه ضد الرشدية بشكل خاص وضد معتنقي أرائه من اليهود والذين حرفوها وأذاعوها ، وحججه مستمدة كلياً من الغزالي وكتابيه مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة . ذلك أن المؤلف كان عارفاً بالعبرية . أما الدار الحقيقية للرشدية فقد كانت جامعة بولونيا وشقيقتها جامعة بادوا في شمالي ايطاليا ، ومن هذين المركزين انتشر نفوذ ابن رشد فشمل شمال شرقي إيطاليا بأكمله ، وظل حتى القرن السابع عشر . وكان ذلك بشيراً بالمذهب العقلي والإحساس المضاد بالكنيسة في أيام النهضة . وقد استمتعت جامعة بولونيا ذات مرة برضاء فريدريك الثاني فأهدىٰ إليها نسخاً من الترجمات اللاتينية التي أعدت بأمره من النسخ العربية واليونانية ، وقد نشأت الشروح العظيمة على ابن رشد في بادوا . ففي سنة ١٣٣٤ م نشر أوربانو البولوني شرحاً على ابن رشد طبع عام ١٤٩٢م؛ ولكن غيطانو التيناني Yaetao of Tiena المتوفي سنة ١٤٦٥ م والذي كان أحد رجال كنيسة بادوا هو الذي يعتبر بصفة عامة مؤسس الرشدية في بادوا . كذلك وجد في بادوا شخص آخر من أكبر انصار الرشدية هو بولس البندقي الأوغسطيني الذي كان رشدياً واضحاً في تعاليمه الخاصة بالعقل الفعال ووحدة النفوس . . وكان لهذه الطائفة الرشدية في بادوا نفوذ طاغ خلال القسم الأكبر من القرن الخامس عشر . ولقد ظلت جامعة بادوا ، من الناحية الرسمية ، تبقىٰ على الرشدية في صورة مخففة ، وبدأ شرح شروح ابن رشد

وفلسفته في بادوا بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر . وظهرت في النصف الأول من القرن التالي سلسلة من المقالات والمناظرات والتحليلات تدور حول ابن رشد . كذلك ظهرت سنة ١٥٥٣ م الطبعة الكبرىٰ لشروح ابن رشد وعليها حاشية كتبها زيمارا . وقد انحصرت بعد هذه الفترة دراسة الفلاسفة المسلمين في أوربا في كتب الطب وشروح ابن رشد .

أما خارج بادوا وبولونيا فقد احتفظ ابن رشد بموقفه باعتباره شارحاً أعظم لأرسطو حتى القرن السادس عشر . وورد في مراسيم لويس الحادي عشر سنة ١٤٧٣ م توجيه إلى المعلمين في باريس أن عليهم أن يعلموا الطلاب كتب أرسطو ويستخدموا في ذلك شروح ابن رشد والبرت الكبير وتوما الأكويني ومن إليهم من الكتاب بدلاً من ويليام الأوكامي ورجال مدرسته الآخرين(١) .

كذلك كانت جامعة باريس أحد المعاقل الرئيسية للرشدية حوالي ثلاثة قرون وهي زعيمة التفكير الحر في أوربا ، ذلك التفكير الذي كان أساسه تعاليم الرشدية حتى اضطرت البابوية إلى إصدار عدة تحريمات ضدها وضد معتنقيها . وقد أزعج إقبال طلاب الجامعات الأوربية على الفلسفة الرشدية حتى أصبحت الطراز العصري المنتشر بين جمهرة المثقفين، أقول أزعج هذا الاقبال بتدارك حتى عده ازدراء واحتقاراً لليونانية واللاتينية. وقد أثرت فلسفة ابن رشد بعمق شديد في البرت الكبير وتوما الأكويني وسبينوزا وحتىٰ كانت ، وقد وجد في القرن الرابع عشر مترجم يهودي اسمه شيم طوب ابن فلكيرا نقل عدداً من كتب ابن رشد إلى العبرية . وقد ألف عدداً من الكتب ولكنها مستقاة إلى حد كبير جداً من ابن رشد وكتبه دون أن يشير إلى ذلك . وإن كتابه المسمىٰ De'ot ha - Filusufim هو في الحقيقة ترجمة تكاد تكون كاملة لبعض شروح ابن رشد على أرسطو(٢).

(١) أوليري ، ديلاسي. المصدر المذكور آنفاً . ص ٢٩٨ .

(٢) أرنولد، توماس . المصدر المذكور آنفاً . ص ٤٢١ .

لقد طلبت فلسفة ابن رشد عاملاً حياً في الفكر الأوربي حتى ميلاد العلم التجريبي الحديث ، وكان لفلسفته في الغرب خلال فترة طويلة من الزمان أن تفخر باجتذابها اهتمام أعظم مفكري العصر . وتقديراً من دانتي للفلسفة الإسلامية وممثليها العظيمين (ابن سينا وابن رشد) واعترافاً منه بأثرهما العظيم ، فقد رفض أن يضعهما في الدرك الأسفل من النار حيث خصصه للمسلمين وعظمائهم ، وإنما لقيهما في رواق الجحيم مع عظماء اليونان والرومان وحكمائهم . وابن سينا وابن رشد هما خاتمة الفلاسفة العظماء الذين كثيراً ما ارتفعت إليهم نظرة الأجيال التالية مثل دانتي وغيره بعين الإعجاب .

الطب :

من مفاخر الحضارة الإسلامية وإنجازاتها الخالدة حقل الطب . ذلك أنه نبغ في الإسلام أطباء رفعوا هذا العلم إلى أعلا ذروة آنذاك وكانوا أساتذة حقيقيين ظلوا مصابيح يستضاء بهم وجداول يستقىٰ من مائهم حتى ما بعد القرن السابع عشر .

وقد رأينا سابقاً كيف أن قسطنطين الإفريقي من رجال القرن الحادي عشر نقل إلى اللاتينية كتابين من كتب الطب العربي هما زاد المسافر لابن الجزار والكتاب الملكي لعلي بن عباس . وقد أدخلت ترجمة هذين الكتابين إلى العالم اللاتيني روحاً جديدة واعتبر قسطنطين رائداً من رواد نهضة طبية ، على الرغم من انتحاله الكتابين إلى نفسه .

ولكن العالم الإسلامي أنجب أطباء أهم بكثير من ابن الجزار وعلي بن عباس وعلى رأسهم الرازي وابن سينا .

يعتبر الرازي من أساطين علم الطب عند المسلمين وقد ألف حوالي ١٣١ كتاباً نصفها تقريباً في الطب ، غير أن أغلب كتبه فقدت عبر العصور . ولكن سلم منها عدد من الكتب هي أهمها . وأهم هذه الكتب كتاب المنصوري وكتاب الحاوي ورسالة في الجدري والحصبة .

هذا وإن كتاب الحاوي ربما كان أضخم كتاب ألفه طبيب في تاريخ الطب وقد نقل قسم منه إلى اللاتينية وانتشر في كل أوربا وأعيد طبعه مراراً . أما تأثيره في الطب الأوربي فكان بالغ الأثر عظيمة وظل معتبراً عدة قرون متناً تعليمياً يدرس في جامعات أوربا .

كذلك نقل كتاب المنصوري إلى اللاتينية وظل متناً وكتاباً مدرسياً ذائع الصيت يدرس في عدد كبير من جامعات العالم اللاتيني .

أما مقالته في الجدري والحصبة فكانت عملاً نادراً وقد قدرت حق قدرها والدليل على ذلك أنها نقلت إلى عدد من اللغات الحية ، وقد طبعت باللغة الانكليزية ٤٠ مرة بين سنتي ١٤٨٨ و ١٨٦٦ م . وهي تشتمل على أول وصف حقيقي للجدري .

وقد حوت سجلات كلية الطب بباريس سنة ١٣٩٥ م أسماء مؤلفات طبية لأطباء عرب . وحدث أن ملك فرنسا لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨١م) .كان كثير القلق على صحته ، فأحب أن تكون كتب الرازي الطبية في خزانة قصره لأنه كان شديد الثقة بطب العرب وذا اعتقاد راسخ بتفوقهم على غيرهم في تلك الصناعة ، ولم يكن من كتب الرازي آنذاك سوى نسخة وحيدة في مكتبة كلية الطب المشار إليها ، فاستعارها الملك بشرط أن يردها ، وقد فعل .

أما ابن سينا فمشهور كطبيب شهرته كفيلسوف وقد ظهرت عبقريته الطبية من صغره ، ذلك أنه وهو فتىً يافع رطب العود عالج سلطان بلاد ما وراء النهر الساماني نوح بن منصور وكان السبب في شفائه من مرض ألم به وعجز عن علاجه نطس الأطباء في زمانه ، فكافأه السلطان بأن سمح له أن يرتاد مكتبته السلطانية التي لم يكن يسمح لأحد بدخولها ، فدخلها ابن سينا وحصل نخب فوائدها واطلع على أكثر علومها(١) .

---

(١) حمادة ، محمد ماهر . المكتبات في الإسلام . . . الطبعة الثانية . بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨ م ص ١١٠ .

ولقد تفتقت هذه العبقرية وازدهرت وأنتجت كتباً طبيـة كثيرة ظلت تشـع في العالمين الإسلامي والعربي فترة طويلة تنوف على القرون السبعة .

أشهر كتب ابن سينا الطبية القانون وهو موسوعة طبيـة شهيرة كـل الشهرة نقلت إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر وحظيت بـأهمية عـالمية . يقـول عنه وليام أوسكر « إنه كان الانجيل الطبي لأطول فترة من الزمن »[1] . ونستطيع أن نستشف أهميتـه القصـوىٰ في هـذا العصـر إذا علمنـا أن فيـراري Ferrarius (١٤٧١ م) استشهـد في كتبه بـابن سينا ٣٠٠٠ مـرة وبـالـرازي وجـالينـوس ١٠٠٠ مرة وبأبقـراط ١٤٠ مرة فقط . ولقـد ترجمت كتب ابن سينـا في الطب إلى عـدد كبير من لغـات العالم وظلت زهـاء ستة قـرون المرجـع العالمي في الطب واستخدمت كأساس للتعليم في جامعات فرنسا وإيطاليا والمانيا .

ويتضح لنا من لائحة جامعة لوفـان سنة ١٦١٧ م أنهـا اتخذت من كتب الرازي وابن سينا أساساً للدراسة ، وأن مؤلفات اليونان الطبية لم تنل الا حظوة قليلة ، ذلك إنه لم يسجل في المناهج بين مؤلفاتهم الا أقوال ابقراط المـأثورة وحكمـه ، وأوليات الـطب لجالينـوس . وظلت مؤلفات الـرازي وابن سينا في منهـاج الـدراسـة حتى ابتـداء القـرن السـابـع عشـر في كـل من جـامعتي توبنجينTubingen وفرانكفورت على الأودر . كذلك نجد أن قـانون ابن سينـا قد دخل المنهج الرسمي المقرر على المرشحين للدرجـات العلمية في الـطب في جامعة مـونبيليه . ومنـذ ذلك الـوقت اشتملت المحاضـرات على دراسات للأطباء المسلمين حتى سنة ١٥٦٧ م ، على حين أن المحاضـرات في قانـون ابن سينا ظلت تلقىٰ فيها حتى عام ١٦٠٧ م .

واعتـرافاً بفضـل هذين الـطبيبين العـظيمين على تـطور الـطب العـالمي بعامة ، والـطب الأوربي بخاصـة ، فقد زينت كليـة الطب في جـامعة بـاريس قاعتها الكبرىٰ بصورة ابن سينا وإلى جانبهـا صورة أبي بكـر الرازي . كـذلك لجـأت جامعـة برينستـون في الولايـات المتحدة الأمـريكية إلى نفس الـطريقة

---

(١) طوقان ، قدري حافظ . المصدر المذكور آنفاً. ص ٣٣٠.

لإبراز تقديرها العظيم للرازي على ما أسدىٰ من خدمات للإنسانية ، فوضعت على إحدىٰ نوافذ كنيسة الجامعة نوعاً من الزجاج الملون يمثل رسم الرازي .

كذلك لابد من ذكر طبيبين آخرين كان لهما تأثير مهم على تطور علم الطب في العالم الغربي كان أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر ، ويسمىٰ ابن زهر أكبر طبيب في الأندلس وأشهر طبيب في عصره لدىٰ المسلمين والنصارىٰ على السواء توفي بإشبيلية سنة ١١٦٢ م وولد فيها سنة ١٠٩٣م ألف ستة كتب طبية فقد منها ثلاثة وسلم منها ثلاثة. وعن طريق الترجمات اللاتينية والعبرية لهذه الكتب الثلاثة فقد ظل تأثير ابن زهر على الطب الأوربي واضحاً حتى أوائل القرن الثامن عشر .

وأشهر كتبه التيسير في المداواة والتدبير .

ألف أبو القاسم الزهراوي (١٠١٣- ١١٠٦م) كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف . وهو كتاب مهم كل الأهمية ولاسيما القسم الأخير منه حيث خصصه للجراحة . وقد نقل القسم المخصص للجراحة إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر . وقد الحق الجراح الفرنسي الشهير غي شولياك (١٣٠٠- ١٣٦٨م) النسخة اللاتينية بأحد مؤلفاته. وقد ساعدت جهود أبي القاسم الزهراوي ، أكثر من جهود أي شخص آخر ، في رفع مستوىٰ الجراحة في أوربا النصرانية ، وظل الكتاب المدرسي الأول في كليات الطب في أوربا لعدة قرون وكان المعول عليه في تعليم الجراحة في مدرسة البندقية في إيطاليا . ويقول عنه العالم الفيزيولوجي هالير Haller إن كتب أبي القاسم كانت المصدر المشترك الذي نهل منه وانكب عليه جميع الجراحين الذين ظهروا بعد القرن الرابع عشر .

وأخيراً كلمة صغيرة عن ابن النفيس وكتابه شرح تشريح القانون . ذلك أن الغرب ينسب شرف اكتشاف الدورة الدموية إلى سرفيتوس . ولكن ثبت أن الطبيب الإيطالي الباغو زار دمشق ورجع منها بعدة مخطوطات منها كتاب ابن النفيس هذا فترجمه ونشره باللاتينية سنة ١٥٤٧ م وقد وقعت نسخة من

الترجمة اللاتينية لهذا الكتاب بيد سرفيتوس قبل وفاته بست سنوات فادعىٰ أنه اكتشف الدورة الدموية الصغرىٰ على حين أن مكتشفها هو ابن النفيس وورد ذلك واضحاً في كتابه أعلاه .

وإذا انتقلنا إلى حقل طب العيون نجد عدداً من الأطباء الذين أثروا في تطور هذا العلم في أوربا اعظم تأثير .

فهناك أولاً عمار بن علي الموصلي وكتابه المسمىٰ المنتخب في علاج أمراض العين . يعتبر عمار من أكثر أطباء العيون ابتكاراً وأصالة ، على الرغم من أنه لم يكن أعظمهم أو أكثرهم تأثيراً ، واشتمل كتابه على أوصاف كثيرة وواضحة لأمراض العين وعلاجها .

أما أشهر أطباء العيون لدىٰ المسلمين وأبعدهم صيتاً فهو علي بن عيسىٰ وكتابه تذكرة الكحالين . ويدل كتابه هذا على سعة علم ودقة متناهية فهو يشرح في هذا الكتاب ١٢٠ مرضاً من أمراض العين ويعطي استعمال ١٤٣ دواءً . أما أهم ما فيه فتجديده في عمليات العيون الجراحية إذ كان أول من استعمل التخدير في عمليات العيون . وقد انتشر مؤلف على هذا انتشاراً واسعاً ونقل هو وكتاب عمار بن علي إلى اللاتينية وطبعاً معاً وظلا من أحسن الكتب المدرسية في أمراض العين حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر عند بداية عصر الأحياء في طب العيون في فرنسا . وبشكل خاص فإن تذكرة الكحالين ظلت دون نظير حتى القرن التاسع عشر، فقد كان من اللازم الانتظار حتى القرن التاسع عشر لنجد شيئاً أفضل منها حتى بين الكتب الأوربية .

وفي علم الصيدلة يعتبر ابن وافد من أشهر العلماء في هذا المجال وقد نقل كتابه المسمىٰ الأدوية المفردة إلى اللاتينية وظل مستعملاً متناً مدرسياً مع كتاب ابن ماسويه الصغير ، إذ طبع الكتابان معاً أكثر من خمسين مرة، حتى القرن التاسع عشر .

ويقول أحد الباحثين : لقد ظل البحث العلمي في فينا حتى سنة

١٥٢٠ م وفي فرانكفورت على الأودرحتى سنة ١٤٨٨ م لا يخرج عن نطاق قانون ابن سينا والجزء التاسع من الكتاب المنصوري للرازي وامتد هذا العمر إلى القرن السابع عشر حيث بقي الباحثون في فرنسا وألمانيا متمسكين بالطريقة العلمية العربية . أما علم الصيدلة العربي فقد عاش حتى مطلع القرن التاسع عشر ، فطبعت أجزاء من كتاب ابن البيطار في الأدوية المفردة بترجمتها اللاتينية سنة ١٧٥٨ م بمدينة كرمونا ودرست أبحاث ابن سيرافي وابن ماسويه الماريديني الأصغر ولخصت لإفادة مدارس الصيدلة في أوربا حتى سنة ١٨٣٠ م تقريباً .

الرياضيات والفلك والطبيعة

إن أوربا مدينة للمسلمين بالكثير في حقل الرياضيات والفلك والطبيعة ، كما هي مدينة لهم في أشياء أخرى كثيرة .

فأوربة عرفت الأرقام الحسابية عن طريق العرب وحتى الآن اسمها باللغة الانكليزية الأرقام العربية، كما عرفت الجبر والصفر وحل المعادلات وكل ذلك بفضل كتابي الخوارزمي اللذين ترجما إلى اللاتينية في وقت مبكر. وقد اتخذت كتب الخوارزمي كتاباً مدرسياً في أوربا حتى القرن السادس عشر . كذلك عرفت أوربة بفضل الخوارزمي وكتبه جداول العمليات الحسابية المعروفة باسم Alguarisms وقد ترجمت باسم اللوغاريتمات وهي أصلاً منسوبة إلى الخوارزمي وهو الذي عرف أوربة بها فأطلقت اسمه عليها . وهو الذي عرف أوربة بالحساب الهندي والنظام العشري والصفر . وقد نقلت كلمة صفر كما هي إلى اللغة اللاتينية . هذا ويعتبر نقل كتاب الخوارزمي الجبر والمقابلة إلى اللاتينية سمة مميزة في تاريخ هذا الموضوع إذ يعتبر ذلك بداية لعلم الجبر في أوربة . وقد تطورت الرياضيات العربية في أوربا على يد ليوناردو دو بيزا Leonardo de Piza.

وقد ارجع كرينسكي تقدم الرياضيات إلى المبادىء التي وضعها علماء

اليونان وإلى الأساليب المبتكرة التي عالجها بها علماء الهند ، وإلى درس المسلمين لها وإصلاح بعضها والإضافة إليها إضافات هامة دلت على نضج أفكارهم وخصب عقولهم .

هذا وإن كتاب الفرغاني في الفلك والمسمىٰ كتاب في الحركات السماوية وجوامع علم النجوم تمتع بانتشار واسع وكان معروفاً تماماً لدانتي .

كذلك ألف الرياضي العالم الخوارزمي جداول فلكية وأتىٰ من بعده المجريطي فأصلحها ، وقد نقلت إلى اللاتينية فأصبحت أساساً لجميع المؤلفات الفلكية المتأخرة في أوربا الغربية . ولقد اخترع الزرقالي اسطرلاباً بلغ حد الكمال ، ورسالته المسماة صفيحة الزرقالي كان لها تأثير لا نظير له على كافة العلم الأوربي ، وترجمت في نفس الوقت الى لغات عديدة كالعبرية واللاتينية والقشتالية والإيطالية . ولقد لعبت نفس الدور الجداول الطليطلية الفلكية التي ساهم الزرقالي في وضعها مساهمة فعالة وعمل لها شرحاً خاصاً بها . ولم يعثر على الأصل العربي لها حتى الآن ، إلاّ أن الترجمة التي عملها لها جيرار الكريموني في القرن الثاني عشر ، وهي باللغة اللاتينية موجودة في أكثر من خمس عشرة نسخة ، وهذا دليل على سعة انتشار الكتاب . وقد أفرد لها ريجيو مونتانوس Regiomontanus في القرن الخامس عشر رسالة خاصة اسمها مجموعة من المسائل في الآلة الشريفة (الصفيحة). واقتبس كوبيرنيكوس الكثير منها ومن بقية أراء الزرقالي والبتاني . ومن أعماله العلمية (أي الزرقالي) حسابه لطول البحر الأبيض المتوسط إلى ما يقرب من الواقع وهو إثنتان وأربعون درجة ، وكان قبل ذلك في حدود خمس وخمسين درجة وثلاثين دقيقة . هذا وينسب أيضاً اكتشاف الطول الحقيقي للبحر المتوسط لأبي الحسن علي بن عمر المراكشي المتوفي سنة ١٢٣٠ م الذي قدره باثنين وأربعين درجة وثلاثين دقيقة . وهذا وقد اذاع ديلايل Dolisle المتوفي سنة ١٧٢٠ م الطول الحقيقي للبحر المتوسط وهو إحدىٰ وأربعون درجة . ولذا فالعالمان المسلمان اكتشفا الطول الحقيقي ، أوما يقرب من الحقيقي ، قبل ديلايل

بأكثر من خمسة قرون . ويقول سيديوأن ديلايل وقع على مؤلف أبي الحسن المراكشي ونسب التصحيح إلى نفسه[1] .

ولقد ذاع صيت البتاني في أوربا كل الذيوع بمؤلفاته الفلكية واهتم به كل الاهتمام ريجيومونتانوس في كتابه سالف الذكر وذلك بصدد حساب المثلثات الكروي . كما أن ملاحظاته عن الكسوف قد أفاد منها فائدة كبيرة دينتورن Dentorn حتى في وقت متأخر كعام ١٧٤٩ م .

هذا ولابد من ذكر نصير الدين الطوسي ونشاطه في حقل الهندسة والفلك وعلم المثلثات .

إن كتابه التذكرة كتاب مدرسي في علم الفلك النظري وقد نال شهرة واسعة . لقد كان تلخيصاً لكتاب المجسطي مع كثير من النقد والإصلاح البناء والنظرات البناءة اتى بها عدد من العلماء من أمثال ثابت بن قرة وابن الهيثم وغيرهما . لقد نجح المؤلف في إظهار قصور وعجز النظرية البطليمية ، ولكن ما أتىٰ به كان أكثر تقصيراً وأصعب فهماً بحيث لا يمكن أن يكون مرضياً . ومع ذلك تبقىٰ الحقيقة الناصعة وهو أن كتباً من هذا الطراز مهدت الطريق إلى الأصلاح الفلكي الذي حدث في القرن السادس عشر .

وقد بحث نصير الدين بديهيات ومسلمات أقليدس . هذا وإن دراسته وبحثه للبديهية الخامسة قد أخذها ودرسها جيرولامو ساكيري (١٧٣٣ م) Girolamo Saceheri وبكلمة أخرىٰ فإن تاريخ الهندسة الإقليدسية يمكن تتبعه من خلال كتابات ساكيري إلىٰ كتابات نصير الدين الطوسي .

وإن كتابه شكل القطاع هو أهم كتاباته وهو أول كتاب مستقل في علم المثلثات والكرات ، وهو يمثل ذروة التقاليد العربية اليونانية الهندية ، ولم يؤلف في أوربا الغربية كتاب يوازيه ويناظره إلاّ بعد ثلاثة قرون إذ أن كتاب شكل القطاع صدر في حدود سنة ١٢٧٠ م على حين صدر الكتاب المناظر

---

(١) مظهر ، جلال . المصدر المذكور آنفاً . ص ٣٢٦ .

له سنة ١٥٧٣ م وهو كتاب ألفه ريجيومونتانوس وصدر بعنوان :

De triangulis onnimodis Libri quinque.

وفي حقل الضوء هناك كتابان أثرا أعظم تأثير في الفكر الأوربي . الأول كتاب المناظر لابن الهيثم والثاني رسالة في البصريات ألفها الكندي .

فرسالة الكندي وعنوانها اللاتيني Aspectibus أثرت أعظم تأثير في روجير بيكون وويتيللو وغيرهما Witelo . وهي رسالة في البصريات القياسية الهندسية والفيزيائية .

وأما كتاب ابن الهيثم كتاب المناظر واسمه اللاتيني Opticae Thesaurus Alhazeni فقد مارس نفوذاً واسعاً جداً على العلماء في الشرق والغرب على السواء وكان له أعظم الأثر علىٰ التفكير العلمي لمدة ستة قرون أو سبعة على الأقل . وقد أثر أعظم تأثير على علماء الغرب من أمثال بيكون وكبلر . وقد ألف ويتيلو سنة ١٢٧٠ م في مدينة بادوا في إيطاليا كتابه في المناظر وهو يبحث في الضوء وانتشاره وتركيب العين وخداع البصر . وقد اتفق كتاب الغرب على أنه مبني كلياً على أعمال ابن الهيثم بصورة رئيسية ، ولم يأت في أبحاثه بشيء جديد مطلقاً . كذلك اعتمد الغرب على مؤلفات المسلمين في حقل الكيمياء والصنعة . فقد ردد البرت الكبير تعاليم جابر الكيماوية وغيره من الكتاب العرب في كتابه في المعادن . ولقد بدا تأثير جابر واضحاً كل الوضوح في موسوعة فنسنت المسماة مرآة الطبيعة Speculum Naturale . كما وإن الرسائل المعزوة لأورلاندو الفيللانوفي ورامون لل كلها مشحونة بمقتبسات من جابر . كذلك حشا البرت الكبير وفنسنت كتبهما بمعلومات جيولوجية مستمدة من ابن سينا ، حتى أنهما كانا في كثير من الأحوال يعيدان كلمات ابن سينا نفسه وخصوصاً عند كلامهما عن حركات البحار والحت والاتتكال .

الأدب واللغة :

ذكرنا سابقاً تأثر الآداب الإسبانية ، في وقت مبكر ، بالآداب العربية

والقصص العربية ، وذكرنا أن قصص السندباد وكليلة ودمنة وكتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم وقصص ألف ليلة وليلة كلها نقلت إلى اللغات الأوربية وأثرت فيها وفي أدابها .

ولقد نقلت قصص ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية وكان لها ما ينوف على ثلاثين طبعة باللغتين الفرنسية والانكليزية ، ومنذ ذلك الوقت نشرت هذه القصص في مختلف اللغات الأوربية وزادت عدد طبعاتها على الأربعمائة . ولم يبزها في انتشارها الا كتاب عربي وحيد هو القرآن الكريم .

ولقد استفاد الصقليون والإيطاليون من الفن القصصي الذي أمدهم العرب به ، فجاء كتاب كليلة ودمنة لهم ، كما جاء كتاب ألف ليلة وليلة للفرنسيين فيما بعد ، معيناً من الإيحاء ومثلاً رائعاً في الاحتذاء ، وعلى غراره صنفوا الطراز الأول لمحادثات الحيوانات الفلسفية والأدبية ، وحكومة الحكومات والأمثلة الأدبية للحيوانات المتفاهمة . . . الخ .

وقد غلب على قصص دون خوان مانويل الطابع العربي ، ورد كرادوفو Carradevaux معظم الأقاصيص التي بنت عليها فرنسا فنها إلى أصل شرقي . وهناك مجموعة من الحكم والأمثال صنف فيها الاسبان على غرار العرب ، فالأقوال الذهبية مقتبس من كتاب الأمثال للمبشر بن فاتك المصري ، والأمثال الطبية مستقىً من حكم الفلاسفة لحنين بن اسحاق . ونصائح الملك سانشو ووثائقه مستخرج من واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسىٰ بن يوسف ملك تلمسان . وكانت كليلة ودمنة من مصادر لافونتين الأساسية كما اعترف هو نفسه بذلك . وفن الموشحة بما فيه من تعدد القوافي والوزن وتضمين الغزل والوصف والتشبيب ترك في اسبانيا وأوربا أثراً بالغاً ، فنظم خوان رويت نائب أسقف هيثا ديوان الحب الطاهر متأثراً بالمقامات وفلسفة ابن حزم والإفلاطونية الحديثة. فجاء أنفس ديوان في الأدب الاسباني آنذاك. وقد أثبت ريبيرا أي طرخو ، في بحثه شعر ابن قزمان إن الشعر الغنائي الذي عرف في فرنسا باسم شعر الشعراء الجوالين (التروبادور) وانتقل منها إلى المانيا نمت جذوره في تربة إسبانية واشتق من شعر الزجل العربي هناك . كما وإن

الاسم تروبادور قد يكون مشتقاً من الكلمة العربية الطرب .

ولقد انتشرت حكايات الشرق وأقاصيصه هذه أول الأمر شفهياً ، ثم بعد فترة بدأت عملية الترجمة والنقل لمؤلفات عربية عديدة موضوعها قصص وروايات ألفت لتسلية الطبقة المتعلمة ، وفضل القراء هذه الروايات الشرقية على غيرها مما كان موجوداً من روايات القرون الوسطىٰ العامية ، ولم يكن هذا التفضيل من أجل تنوعها ورونقها الأدبي وحسن صقلها فحسب ، بل لأنها كانت أولاً وآخراً تعبر عن خيال أغزر وهدف أمثل . وهكذا لعبت القصص العربية دوراً مهماً في أدب القرون الوسطىٰ وما تلته من أداب أوربية ، متنقلة من أرض إلى أخرىٰ ، كما أنها نفذت إلى كثير من المؤلفات الأصيلة آنئذٍ .

نختم بحثنا بكلمتين عن التاريخ وتأثر الأوربيين فيه.

لم يكن هذا التأثير واضحاً إلاَّ في قطر واحد هو اسبانيا . ونحن نعلم أن المسلمين استقروا في شبه الجزيرة الإيبرية فترة تزيد على القرون الثمانية وكان لهم حضارتهم ، وقد اهتموا بالتاريخ كل الاهتمام ، وعندما فكر الأسقف رودريك الطليطلي أن يكتب تاريخاً لأسبانيا استعان الشخص المكلف بهذه العملية وهو الأب خيل برت بمحمد العريف من أجل أن ينقل له تاريخ أمراء الأندلس لأحمد الرازي المشهور ، ثم نقل الترجمة الأسقف رودريك المذكور إلى الإسبانية ، ثم ضم هذا التاريخ إلى التاريخ العام لإسبانيا الذي أمر بتأليفه الملك الفونسو العالم .

كذلك ظهر أثر كتاب الرازي المذكور في كتاب التاريخ العربي الذي صنفه بدرو دو كورال.

ونجد من الضروري أن نتكلم قليلاً عن ابن خلدون وكتابته للتاريخ ، فهو آخر المؤرخين المسلمين في أواخر القرون الوسطىٰ ، وهو ليس فقط أعظم مؤرخي العصور الوسطىٰ فحسب ، ولكنه واحد من أعظم أوائل فلاسفة التاريخ وسابق على ميكيافيللي وبودان Bodin وفيكو وكونت وكورنو Cornot . وهو يقف بين معاصريه المسلمين واللاتين شامخاً كبرج مرتفع بين أكواخ .

الفصل السادس

المرحلة الثانية من مراحل الاستشراق

الفصل السادس

المرحلة الثانية من مراحل الاستشراق

نعود فنؤكد هنا أن الاستشراق هو ، في جوهره وأساسه ، حركة تهدف للتعرف على الشرق وبشكل خاص علىٰ علومه ومعارفه، ونحن ننظر إليه من هذه الزاوية ونبحثه من هذه الرؤية .

سبق أن ذكرنا أن الاستشراق مر في مرحلتين أساسيتين : المرحلة الأولىٰ مرحلة كان الغرب فيه واعياً لقصوره الحضاري أمام المسلمين ، وشاعراً بتفوق المسلمين عليه ، فعمل جهده على الاستفادة من معطيات الإسلام الحضارية لبناء حضارته الذاتية والوصول إلى مرحلة يستطيع بها أن يواجه الإسلام، ومن ثم يتغلب عليه .

وقد تم ذلك بعد عجز أوربة عن قهر الإسلام في عقر داره ، وهي ما يسمىٰ بالحروب الصليبية . فهذه الحروب التي عجزت عن أن تحقق الهدف الأساسي منها وهي قهر الإسلام والقضاء عليه وإزالة أهله وإعادة منطقته إلى النصرانية كما كانت سابقاً ، قد علمت أوربا درسين أساسيين وجها سياستها تجاه الإسلام . الأول أن الإسلام أرقىٰ حضارياً من الغرب ، فإذا أراد الغرب أن يتغلب على الشرق فعليه أن يستفيد من حضارته (أي حضارة الإسلام) ليبني حضارته الذاتية ، ومن بعد ذلك يسعىٰ للتفوق عليه والقضاء عليه .

كذلك علمته هذه الحروب صعوبة التغلب العسكري على الإسلام ، وتكاليف المواجهة المباشرة فغير الغرب خططه وعدلها بحيث تحقق له ما

يصبو إليه بكلفة أقل . ولم يتخل الغرب ، لحظة واحدة ، عن عداته للإسلام والمسلمين منذ أن احتك بهم حتى زماننا هذا ، وإنما حدث تغيير في أسلوب التعامل وحدث تغير في لهجة التخاطب وتم تعديل في أسلوب إظهار العواطف ، ولكن الروح بقيت روحاً حاقدة صليبية همها الأول والآخر القضاء على الإسلام كدين وكحضارة .

وليس مصادفة أن يتعاصر النقل الواعي للعلم الإسلامي والمعارف العربية إلى اللغة اللاتينية خلال القرن الثاني عشر فما بعده مع ظهور ووضوح عجز الحروب الصليبية عن تحقيق غاياتها التي شنت من أجلها.

هذا وقد تحالف الاستشراق في الطور الثاني من عهده مع اتجاهات أخرىٰ تهدف لتحقيق ما تصبو إليه أوربا كلها وأعني بذلك التبشير والأستعمار والاستثمار الاقتصادي .

هذا وإن المرحلة الثانية من الاستشراق تبدأ مع بداية عصر النهضة في أوربا مع مطالع القرن السادس عشر . ذلك أن أوربا أدركت أن المسلمين لم يعودوا قوة يحسب حسابها ، لا في الناحية السياسية ولا في الناحية الحضارية، بل بالعكس أصبحت دار الإسلام مجزأة ومقسمة ونهباً لكل طامع ، كما لم يعد عند المسلمين ما يعطونه للآخرين بعد أن دمرت مؤسساتهم الحضارية وبعد أن ران الجهل والخمول والتعصب على عقولهم وقلوبهم ، فقررت أوربا أنه قد آن الأوان لتنفيذ مخططها الرامي إلى السيطرة علىٰ دار الإسلام ومن ثم بدأت المرحلة الثانية من مراحل الاستشراق .

ومع مضىٰ الزمن ازدادت الهجمة الإستعمارية شراسة ، وبالمقابل ازداد تحالف الاستعمار والتبشير مع الاستشراق وثاقة ودخل التبشير والاستشراق في خدمة المصالح الاقتصادية والاستعمارية .

وقد خيل لبعض الباحثين أن الدولة العثمانية التي صعدت إلى الصدارة العالمية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر قادرة على الوقوف في وجه الغرب المتنامي القوة ، عسكرياً وحضارياً ، ولكن ذلك لم يحدث . فعلىٰ

الرغم من أن العثمانين احتلوا البلقان بكامله وأجزاء من روسيا ، وحاصروا فينا مرتين ، الا أنهم لم يكونوا قادرين على الاستمرار في ذلك ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن عندهم فكر واعي ومفهوم محدد للصراع الدائر بينهم وبين أوربا كلها . كما وأن تكوين الأمبراطورية العثمانية العرقي والاجتماعي والعسكري لم يكن عنده القوة للاستمرار في الوقوف بوجه أوربة سياسياً وعسكرياً وفكرياً .

ومع تقدم الزمن اتضح ضعف الإسلام المزري أمام الغرب ، واتضحت قوة الغرب المتنامية بما لاشك فيه ، كما اتضحت أطماع الغرب في ثروات الشرق وكنوزه وخيراته واستبدت بالقوم شهوة جامحة في أن يصفوا حسابهم مع الشرق والإسلام بشكل لا يستطيع الإسلام بعدها أن يرفع رأسه أو أن يسترد أنفاسه ، وبشكل يجعل علاقة الشرق كله بأوربه علاقة العبد بالسيد والأجير بالمستأجر .

لذلك نؤكد مع غيرنا من الباحثين أن الاستشراق في طوره الثاني ولد في أحضان التبشير لغايات دينية وبإيعاز وتوجيه من البابوية نفسها . وقد شعر بعض حكماء الغرب وعلمائه بعقم الاصطدام المسلح المباشر مع الإسلام فدعوا إلى استبدال الجهد العسكري ضده بجهد تبشيري يقوم على البحث في العقيدة الإسلامية وتعلم اللغات الشرقية وبخاصة العربية . ذلك ما ارتآه ودعا عليه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر كل من روجير بيكون ورامون لول[١] .

نشطت حركة الاستشراق قبيل الغزو الاستعماري وسايرته حيناً من الدهر ، تقدم إليه ما هدىٰ إليه تراث الشرق من فهم لعقليته ومزاجه ، وتعد له الرسل والدعاة الذين انبثوا في أنحائه واختلطوا بأهلة تجاراً ومبشرين ودعاة وجنود استعمار . وإن أول جمعية أسست لخدمة الاستشراق والانتفاع به وبجهد رجاله سياسياً قامت بفرنسا سنة ١٧٨٧ م تحت إشراف وزارة

---

(١) سيمايلوفيتش ، أحمد . المصدر المذكور آنفاً . ص ٨٩.

المستعمرات ولم يكن حرص ملوك فرنسا بأقل من حرص أحبار الكنيسة على إيفاد بعثات إلى الأقطار العربية لجلب ذخائر تراثها[1].

ولقد صرح بهدف التبشير الحقيقي من الاستشراق في هذه المرحلة ، مع هدف اقتصادي تجاري ، عدد من مستشرقي بريطانيا في العصر الحاضر . فقد ذكر آربوي أثناء حديثه عن الاستشراق البريطاني ذلك بوضوح وصراحة تامة فقال : فبعد زمن الاستكشافات الكبرىٰ سرت في الاستشراق البريطاني روح قوته . فطلب التجارة الرابحة كان له أثره الطبيعي على ما للأمة من ميول ومجهودات فكرية . فبينما كان التاجر يسعىٰ في تحصيل النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية ، إذا بالمبشر الأنجيلي يسبقه تارة أو يتبعه حثيثاً تارة أخرىٰ ، وقد امتلأ حماسة شريفة أن يحقق أمر معلمه المسيح بالذهاب إلى كل العالم والتبشير بالإنجيل إلى كل مخلوق . وقد وجد أن مما يساعده على تحقيق ما يرمي إليه من الخلاص الروحي أن يتعلم ما للجماعة التي سيلقاها من لغة وطرق تفكير . وقد ازداد هذا التعلم لزوماً حين وجد الداعي المسيحي نفسه وجهاً لوجه أمام دين تبشيري آخر هو الإسلام ، وأمام دعاة قاموا بدعوتهم مستندين إلى ثقافة ناضجة وفلسفة لاهوتية دقيقة . وهكذا يكون هناك دلالة رمزية في أنه بينما كان مؤسس أول كرسي للعربية في كمبردج سنة ١٦٣٢ م رجلاً علمانياً هو السير توماس آدامز، كان مؤسس الكرسي المنافس له في اكسفورد سنة ١٦٣٦ م هو رئيس الأساقفة لود نفسه[2].

وأن قول أ . ل . طيباوي أوضح في الدلالة على التبشير ومحاولة تنصير الشعوب الإسلامية التي تعيش في الظلام حسب كلام طيباوي نفسه ، وذلك في قوله « نحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد وإبراز قدر كبير من المعرفة إلى النور بدلاً من اختبائه في نطاق هذه

---

(١) بنت الشاطىء . تراثنا بين ماضٍ وحاضر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ م . ص ٥٢ .

(٢) اربري ، أ.ج . المستشرقون البريطانيون . تعريب محمد الدسوقي النويهي . لندن ، كولينز ، ١٩٤٦ م . ص ١٤ .

اللغة التي نسعىٰ إلى تعليمها، ولكنا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية وإلى تمجيد الله بتوسيع الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات[1] .

هذا ولقد ظل الاستشراق يحاول تحقيق غاياته دون أن يكون له أطر ثقافية وفلسفة وضعية تحكمه وتوجهه . والحادثة المهمة التي أدت إلى إيجاد ذلك والتي كانت السبب في فتح عين الغرب على العالم الإسلامي ، وبشكل خاص على الشرق الأدنىٰ ومصر وتركيز نشاطه الاستعماري والاستشراقي هي الغزو الفرنسي بقيادة نابوليون بونابارت لمصر سنة ١٧٩٨ م . لقد كان هذا الغزو، من كثير من وجوهه، نوعاً من غزو علمي تحكم به ثقافة أخرىٰ ، هي الثقافة الأقوىٰ . ذلك أنه مع غزو نابليون إلى مصر وضعت القضايا في حالة حركة بين الشرق والغرب بشكل لا يزال هو النموذج الغالب ويحكم جميع منظوراتنا السياسية والثقافية المعاصرة[1]. هذا وإن الحملة الفرنسية ، مع انجازها العلمي الكبير الجامع « وصف مصر » قدمت مفهوماً وقاعدة وأطراً محددة مركزة موضحة للاستشراق ؛ ذلك أنه كان ينظر إلى مصر بشكل خاص وبقية الدول الإسلامية بشكل عام على أنها المختبر ومسرح المعرفة الأوربية الناجعة عن الشرق مع مثل هذه التجارب التي كانت تنظر إلى الشرق زمن نابليون على أنه كتلة من المعارف المتداولة في الغرب والتي اعتبرت قديمة آنذاك ، فقد أعيدت صياغتها بشكل حديث لتلائم الوضع الذي وجد فيه الاستشراق في القرنين التاسع عشر والعشرين . ذلك أن هذين القرنين ، وبشكل خاص القرن التاسع عشر شاهد التوسع الاستعماري المدهش للقوىٰ الأوربية في أرجاء العالم . فمن سنة ١٨١٥ م إلى سنة ١٩١٤ م امتد نفوذ أوربا الاستعماري ليشمل ٨٥ ٪ من سطح الكرة الأرضية بعد أن كان قبل ذلك حوالي ٣٥٪[2]. والأمر الجدير بالملاحظة الدقيقة هو أن

---

(١) سيمايلوفيتش ، أحمد المصدر المذكور آنفاً . ص٩٣.

(1) Said, Edward. op. cit. p. 42.

عصر الاستشراق الذهبي ، عصر تأسيس الجمعيات وعصر تأسيس معاهد الاستشراق وعصر تحديد محتواه ومفاهيمه وفلسفته تطابق تطابقاً مدهشاً مع عصر التوسع الأوربي الاستعماري الكبير. لقد كانت انكلترا وفرنسا أكبر امبراطوريتين استعماريتين ، وكانتا شريكتين وحليفتين في بعض الأشياء ، وكانتا متنافستين في أشياء أخرىٰ تنافساً عدوانياً رهيباً . ولقد اصطدم الفرنسيون والانكليز وواجه بعضهم بعضاً بشكل خاص في منطقة الشرق الأدنىٰ وهي الأراضي التي يسكنها العرب حيث يحدد الإسلام مواصفات المنطقة الدينية والعرقية والثقافية .

لقد أصبحت القوتان شريكتين في المنطقة . وقد شارك الفرنسيون والانكليز السكان ليس فقط في الأرض والحكم والفوائد المادية ، وإنما شاركوهم أيضاً بذلك النوع من القوة العقلية المنبثقة عن الاستشراق . لقد كان الاستشراق، في أحد وجوهه ، عبارة عن مكتبة أو مجموعة سجلات للمعلومات امتلكها القوم بشكل جماعي . وكانت تلك المجموعة من السجلات تحوي أفكاراً أسرية ومجموعة من القيم ثبت للمستشرقين أنها ناجعة. هذه الأفكار تشرح سلوك الشرقيين ، وزودت الشرقيين بعقلية خاصة ونفسية خاصة وجو خاص ، وأكثر أهمية من كل ما ذكر ، سمحت هذه الأفكار للأوربيين أن يروا الشرقيين وأن يتعاملوا معهم على أنهم ظاهرات معينة تمتلك صفات نظامية . ولكن ، كما هو الحال مع أية مجموعة من الأفكار الثابتة ، فقد أثرت أفكار وعقائد المستشرقين ، لسوء الحظ ، في الشعوب التي دعوها شرقية ، كما أثرت في الشعوب الغربية .

لقد أخذت الأفكار الاستشراقية عدداً من الأشكال المختلفة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .

فأولاً كان في أوربا كمية كبرىٰ من الكتابات عن الشرق تووِرثت من الماضي الأوربي ، كذلك حدثت نهضة استشراقية مع بداية القرن التاسع عشر فما بعد . إن هذه النهضة التي جعلت عدداً كبيراً من العلماء والمفكرين

والمتفننين يمتلكون معرفة أغزر وأكثر حدة عن الشرق كانت، من جهة، بسبب النصوص الشرقية التي اكتشفت حديثاً وحققت ونشرت وترجمت من مختلف اللغات الشرقية كالصينية والسنسكريتية والعربية إلى اللغات الأوربية ، وكانت ، من جهة أخرى، بسبب الصلات الجديدة التي نشأت بين الشرق والغرب بسبب الاستعمار والتجارة والعلاقات الثقافية والبعثات التبشيرية وما ماثل .

لقد خضع الاستشراق للاستعمار ومفاهيمه وللوضعية وللطوباوية وللجدلية التاريخية وللداروينية والعرقية والفرودوية والماركسية. ولكن الاستشراق ، مثل كثير من العلوم الاجتماعية والطبيعية ، له « جذوره وصيغه » في البحث ، وله جمعياته ومؤسساته العلمية . ولقد ارتفعت كثيراً خلال القرن التاسع عشر سمعة وشهرة ومكانة الاستشراق ، كما ارتفعت سمعة ونفوذ معاهده ومؤسساته مثل الجمعية الآسيوية والجمعية الملكية الآسيوية والجمعية الأمريكية الشرقية . وقد رافق هذا النمو في الجمعيات العلمية نمو متزايد في طول أوربا وعرضها بعدد كراسي الاستشراق في الدراسات الشرقية ، وكنتيجة لذلك كان هناك توسع وزيادة في الوسائل المتاحة لنشر الاستشراق ، فقد تضاعف عدد المجلات الاستشراقية وتضاعفت كمية المعلومات التي تنشر فيها ، كما تضاعف عدد المتخصصين .

ومع هذا ، ومع كل هذا النمو في الكم للمعاهد والمؤسسات والجمعيات العلمية والمجلات المتخصصة ، لم يمارس أي منها دراسة حرة ولم تزدهر ازدهاراً حراً بعيداً عن الارتباطات المعروفة الا فيما ندر بحيث أنه من الضآلة لا يذكر . فقد فرض الاستشراق حدوداً على التفكير عن الإسلام والشرق . ذلك أن الاستشراق . أصبح في القرنين التاسع عشر والعشرين ، كلياً رؤية سياسية للحقائق يساعد تركيبها على زيادة الفروق بين المألوف (أوربا ، الغرب ، نحن) وبين اللا مألوف (الشرق ، هم)[1].

---

(1) Ibid. p. 43.

خلقت هذه الرؤية ، ثم خدمت من بعد ذلك، العالمين اللذين وجدا آنذاك . فقد عاش الشرقيون في عالمهم ، و« نحن » عشنا في عالمنا . ولقد كان وجود نوع من الحرية ، وشيء من المبادأة ، كحرية الاتصال أمتيازاً للغربي بشكل دائم ، لأنه كان هو الأقوىٰ عسكرياً والأقوىٰ ثقافة . فقد كان قادراً على النفوذ ، على الصراع . كان قادراً على أعطاء شكل ومعنىٰ للغموض الآسيوي الكبير ، كما دعاه ذات مرة رئيس من رؤساء بريطانيا المشهورين والذين وجدوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . هذا وأن التحليل النهائي والنظرة الموضوعية تقودنا إلى القول أن الإدراك الاستشراقي لا إنساني وموغل في لا إنسانيته هذه باستمرار[1].

كذلك يستطيع الاستشراق أن يبرز ويؤكد قوة الغرب وضعف الشرق والمسلمين . مثل هذه القوة ومثل هذا الضعف ، بل بالأحرىٰ مثل هذا التأكيد ومثل هذا الإبراز شيء أساسي وجوهري بالنسبة للاستشراق ، كما هو أساسي لكل رأي ونظرة تقسم العالم إلى أقسام عامة كبيرة ، كائنات تعيش مع بعضها بعضاً في حالة من التوتر الناتجة من اعتقاد الاستشراق وتوكيده إن هذا ناجم من اختلاف جذري بين الطرفين : الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا .

إن الاستشراق، منذ أقدم أيام تاريخه الحديث حتى الوقت الحاضر ، باعتباره شكلاً من أشكال الفكر الباحثة مع الأجانب ، قد أبدىٰ بشكل منهجي ، اتجاهاً مؤسفاً بشكل مستمر لإقامة معرفته عن الشرق على قاعدة من التمييز العنيف القاسي بين « الشرق » و« الغرب » . . . وبسبب من أن هذا الاتجاه واقعي وصحيح ومتمركز في نظرية الاستشراق الأساسية ونظرته إلى الشرق والمسلمين ، ومتمركز أيضاً في ممارساته وقيمه الموجودة في الغرب ، فإن الإحساس بتفوق الغرب على الشرق وهيمنته عليه أخذ كشيء مسلم به وعلى أنه حقيقة علمية.

أصبح الاستشراق حوالي منتصف القرن التاسع عشر أشبه ما يكون ببيت

---

(1) Ibid. p. 44.

مليء بالكنوز الفكرية والعلمية إلى أقصىٰ درجات التخيل. أصبحت باريس خلال القرن التاسع عشر عاصمة عالم الإستشراق . كان موهل Mohl أميناً لسر الجمعية الآسيوية في باريس من عام ١٨٤٠ م إلىٰ عام ١٨٦٧ م ، وكان أغلب نشاطاته متمركزة بالنشر . ولكن ما نشر في حقل الاستشراق رهيب حقاً ، منها العربي ، وعدد كبير لا يحصىٰ ولا يعد من اللهجات الهندية ، والعبري والفهلوي ، والآشوري والبابلي والمنغولي والصيني . . . ولا يمكت إحصاء ما تم في هذه الحقول مما يهم المستشرقين .

إضافة إلى ذلك فإن الدراسات الإستشراقية قد غطت جميع حقول المعرفة بدءاً من نشر النصوص وترجمتها ، وانتقالاً إلى الدراسات المتعلقة بالنقود والدراسات العرقية والأثرية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والأدبية والجغرافية والثقافية . . . في كل حضارة معروفة من الحضارات الآسيوية وشمالي افريقية ، قديمة كانت أم حديثة .

يجب أن نؤكد هنا أن فهم أوربا لفرع واحد من الثّقافة الآسيوية وهو الحضارة الإسلامية كان فهماً جاهلاً ، إن صح التعبير ، ومعقداً ومتحيزاً .

لقد صعد الاستشراق ، مرافقاً للاستعمار ، خلال القرن التاسع عشر ، إلى ذروة مجده وقمة عظمته ولقد أنتج بحاثه من الطراز الأول ، فقد زاد من عدد اللغات التي كانت تدرس في الغرب ومن عدد المخطوطات التي حققت ونشرت وترجمت وعُلق عليها ، وفي كثير من الحالات زود الشرق نفسه بعدد كبير من الدارسين الأوربيين المتحمسين المهتمين بموضوعات دقيقة كعلم النقود الفينيقية أو علم نحو وصرف اللغة السنسكريتية أو الشعر العربي الجاهلي . ومع هذا ، وهنا يجب أن نكون واضحين كل الوضوح ، فقد تجاهل الاستشراق الشرق كل التجاهل وألغاه . ذلك أن الغالبية الساحقة من المستشرقين يطرقون الموضوعات الشرقية ، وبشكل خاص الموضوعات العربية والإسلامية ، وعندهم رأي مسبق عن الموضوع يجمعون الحقائق الصغيرة ليستخرجوا منها تعميمات كبيرة . فطريقة من طرق التفكير عن الشرق ، كان هذا التفكير ينتقل بشكل دقيق من التفاصيل الصغيرة كما ذكرنا

ليصل إلى التعميمات التي تتجاوز كل التجاوز تلك التفاصيل الدقيقة. فمثلاً ملاحظة عن شاعر عربي من القرن العاشر تتضاعف في نفسها مرات كثيرة لتتجسد في سياسة استعمارية تتبع نحو النفسية العربية في مصر أو العراق أو الجزيرة العربية . وبشكل مشابه فإن آية في القرآن الكريم يمكن أن تؤخذ على أنها أفضل برهان على الفجور الجنسي الإسلامي العميق الجذور الذي لا يمكن استئصاله . وحديث شريف كقوله صلّى الله عليه وسلم ، حبب إلى من دنياكم ثلاث : المرأة والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة، يفسر ، وقد فسره بعض المستشرقين على أن الرسول الكريم كان رجلاً شهوانياً وهمه الأول والأخير هو الشهوة الجنسية، وأنه أتخذ الطيب والصلاة كمنشط على ذلك (واستغفر الله تعالى كثيراً من قولي هذا).

لقد أكد الاستشراق عدم إمكانية تغيير الشرق واختلافه كلياً عن الغرب ، ولم يستطع الاستشراق حتى أوائل القرن العشرين أن يعدل نفسه .

إن اسم دوساسي الذي هو أول رئيس للجمعية الآسيوية الفرنسية التي تأسست سنة ١٨٢٢ م يرتبط أرتباطاً وثيقاً مع بداية عصر الاستشراق الحديث في القرن التاسع عشر . هذا وإن أعماله وجهوده وضعت أمام اختصاص الاستشراق مجموعة منهجية من النصوص ، وتطبيقاً تربوياً تعليمياً وتقاليد بحثية ورباطاً مهماً بين البحث الاستشراقي والسياسة العامة . فقد وجد في أعمال دوساسي لأول مرة في أوربا منذ مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ م ، مبدأ منهجي يعتمد على أسلوب واع لنفسه وهو أسلوب عمل متعاصر مع علم الاستشراق . ومع ذلك لأبد من القول ، إنه بالرغم من أن هدف الاستشراق العقدي الأصلي من دراسته للإسلام هو معرفته ومن ثم مواجهته واستغلاله وتحطيمه ، أقول إنه بالرغم من ذلك ، فقد ظهرت دراسات حديثة تحاول معرفة الإسلام معرفة أجود تكاد تكون منزهة عن الأغراض إلى حد كبير .

ولما كان العرب يشكلون نسبة مهمة من المسلمين ، ولما كان القرآن عربياً والرسول عربياً ، ولما كان العربي أقدر على فهم الإسلام من غيره ، فقد وجه الاستشراق ، بتوجيه من الاستعمار ،جهده إلى أضعاف العقيدة

الإسلامية في نفوس العرب ، وإلى جعل العرب ضعفاء والحيلولة دون قيام دولة عربية موحدة لها عقيدة تحكمها وتسيرها وهي الإسلام . يظهر ذلك بوضوح في آراء وكتابات المؤرخ الفرنسي الشهير [غيزو] الذي كان رئيساً لوزراء فرنسا في الخمسينات من القرن الماضي حيث يقول : « إن الغرب كان حريصاً على أن يفتت أجزاء الأمبراطورية العثمانية ، وفي الوقت نفسه يستبقيها في حالة احتضار دائم دون أن يجهز عليها لا لغرض إلا لتبقي سيطرتها على البلاد العربية عقبة أمام تحرر تلك البلاد وحائلاً دون نهضتها ، ومن أجل هذه الغاية درجت سياسة الغرب على الاحتفاظ بتركيا ضعيفة »[1].

وإن نظرة عجلى على أحوال البلاد العربية في الوقت الحاضر تبين مقدار نجاح هذه السياسة التي رسمها الاستعمار والاستشراق وطبقاها في البلاد العربية منذ نيف ومائة وثلاثين سنة. هذا وتنقسم جهود المستشرقين في دراسة الإسلام والحضارة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم تحقيق ونشر المخطوطات .

٢ ـ قسم النقل : نقل التراث العربي إلى اللغات الأوربية والتعليق عليها ودراستها .

٣ ـ التأليف الأصيل في كل ما يتعلق بالإسلام كدين وكحضارة.وكل ما يتعلق بالمسلمين كمجتمع له تاريخه وله ماضيه وحاضره وتكوينه واقتصاده . . .

أما ما يتعلق بالقسم الأول فيجب الاعتراف بجهود المستشرقين العلمية في هذا المجال . فهم الذين جمعوا المخطوطات العلمية من كل مكان في الوطن العربي ، في وقت كان الجهل مسيطراً على النفوس والعقول . ولولا جهودهم في هذا السبيل لتلف قسم كبير من هذه المخطوطات لا يمكن أن يعوض . فقد طبقوا أساليب علمية مبتكرة في تحقيق النصوص ونشرها وعلقوا عليها وذيلوها بالفهارس المختلفة للأسماء والموضوعات والأمكنة . . . ثم

(١) سيمايلوفيتش ، أحمد المصدر المذكور آنفاً. ص ١١٤ .

كتبوا البحوث القيّمة في تحقيق الألفاظ وتحرير الأصول وتصحيح الأخطاء وكشف المجهول على الأسلوب العلمي الصحيح والمنهاج المنطقي الحديث . وقد تمكن المستشرقون أن يحققوا وأن ينشروا ، وباللغة العربية ، أمهات آثار التراث العربي الإسلامي ومخطوطاته ، وقد طبعوها طبعاً متقناً وضبطوها ضبطاً تاماً ووضعوها تحت تصرف الباحثين . فمهدوا بذلك لإحياء التراث العربي الإسلامي ودراسته دراسة جديدة جدية على أساس علمي متين .

هذه الناحية يجب أن تقدر وأن توفي حقها . فالمستشرقون هم أول من نشر تراثنا وهم أول من قالوا لنا ، بلسان الحال ، يا عرب يا مسلمين أنتم لكم تراث أنتم لكم حضارة وهذه هي ثمارها .

أما البند الثاني وهو نقل عدد من أمهات كتب التراث إلى لغاتهم فهذا أمر مختلف . ذلك أن على الناقل من لغة إلى لغة أن يكون مسيطراً سيطرة تامة على اللغتين ، وهيهات لشخص غير عربي أن يتفهم أسرار العربية وأسرار لغتها وفصاحتها ، ولذلك جاءت هذه الترجمات ، في غالبيتها العظمىٰ غير دقيقة ، هذا إلى جانب أن الترجمة تعطي مجالاً للتحريف في النص الأصلي ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بنص إسلامي مهم ، فهنا نجد أن كثيراً من النقلة ، يخضعون ، شعورياً أو لا شعورياً ، لشعورهم العدواني ضد الإسلام ، فيأتون بتحريفات تكشف عداءهم المستكن للإسلام والمسلمين .

والبند الثالث ، وهو المهم . يشمل الأبحاث التي يجريها المستشرقون على الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية . وهنا نجد الغالبية العظمىٰ للمستشرقين تخضع للأهواء الاستعمارية والأهواء الدينية ويبرز التعصب واضحاً كل الوضوح في هذا المجال .

ونحن نعلم أن المستشرقين منهم من ينتمي إلى فئة المبشرين ومنهم من ينتمي إلى فئة موظفي المستعمرات في حكوماتهم ، وفئة قليلة منهم كل القلة لا تنتمي إلى إحدىٰ الطائفتين .

أما الفئة التي تنتمي إلى حقل التبشير ، وهم كثر ، فقد سيطرت عليهم روح تبشيرية حاقدة ، وجلهم أعداء للإسلام وهمهم تجريحه . فالمستشرق البلجيكي المعروف باسم الأب لامانس وعاش في سورية ولبنان أثناء الانتداب الفرنسي خلص من دراساته للرسول عليه السلام بفكرة أنه عليه السلام « الحالم الأكبر » أي يحلم أنه أوحىٰ إليه ولم يوح إليه بشيء[1] كذلك لا يخجل القسيس والراهب ديفيد مارغوليوت من أن يسمي الرسول الكريم باسم إن دل على شيء فإنما يدل على حقارته هو وعلىٰ أنه إنسان كريه مجرد من الإنسانية والأدب ، ذلك إنه ينعته أنه « رئيس اللصوص » وذلك في مقالة له في دائرة معارف الدين والأخلاق[2] .

وأما المستشرقون الذين هم موظفون في وزارات المستعمرات في بلادهم فهم كثر أيضاً منهم وليام ميور الذي كان موظفاً في إدارة الهند في وزارة المستعمرات البريطانية ، ومنهم لويس ماسينيون الفرنسي الذي كان موظفاً في وزارة المستعمرات الفرنسية . وقد ألف ميور كتاباً عن رسول الله حشاه بالدس الرخيص والكذب والافتراء ، هذا مع دعوىٰ الحياد والموضوعية والدراسة الواعية القائمة على أدق المصادر وأوثقها . ومع ذلك لا يتورع عن أن يأتي بألفاظ أبعد ما تكون عن العلم والحياد والموضوعية ، فهو يذكر أن محمداً والإسلام هما أشد وأصلب أعداء الحضارة والحرية والحقيقية رآها العالم وعرفها[3] .

هل هذا كلام يقوله عالم أو إنسان عنده ذرة من التفكير السليم أو التجرد أو الموضوعية؟

---

(١) حماده، محمد ماهر ، مراجع مختارة عن حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلم . الرياض ، دار العلوم ، ١٩٨٢ م . ص ١٤٠ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٤٢ .

(٣) نفس المصدر . ص ١٣٣ .

ولقد سلك المستشرقون ، المتسترون تحت ستار العلم والبحث والتعاون بين الشعـوب ، والـذين هم في أعمـاقهم حقـدة خـدم لـلاستعمـار بشتى أنـواعه وللتبشير بأبشـع صوره ، كـل مسلك ظنـوه محققـاً لآمـالهم ومـوصلاً لأهدافهم ، فقد استـطاعوا أن يتسللوا إلى المجمـع اللغوي في مصـر ومجمع اللغة العربيـة في دمشق والمجمع العلمي في بغـداد . كما تـدخلوا بتأييـد من الاستعمار ـ في مجال التربية والتعليم فحاولوا غرس مبادىء التربية الغـربية في نفوس المسلمين ونجحوا في هذا السبيل إلى حد كبير لسوء الحظ .

فالمستشرق الانكليزي الكبير سيـر الكسندر جيب . وهـو أكبر مستشـرق انكليـزي أصبـح عضـواً في مجمـع اللغـة العـربيـة في مصـر ، وكـان استـاذاً للدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفارد الأميريكية ، وله كتابات كثيـرة فيهـا عمق وخطورة وتبـدو للباحث العـادي بريئـة وهي سم زعـاف وهـذا سـر خطورتها .

والمستشرق الفرنسي الكبير لوي ماسينيون أكبر مستشرق فرنسي معاصـر أو شبه معاصر ومستشار وزارة المستعمرات الترنسية في شؤون شمالي أفـريقيا والراعي الروحي لجمعيات التبشير الفرنسية في مصـر ، كان عضـواً في مجمع اللغة العربيـة في القاهـرة ومجمع اللغـة العربيـة في دمشق وهو متخصص في الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي .

أما مارغوليوت فهو قسيس انكليزي متعصب ضد الإسلام ، وقد مر ذكره سابقاً ، وكان عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمـع اللغة العـربية في دمشق .

ويعتبر نيكولسون من المستشرقين البريطانيين المتخصصين في التصوف الإسلامي ، وهو معتبـر من زعماء المستشـرقين البريـطانيين . كان عضـواً في مجمع اللغة العـربية في مصـر . وهو من المنكـرين على الإسلام روحـانيته ،

ويصف الإسلام بالمادية وعدم السمو الإنساني(١) أما الصورة الراهنة للاستشراق والمستشرقين فقد تغيرت قليلاً ، وإن لم تتغير الدوافع المحركة له ولا الروح العدائية . ذلك أنهم عدلوا عن الهجوم المباشر والتجريح الصريح ، ولجأوا إلى التلميح بدلاً من التصريح ، وإلى التشكيك في القيم الإسلامية الخالدة والتي هي أساس الإسلام كعقيدة وكدين ، وإلى إيجاد نفر من الأتباع والتلاميذ المسلمين أو الذين نبغوا في بلاد المسلمين يتتلمذون على أيديهم ثم يعودون إلى بلادهم ينفثون سمومهم بين مواطنيهم ويكونون أدوات طيعة للاستعمار العالمي والصهيونية العالمية . هذا وإن الغزو الفكري الذي شنته أوربا علينا ولا تزال تشنه أساسه المبشرون والمستشرقون الذين أدركوا صعوبة التغلب على عقائد المسلمين المتمثلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، فلجأوا إلى هذه الطريقة لتحطيم عقائد المسلمين وزعزعة إيمانهم بمثلهم العليا ، وقد قرروا أن يتم ذلك بأيدي نفر من أبناء المسلمين ينفذون هذا المنهج المبرمج تحت ستار من أسماء خداعة منها التقدمية والمساواة وجعل الإسلام مساوقاً للعصر الذي يعيش فيه وما شابه من شعارات .

كذلك تركزت جهود المستشرقين في الوقت الحاضر ، في إيجاد وفي خلق تخاذل روحي معنوي ، وإيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين بعامة ، مما يؤدي بحملهم من هذا الطريق على الرضا والرضوخ لتوجيهات الاستعمار والصهيونية .

---

(١) أحمد ، إبراهيم خليل . الاستشراق والاستعمار وصلتهما بالامبريالية العالمية . القاهرة ، مكتبة الوعي العربي ، ١٩٧٢ م . ص ٦١ .

الفصل السابع

الوسائل التي اصطنعها الاستشراق الحديث لتحقيق أطماعه

الفصل السابع

الوسائل التي اصطنعها الاستشراق الحديث لتحقيق أطماعه

دبت في الاستشراق ، وبشكل خاص المعنىٰ بدراسة تراث الإسلام وجمعه وتحقيقه وطبعه وإصداره وتأليف الكتب عن الإسلام والمسلمين ، روح جديدة تحت تأثير عدد من العوامل ونشط القوم ، وعلى رأسهم البابوية والملوك والحكام والأمراء والهيئات العلمية ، في تهيئة الوسائل والأدوات التي تساعدهم على تحقيق أهدافهم في جمع تراث الإسلام ودرسه والاستفادة منه للسيطرة عليه وتوجيهه الوجهة المطلوبة ، ولذلك لجأوا إلى كثير من الوسائل العلمية من أهمها :

١ ـ تأسيس معاهد خاصة :

لدراسة وتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وتأسيس كراسي في الجامعات القديمة لنفس الأغراض السابقة ، وإيجاد معاهد خاصة للدراسات الإسلامية وتحقيق المخطوطات العربية ونشرها .

ومن أهم الدول التي ساهمت في هذه النشاطات الدول التالية :

(أ) إيطاليا :

تعتبر إيطاليا من أنشط الدول التي ساهمت في خدمة الاستشراق والدعوة له . ولا غرو فهي مقر البابوية التي قادت العالم الغربي أكثر من

١٥٠٠ سنة في مختلف المجالات . وقد رأينا سابقاً بداية هـذه النشاطـات ولا سيمـا في قـرارات مجمـع فيّنـا في دوفنيـه سنـة ١٣١١ م لتـأسيس المـدارس وتدريس العربية .

وقد فتحت الرهبنة اليسوعية في النصف الثاني من القـرن السادس عشـر مدرستين لتعليم اللغتين العربية والعبرية وتولي التدريس بها يوحنا الباتو .

كذلك تأسست الجامعة الغريغورية سنة ١٥٥٣ م لتقوم بدراسة وتدريس اللاهوت والحق والقانون الشرقي والدراسات الإسلامية .

ولقد أسس البابا أوربانيوس الثامن مـدرسة نشـر الإيمان ومـطبعتها في رومة بين سنتي ١٦٢٢ ـ ١٦٢٧ م وكلف القائمين عليها بتأسيس مراكز للغـات الشرقية ، فتم تعيين الأب كارديان Th. Gardian الفـرنسيسكاني من القـدس أول استاذ للعربية في إحداها .

وضعف الإقبال على اللغات الشرقية في القرن الثامن عشر ، ولم يشتهر في هذا القرن إلاّ قلائل منهم الكاردينال فانتي الذي طار صيته بقـوته الخـارقة في اتقان اللغات المختلفة ، والأب فيلا استاذ العربية في معهد بالرمو الملكي وناشر بعض الكتب العربية .

وقد نظمت إيطاليا في القرن التاسع عشر دراسة اللغات الشرقية وعهدت بها إلى أعلام المستشـرقين من أمثال أمـاري وغويـدي ونللينو وغيـرهـم فتولـوا تعليمها في أمهات جامعات إيطاليا .

وقد تأسس في رومة .

- معهـد الـدراسـات الشـرقيـة الملحق بكليـة الأداب في جـامعـة رومـة سنـة ١٩٠٥ م ، وفيه قسم لفقه اللغـات الساميـة والآثار المصـرية واللغـة العربيـة وأدابهـا والعلوم الإسلاميـة . ولـه نشـرات ومحـاضـرات ويصـدر عنـه مجلة الدراسات الشرقية تصدر فصلية اعتباراً من سنة ١٩٠٧ م .

- المعهـد البابـوي للشرق تـأسس سنـة ١٩١٨ م ، ويعني بـدراسـات الشـرق

المسيحي وفقه اللغات السامية والعربية والآرامية والقبطية والحبشية والسريانية والتركية والنظم الإسلامية وغيرها ، وتصدر عنه مجلة اسمها الشرقيات المسيحية اعتباراً من سنة ١٩٢٣ م .

- المعهد الشرقي تأسس سنة ١٩٢٠ م ، يعني بالتعريف بالشرق الإسلامي وفيه فصول لتعليم العربية والفارسية والتركية . وقد أنشأ مركزاً للعلاقات الإيطالية العربية سنة ١٩٥٢ م واتبعه بمركز لآثار الشرق الأدنىٰ وتاريخه وفنونه ، وينشر المعهد سلسلة الدراسات المشرقية ومجلة شهرية بعنوان الشرق الحديث اعتباراً من سنة ١٩٢١ م .

(ب) فرنسا :

كذلك ذكرنا سابقاً أن قرار مجمع فينا في دوفنيه نص على إيجاد مدارس لتعليم اللغات العربية في جامعة باريس علىٰ نفقة ملك فرنسا ، فأنشىء في جامعة باريس كرسي للغات السامية ، ثم اهتم الملك فرنسوا الأول بالموضوع فأسس معهد فرنسا (الكوليج دوفرانس) سنة ١٥٣٠ م وأعد فيه كرسيين للعبرية واليونانية ، وأضاف إليهما الملك هنري الثالث كرسياً للعربية سنة ١٥٨٧ م . وكلف لويس الثالث عشر جبرائيل الصهيوني بتنظيم كرسي اللغة العربية فيه وقلده الاستاذية ، ثم خلفه إبراهيم الحاقلاني ثم الجمري استاذاً للغات الشرقية ، وفيه اليوم دراسات عملية عالية عن اللغة العربية وأدابها .

ثم أنشئت المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في باريس سنة ١٧٩٥م Ecole nationale des Langues Orientales Vivents, Paris إيذاناً بمرحلة جديدة للاستشراقْ والاستعراب . وقد تأسست بهمة إثنين من كبار المستشرقين الفرنسيين الأول البارون سلفستر دوساسي والثاني لانغليه T. Langlés وقد عنيت منذ تأسيسها باللغات العربية والفارسية والتركية ، وقد أصبحت هذه المدرسة مثالاً لما أنشىء بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقية العملية في عواصم شتىٰ من الممالك الأوربية . ولما تولىٰ إدارتها

سلفستر دوساسي أصبحت باريس . وبالتالي هذه المدرسة كعبة لطلاب العلوم الشرقية فتقاطروا إليها من ألمانيا وإيطاليا والسويد وغيرها ليتلقوا العلم على يد سلفستر دوساسي . وأكثر المستشرقين الذين نبغوا في النصف الأول من القرن التاسع عشر هم من تلاميذ تلك المدرسة . واستقدم قيصر روسيا معلمين منها لكي ينشئوا في بطرسبورج (لينغراد الحالية) مدرسة على مثالها . ويصدر عن هـذه المدرسـة المجلة الآسيـويـة Journal Asiatique وقـد دشّـنها دوسـاسي وطـلابه . وأصبحت من أشهـر مجلات الاستشـراق هذا ويـوجد في عـدد من جامعات فرنسا أقسام لدراسة اللغة العربية والحضارة العربية .

(ج) بـريطانيـا:

رأينا كيف أن أوائل النقلة الذين اهتموا بـالنقل من العـربية إلى الـلاتينية كـان بعضهم من أنكلترا . ثم ذكـرنا أن قـرارات مجمـع فينّـا في دوفينـه سنـة ١٣١١ م نص على إيجـاد كراسي للغـة العربيـة في اكسفورد على نفقـة هيئـة الرهبان .

وقد تأسس أول كرسي للغة العربية في كمبردج سنة ١٦٣٢ م وكان رئيسه السير توماس آدامز . كما تأسس أول كرسي للغة العربية في جـامعة اكسفـورد سنـة ١٦٣٦ م وكان رئيسـه كبير الأسـاقفة لـود . وقد استمـر الاهتمام بـاللغـة العربية والدين الإسلامي وزاد مـع زيادة نشـاط الاستعمار البـريطاني ولقـد تم تعيين أدوار بوكوك الأب أول أستاذ لتدريس اللغة العربية في جامعة اكسفورد. ثم في مـطلع القرن الثـامن عشر أضيف كـرسي آخر خصص للدراسـات العربيـة واللغــة العـربيــة.

كما تم تعيين أبراهام ويلوك أول أستاذ لتدريس اللغة العربية في جـامعة كمبـردج . ثم اضيف كـرسي آخــر في مـطلع القــرن الثـامن عشــر خصص للدراسات العربية والإسلامية . وقد تخرج من هاتين الجـامعتين عدد كبيـر من أعلام المستشرقين .

ولقد أسست جامعة لندن سنة ١٨٢٨ م كرسيـاً للغة العـربية . ولمـا نقل

هذا الكرسي إلى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية سنة ١٩١٧ م استعيض عنه بوظائف خاصة بالدراسات الشرقية .

مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية . لندن ١٩١٧ م .

أسست باسم مدرسة الدراسات الشرقية ثم أصبح اسمها اعتباراً من سنة ١٩٣٠ م مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية ، وقد درس بها كبار المستشرقين اللغات الشرقية وهي تربو على ثلاثين لهجة ولغة ، وتصدر نشرة فصلية تنطق باسمها وذلك اعتباراً من تاريخ تأسيسها سنة ١٩١٧ م .

مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية . أسس على يد الحكومة البريطانية في القدس أثناء الحرب العالمية الثانية ثم نقل إلى شملان في لبنان .

(د) روسيا :

نزلت روسيا إلى ميدان الاستشراق متأخرة . وقد بدأت المحاولات الأولىٰ أيام بطرس الأكبر الذي أرسل بعض الشبان إلى بلاد الشرق بهدف تعلم اللغات . ومن دلائل ذلك الاهتمام أيضاً صدور أول نسخة كاملة مترجمة للقرآن الكريم في بطرسبورج عاصمة الروسيا آنذاك أوائل القرن الثامن عشر ، وذلك بأمر من بطرس الأكبر . وقد أدخل تعليم اللغة العربية في مناهج بعض المدارس الثانوية العامة ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر . وصدر سنة ١٨٠٤ م قانون جديد للجامعات يسمح لها بتعليم اللغات الشرقية بشكل منتظم في المعاهد والجامعات الروسية . وقد ترتب على ذلك نشاط كبير في ميدان الاستشراق وظهور أبحاث جديدة[١] .

ولقد أدت ثورة اكتوبر الشيوعية في روسيا إلى زيادة الاهتمام بالشرق والإسلام والعرب . فقد أقيم مركزان استشراقيان كبيران الأول في موسكو والثاني في لينيغراد . كذلك جرىٰ تأسيس مراكز علمية في جمهوريات آسيا

(١) جامعة بيروت العربية . الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوربية . بيروت ، ١٩٧٣ م. ص ٢٣ .

الوسطىٰ والقوقاز . وفي كل من هذه المناطق تنشط حركة جمع ودراسة المخطوطات الشرقية والعربية بخاصة ، كما تغيرت وتحسنت ظروف حفظ المخطوطات فيها . وتكونت مجموعات المخطوطات العربية في مختلف المدن : طشقند وباكو وتفليس وخاركوف . . . وأضخمها مجموعة المخطوطات في معهد الاستشراق في طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان .

(هـ) إسبانيا :

كانت إسبانيا مهداً لحركة علمية هامة لنقل التراث العربي إلى الغرب في القرن الثاني عشر على يد كل من جيرار الكريموني والملك الفونسو العاشر العالم . وقد قرر مجمع فينا في دوفنيه سنة ١٣١١ م تأسيس كرسي للغة العربية في سلمنكة التي أسست جامعتها سنة ١٢٢٧ م . ولقد تم تأسيس ٢٥ كرسياً فيها منها اليونانية والعربية والعبرية . ثم أصاب الدراسات العربية والإسلامية فتور حتى القرن الثامن عشر عندما اهتم بها الملك كارلوس الثالث (١٧١٦ ـ ١٧٨٨ م) فوسع المكتبة الملكية ونظم مكتبة الأسكوريال . وقد جرىٰ إعادة تنظيم الجامعات الإسبانية في أواسط القرن التاسع عشر فعادت العربية تدرس بها رسمياً وفتحت فيها كراسي لتدريس العربية والحضارة الإسلامية ، وأفاد طلابها من مخطوطاتها الغنية في المكتبات العامة والخاصة فنشروا الكثير منها متناً وترجمة وتصنيفاً لكل ما له علاقة بتاريخ الأندلسي وجغرافيتها وتراجم رجالها وعلومهم وأدابهم وفنونهم .

وقد انشئت مدرسة اللغات العربية في مدريد سنة ١٩٣٣ م والحق بها مركزان للأبحاث في مدريد وغرناطة . ثم أدمجت في المجلس الأعلىٰ للأبحاث العلمية الذي تم سنة ١٩٣٩ م وأطلق عليه اسم معهد أسين للدراسات الإسلامية سنة ١٩٤٤ م . ويتبع هذا المعهد الذي مركزه مدريد : معهد الدراسات الإفريقية ومعهد الدراسات السياسية ، وفيه قسم لدراسة الإسلام المعاصر . وفي مدريد مدرسة الألسن العليا وفيها قسم للعربية .

كذلك أسس معهد للعناية باللغة العربية والتراث العربي في تطوان اسمه معهد الجنرال فرانكو.

(و) هـولنـدا:

اهتمت من زمن مبكر بالاستشراق وبالعرب والإسلام ونبغ بها عـدد مهم من كبار المستشرقين . ولقد اهتمت جامعة ليدن بالاستشراق من عهد مبكر من إنشائها . فقد انشئت سنة ١٥٧٥ م . وأسس أول كرسي لتدريس العربية فيهـا سنة ١٦١٣ م. ثم تزايد الاهتمام بالحضارة العربية الإسلامية وبالتراث العربي حتى شمل كل دقيقة وجليلة من نواحي ذلك التراث .

(ز) الولايات المتحدة الأمـريكيـة:

لقد نزلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى ميدان الاستشراق متأخـرة كل التأخر ، ومع ذلك يوجد بهـا الآن عدد من الجـامعات الـراقية والمعـاهد التي تهتم كل الاهتمام بشؤون الشرق والعرب والإسلام فهناك أولاً جامعة برينستون فيها قسم مهم للتاريخ الإسلامي والحضارة العربية .

وهناك المركز الشرقي في جامعة شيكاغو واختصاصه في الأمور الشرقيـة بشكل عام

وهنـاك مركـز الشـرق الأوسط في فـلاديلفيـا ومـركـز الشـرق الأدنىٰ في واشنطن العاصمة .

كذلك لابد من ذكر أنه يوجد في أغلب جامعـات العالم كـراسي لتعليم بعض المواد التي لها علاقة بالإسلام والحضارة الإسلامية وما ماثل .

٢ ـ إنشاء الجمعيات العلمية الاستشراقية :

أدرك علماء الاستشراق في كل بلد غربي أهميـة التعاون فيمـا بينهم من أجل التنسيق والعمل المشترك وتحقيق نجاح أفضـل وضمان لتحقيق الأهـداف

المرجوة من هذا العمل الاستشراقي فلجأوا إلى عملين متلازمين لضمان النجاح الأول إنشاء الجمعيات العلمية والثاني عقد مؤتمرات دورية للاستشراق

لقد كانت هذه الجمعيات العلمية بمثابة نقطة الانطلاق الكبرىٰ في حركة الاستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت كلها إسهاماً ناجحاً وفعالاً في البحث والاستكشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته وأديانه ، فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية . وقد ساعد ذلك مساعدة كبرىٰ في تركيز العمل وعدم تشتت الجهود وأدىٰ كذلك إلى تجمع القوىٰ المتفرقة للدراسات الشرقية وازدياد نشاطها واشتد التنافس بينها ، ذلك أن الأعمال الكبرىٰ لا تظهر فائدتها إلاّ باجتماع القوىٰ المتفرقة وأنصهارها في بوتقة واحدة .

ولعل الجمعية التي أسسها الهولنديون سنة ١٧٧٨ م وجعلوا مقرها في باتافيا من أعمال أندونيسيا هي أول جمعية من نوعها ، وإن تكن خصصت بالمستعمرات الهولندية .

كذلك أسس السير وليام جونز (١٧٤٣ - ١٧٩٥ م) الجمعية الآسيوية في كلكتا فنجحت نجاحاً ملحوظاً وكان ذلك سنة ١٧٨٤ م .

كذلك اسس الفرنسيون سنة ١٨٢٢ م الجمعية الآسيوية وجعلوا مقرها باريس وأسندوا رئاستها إلى سلفستر دوساسي الذي ظل رئيساً لها حتى وفاته . وتعتبر جهود دوساسي وأعماله تدشيناً وتأريخاً لبداية صعود الاستشراق إلى ذروته وعصره العظيم .

وأسس الانكليز جمعية البنغال الآسيوية والجمعية الآسيوية سنة ١٨٢٣ م وأسس الألمان جمعية شرقية سنة ١٨٤٤ م . كما أسس الأمريكيون أول جمعية أمريكية لهم سنة ١٨٤٣ م وأول كتاب نشرته هو ميزان الحكمة للخازن . وقد كان لكل جمعية مجلة تصدر عنها وتنشر أعمالها ، وفي كل مجلة يوجد مجاميع منها تحوي أهم نشاطات وأعمال المستشرقين في سبيل اللغات الشرقية وأدابها منذ إنشائها حتى اليوم ، وكثير منها لا يزال يصدر .

ولعل مجلة Fundgraben des Orients من أقدم مجلات الاستشراق إذ أسست سنة ١٨٠٩ م . ومع مرور الزمن ، ومع ازدياد نشاط الاستشراق وغزارة مواده فقد ازداد نشاط هذه المجلات وتوسعت في نشر الأبحاث والمقالات وكمية المعلومات ، كما لجأت إلى المتخصصين في مختلف مجالات الاستشراق تستكتبهم المقالات المتخصصة.

وسنأخذ كمثل على الجمعيات الاستشراقية الجمعية الشرقية الألمانية التي تأسست سنة ١٨٤٤ م . فقد أصدرت ، من أجل تحقيق أهدافها المجلات الدورية ، ومنها مجلة Der Islam وعقدت حلقات سنوية للبحوث الجامعية وعاونت على نشر أمهات الكتب العربية ، مثل كتاب الكامل للمبرد بتحقيق رايت الانكليزي ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي بتحقيق فستنفلد ، وشرح المفصل لابن يعيش الحلبي بتحقيق يان ، وكتاب الآثار الباقية من القرون الخالية للبيروني بتحقيق زخاو ، وتواريخ مكة المكرمة في أربعة كتب بتحقيق فيستنفلد.

٣ ـ السلاسل المتخصصة :

وهي سلسلة من الكتب التراثية العربية تنشر وتحقق تحقيقاً علمياً وتعطي اسماً له دلالته مثل المكتبة الجغرافية العربية Bibliothea Geographica Arabica التي أشرف على إصدارها المستشرق الشهير دي غويه . هناك عدد كبير من هذا النوع وسنذكر هنا مثلين أو ثلاثة كدلالة على بقية المكتبات أو السلاسل .

ففي فرنسا مثلاً نهضت المجامع وإدارات الحكومة والهيئات الخاصة ونفر من العلماء بإصدار مجموعات علمية كالمكتبة الشرقية التي أصدرها هربلو (سنة ١٦٥٧ م)، ومنشورات جمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية التي أسسها لويس السادس عشر سنة ١٧٨٧ م ومن أهم ما صدر من مثل هذه المجاميع في فرنسا مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية نشرها دومالان ودومينار متناً وترجمة فرنسية في ستة عشر مجلداً

(باريس ١٨٧٠ م ـ ١٨٩٤ م) . ويهمنا هنا المؤرخون المسلمون :

المجلد الأول : منتخبات من أبي الفداء وهي صورة مجملة عن الصليبيين في السنوات ١٠٩٧ ـ ١١٨٩ م . ومنتخبات من الكامل لابن الأثير .

المجلد الثاني : بقية منتخبات الكامل لابن الأثير عن السنوات ١١٨٩ ـ ١٢٣١ م ومنتخبات عن السنوات ١٢٢٧ ـ ١٢٧٥ م من كتاب عقد الجمان للعيني ، وتاريخ أتابكة الموصل لابن الأثير .

المجلد الثالث : منتخبات من كتاب سيرة صلاح الدين لابن شداد وتاريخ مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وتاريخ حلب لابن العديم عن السنوات ١٠٩٦ ـ ١١٤٦ م.

المجلدان الرابع والخامس : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامه وذيله .

المكتبة الجغرافية العربية : عنى بنشرها المستشرق الهولندي الشهير دي غويه في ليدن بين سنتي ١٨٧٠ و١٨٩٤ م وقد ساعده في عمله نفر من كبار المستشرقين المتخصصين وقد صدرت في ثمانية مجلدات .

المجلد الأول : مسالك الممالك للأصطخري .

المجلد الثاني : المسالك والممالك لابن حوقل (ثم استعيض عنه بإصدار كرايزر ليدن ، ١٩٣٩ م) .

المجلد الثالث : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي مع تعليق وترجمة لاتينية (١٨٧٨ م) وتولىٰ طبعته الثانية دوزي ودغويه مع ترجمة فرنسية وشروح وتعليقات (١٩٠٦ م) .

المجلد الرابع : فهارس للمجلدات السابقة (١٨٧٩ م) .

المجلد الخامس : كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (١٨٨٥ م) .

المجلد السادس : كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة بترجمة فرنسية وكتاب الخراج لقدامة بن جعفر . .

المجلد السابع : جزء من كتاب الأعلاق النفسية لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي .

المجلد الثامن : كتاب التنبيه والإشراف للمسعودي مع فهرس أبجدي عام للمجلدين السابع والثامن (ليدن ١٨٩٣ - ١٨٩٤ م).

المكتبة الإسلامية : أسسها هلموت ريتير الألماني (توفي سنة ١٩٧١م) في استانبول سنة ١٩٣١ م . وهذه أشرفت على إصدارها جمعية المستشرقين الألمان ، وبعد أن توفي ريتير خلفه في إدارتها ألبرت ديتريش وفيلد Wild . وقد ظهر منها أعمال ذات شأن محققة تحقيقاً علمياً ويلغ عدد ما حققته أكثر من ثلاثة وعشرين كتاباً وأولها .

كتاب أبي الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين بتحقيق ريتير .

كتاب الصفدي الوافي بالوفيات وفيه عشرة الآف ترجمة حقق الجزء الأول منه ريتير ثم تبعه آخرون.

كتاب فرق الشيعة للنوبختي .

كتاب أسرار البلاغة للجرجاني .

كتاب كتاب الحكايات العجيبة وهو أقدم من ألف ليلة وليلة حققه فير Weher

كتاب كتاب ديوان أبي نواس بتحقيق فاغنر Wangner .

كتاب مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب لابن الدباغ بتحقيق ريتير .

كتاب المحتسب لابن جني بتحقيق برجشتراسر.

كتاب مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حسان البستي .

٤ ـ مؤتمرات الاستشراق :

رغب علماء الاستشراق في جميع أنحاء أوربا في تنسيق جهودهم وتوحيد صفوفهم وعرض منجزاتهم حتى يتبادلوا الآراء حول أفضل السبل في تحقيق أهداف الاستشراق وعدم تبديد الجهود . وقد كان المستشرق الفرنسي الشهير ليون دو روزني من أكبر الدعاة لمثل هذه المؤتمرات ، وأخيراً كللت جهوده بالنجاح وعقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣ م . فكان منبراً لتبادل الآراء وتبادل وجهات النظر وقراءة البحوث ووضع الخطط المشتركة ، وأثبتت الفكرة نجاحها فدأب القوم على الاجتماع دورياً لمدة قرن كامل حيث عقد آخر مؤتمر للمستشرقين في باريس نفسها سنة ١٩٧٤ م . ثم استعيض عن المؤتمر السنوي هذا بلجان فرعية تخصصية لإجراء البحوث وعرض التوصيات .

٥ ـ الطباعة في ديار الغرب للكتب العربية[1] :

لقد طبعت الكتب العربية أول أمرها في أوربة ، وقبل أن نبدأ ببحث الموضوع لا بد لنا من أن نذكر بحال البلاد العربية عند اختراع الطباعة وانتشارها في أوربة في النصف الثاني من القرن السادس عشر .

فقد كانت آنذاك دولة المماليك المؤلفة من إقليمي مصر وسورية سائرة نحو الانقراض ، وكان أغلب ملوكها جهلة غلاظاً قد مزقتهم الخلافات الداخلية وانتشر الجهل في البلاد واضطرب حبل الأمن مما جعل المماليك يسقطون بسهولة صرعىٰ أمام ضربات العثمانيين التي أتتهم أوائل القرن السادس عشر .

كذلك تأسست في العراق دويلات يحكمها حكام من أصل مغولي وكان

---

(١) هذه الفقرة مأخوذة ، في جملتها من كتاب المؤلف الموسوم باسم : الكتاب العربي : مخطوطاً ومطبوعاً ، تاريخه وتطوره حتى مطلع القرن العشرين، الرياض، دار العلوم ، ١٩٨٤ م . ص ٢١٩ ـ ٢٢٩ .

أغلبهم جهلة جفاة قساة، وكانت مملكة غرناطة تناضل نضال اليأس في سبيل البقاء وتحارب عدواً رهيباً يفوقها أضعافاً كثيرة في العدة والعدد حتى انتهىٰ هذا الصراع غير المتكافىء سنة ١٤٩٢ م بسقوط غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس بيد النصارىٰ وخروج المسلمين منها .

ولم تكن أحوال دول شمالي إفريقية الإسلامية بأفضل من أحوال عرب المشرق ، فقد مزقتهم الخلافات الداخلية وضعف الحكام وفسادهم فساد الجهل واضطرب حبل الأمن وعجزت دول شمالي إفريقية عن إمداد المسلمين في الأندلس ، ولم تكن في حالة سياسية أو عسكرية أو ثقافية تمكنها من أن تساهم في أي مجال من مجالات الحضارة .

وكان الأمل معقوداً على العثمانيين في أن يفعلوا الأفاعيل . ولقد تمكن العثمانيون أن يحتلوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ م ، وقد تعاصر ذلك مع اختراع الطباعة . وكانت أوربة كلها ترجف أمام قوة الأتراك الزاحفة عليها ، ولكن إمكانات الدولة العثمانية العسكرية كانت محدودة ولم تكن بوضع يمكنها من نجدة مسلمي الأندلس ، أضف إلى ذلك الخلاف الذي ذر قرنه بعد وفاة محمد الفاتح مما أدىٰ إلى ضعف العثمانيين ، ولما استردت الدولة العثمانية أنفاسها وقواها، وجهت أنظارها نحو الشرق والعالم العربي عوضاً عن أوربة، وتمكن سلاطينها سليم الأول وسليمان القانوني من احتلال بلاد الشام ومصر وقسم مهم من شمالي إفريقية [ليبيا وتونس والجزائر الحالية] والعراق . ولكن طبيعة الدولة العثمانية وتركيبها الإداري والسياسي والثقافي جعلها عاجزة عن النهوض حضارياً بيد المنطقة ولذا لم تنتبه إلى أهمية الطباعة وضرورة تعميمها في أرجاء الدولة ، وتأخر بالتالي دخول الطباعة إلى العالم العربي فترة مهمة من الزمان بعد اختراعها في أوربة .

وإذا عرفنا أن الطباعة نشأت في أوربة ، وأن أوربة كان ولا يزال يهمها أن تعرف كل شيء عن العالم العربي الإسلامي ، وأن الاستشراق الحديث ، بمعناه ومفهومه القبيح ، كان قد بدأ في أوربة آنذاك ، وإذا علمنا أن البابوية

كانت تقود حرباً صليبية حقيقية ضد العالم الإسلامي ومن مظاهرها التبشير والتنصير وتشكيك المسلمين في دينهم ، وتثقيف وتعليم الاقليات المسيحية التي تعيش في العالم العربي . وبشكل خاص في بلاد الشام لقربها من أوربة ، ومحاولة كسب ولائها للبابوية والنصرانية الغربية بشكل عام ، أدركنا أنه ليس مفاجأة لنا أو مثيراً للعجب أن نعلم أن أول كتاب عربي إنما طبع في أوربة وبشكل خاص في إيطاليا ولقد جرت أولى المحاولات لطبع الكتب العربية لغايات تبشيرية أو دينية أو تعليمية [لتعليم القسس والرهبان قواعد اللغة العربية] في عدد من البلدان الأوربية مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وإنكلترا والمانيا .

هذا وأن أول كتاب عربي طبع بأحرف عربية إنما طبع في البندقية ، ولكن لم تصلنا منه نسخة ما لأن جميع النسخ أحرقها التعصب النصراني . هذا الكتاب هو القرآن الكريم على ما يبدو ، وقد طبع في البندقية بمطبعة باغانيني المشهورة . ويبدو من بعض القرائن أنه طبع سنة ١٤٩٩ م[١] على حين يذكر آخرون أنه ربما طبع سنة ١٥٠٩ م أو بعد ذلك . وقد حرم البابا اسكندر طبعه أو طبع ترجمته . وكان المستشرقون ـ ليبرروا ترجماتهم للقرآن الكريم ـ يمهدون لاعمالهم بمقدمة وتذييلات لتفنيد القرآن الكريم ودحضه ـ بزعمهم واثباتاً لحسن إيمانهم بالكنيسة وبالكتاب المقدس ودفعاً للشبه أمام أهل ملتهم[٢] .

والواقع أن إيطاليا كانت هي السباقة في مجال طبع الكتب العربية . وذلك بسبب رغبة البابوية في التبشير وربط الاقليات النصرانية الموجودة في العالم العربي بها . على حين لم تظهر بقية الدول ، أول الأمر ، نفس الدرجة من الحماس والنشاط في مجال طبع الكتب العربية .

---

(١) بينتو ، أولغا . الطباعة العربية في إيطاليا من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر . ص ٧ ـ ٨ .

(٢) أحمد ، إبراهيم خليل . المصدر المذكور آنفاً . ص ١٦٨ .

ولقد أصدر البابا يوليوس الثاني أمره بتأسيس مطبعة لطبع الكتب العربية في مدينة فانو الإيطالية وعهد بادارتها وتسيير أمورها إلى الطباع البندقي غريغوريو دي غريغوري . وقد صدر عن هذه المطبعة كتاب وصلت نسخ سالمة منه إلينا . وهذا الكتاب هو مجموعة نادرة جداً من الصلوات الكاثوليكية وأسمه كتاب صلاة السواعي . وقد طبع هذا الكتاب بناء على أمر البابا يوليوس الثاني نفسه . وقد عرفت هذه المجموعة من الصلوات بعنوانها اللاتيني السواعية المختصرة أو الساعات القانونية السبع . وقد صدر الكتاب سنة ١٥١٤ م ويحوي صلوات ترجمت إلى اللغة العربية وعدد صفحاته ١٢٠ صفحة . والطابع ، وهو نفسه المشرف على المطبعة ، غريغوريو المذكور سابقاً ، وهو مطبوع على ورق ، قياس الصفحة فيه ١٧ x ١١ سم ، ويشغل المطبوع من كل صفحة مساحة أبعادها ١٣٫٢ x ٨٫٢ سم ، وعدد أسطر كل صفحة ١٢ سطراً ، وقد طبعت العناوين والكلمات المهمة بالحبر الأحمر ، وكذلك الفواصل ونهايات الجمل[1] .

وقد طبع في جنوى سنة ١٥١٦ م ، بتكليف من الأب جوستنياني سفر المزامير ، وقام بطبعه باولو يورو ، وقد طبعه بأربع لغات هي العربية والعبرية واليونانية والكلدانية ، ومع كل لغة من هذه اللغات ترجمة لاتينية مطابقة لها مع ملاحظات وشروح . وكان كتاباً كبير الحجم .

وقد نشر المستشرق غويوم بوستيل الأستاذ في كلية فرنسا مبادىء إثنتي عشرة لغة شرقية بحروفها الأصلية ، منها : السريانية والسامرية والعبرانية . وقد استعمل المستشرق المذكور في طباعة القواعد العربية التي صدرت مع باقي المجموعة المذكورة آنفاً في باريس سنة ١٥٣٨ م أحرفاً عربية ، إلا أن الأحرف كانت محفورة ومسبوكة بشكل بدائي ردىء لدرجة أنها لا تقرأ تقريباً . وكان هذا الكتاب أول سجل مطبوع للغة العربية في باريس . وسرعان ما

---

(1) Encyclopedia of library and Information science. Ed . by Alan Kant and harold Lanckor. N.Y., Marsell Dekker, 1968 - V. 24. p. 55.

انتشرت حروف تلك اللغات الشرقية في المطابع الأوربية وطبع بها كتب دينية عديدة . على أن اللغة العربية نالت النصيب الأوفر من عناية المطابع ، فكثرت مطبوعاتها العربية وعلى الأخص في مطابع روما(٢)

ففي سنة ١٥٦٦ م اصدرت مطبعة مدرسة الأباء اليسوعيين في روما كتاباً بعنوان **اعتقاد الأمانة الأرثوذكسية في كنيسة رومة** . وهناك شك وثار جدل كبير حول مؤلفه . والمعروف أن مؤلفه أحد الآباء اليسوعيين . وقد أعيد طبع الكتاب في نفس القرن وفي القرن الذي تلاه . ثم صدر عن المطبعة ذاتها كتاب آخر مجهول المؤلف هو عبارة عن جدل في صحة الدين المسيحي عنوانه **مصاحبة روحية بين عالمين** . والمعتقد أن مؤلف الكتابين واحد .

وفي عام ١٥٨٥ م قام الطباع البندقي بازا ، بعد أن انتقل إلى روما بطبع مؤلف جغرافي عربي هو الأول من نوعه باللغة العربية خلو من الدعاية الدينية هو كتاب **البستان في عجائب الأرض والبلدان** . ومؤلف الكتاب سلاميش بن كندغدي الصالحي ، ولا يعرف عنه شيء البتة .

ولقد أسس في العام السابق ، أي في سنة ١٥٨٤ م الكاردينال فرديناندو دو مديتشي « المطبعة الشرقية المديتشية » وهي المطبعة التي حازت شهرة واسعة جداً في طبع الكتب العربية . وقد استدعىٰ لإدارتها جيوفاني باتيستاريموندي . وقد عهد جيوفاني إلى الحفار الباريسي المشهور روبير غرانجون بصب الأحرف العربية وحفرها . وقد بدأ جيوفاني بتنفيذ برنامج واسع جريء ، وذلك بأن طبع نصوصاً عربية جغرافية فلسفية رياضية ، ونصوصاً لها علاقة وثقىٰ بقواعد اللغة العربية ، فقد أخرج إلى النور خلال أربع سنوات بين عامي ١٥٩١ و١٥٩٥ م ثمانية مؤلفات .

فالمؤلف الأول هو **الأناجيل الأربعة** في طبعتين مختلفتين تضم الأولىٰ نص الترجمة العربية للأناجيل فقط (ولا يعرف مترجمها)، وتحتوي الثانية

---

(٢) رضوان ، أبو الفتوح . تاريخ مطبعة بولاق . القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٣ م. ص ٦.

على النصين العربي واللاتيني سطراً سطراً . وقد زودت الطبعتان بصور جميلة غاية في الجمال . ذلك أن جيوفاني استعان بحفر صور هذا الكتاب بأمهر حفاري الخشب المصور تامبستا Tempesta. وفي نفس العام الذي هو عام ١٥٩١ م ظهر كتاب آخر طبع في نفس المطبعة هو كتاب الوجيز في قواعد الألفباء العربية ، بدون اسم المؤلف . والمعتقد أن المؤلف هو جيوفاني ريموندى . وظهر في العام التالي عام ١٥٩٢ م كتاب **قواعد اللغة العربية الفصحىٰ** لعثمان بن عمرو بن الحاجب المعروف باسم القافية ، بالإضافة إلى **الأجرومية** التي لا تقل شهرة عن سابقتها ، وهي من وضع محمد بن داود الصنهاجي . وقد صدر عن المطبعة سنة ١٥٩٣ م كتاب مهم ضخم من كتب التراث الجغرافي العربي هو كتاب **نزهة المشتاق باختراق الأفاق** للشريف الإدريسي الذي يعتبر من أهم الجغرافيين المسلمين ، إن لم يكن أهمهم ، وقد عاش في بلاط ملك صقلية النورماندي روجير الثاني ، وقد حقق نصه وترجمه إلى اللاتينية في باريس جبرائيل الصهيوني والماروني يوحنا الحصروني . وقد طبع الكتاب تحت عنوان « نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأفاق » . ومن الجدير بالذكر أن المؤلفات الثلاثة التي ذكرت آنفاً وهي « نزهة المشتاق » و« القافية » و« الأجرومية » زودت بثلاث صفحات هي الأولىٰ من مفتتح كل كتاب تحمل عناوين الكتب باللاتينية والعربية ، وبعضها الآخر بالعربية فقط ، والبعض مطبوع باللون الأحمر ، وقد صدر عن نفس المطبعة كتاب **القانون في الطب** لابن سينا ، وهو كتاب فخم مشهور ، وفي آخره كتاب « النجاة » لنفس المؤلف . وصدر عنها سنة ١٥٩٤ م آخر كتاب طبعته في تلك الفترة وهو كتاب « **تحرير أصول إقليدس** » لنصير الدين الطوسي .

وقد توقف نشاط المطبعة مدة خمسة عشر عاماً. وفي سنة ١٦١٠ م طبع في هذه المطبعة كتاب التصريف لعبد الوهاب الزنجاني. وقد زود الكتاب بمقدمة إضافية تعلم ريموندي مع ترجمة المؤلف. بعد ذلك توقفت المطبعة عن العمل فترة طويلة، وأخيراً استقرت المطبعة وآلاتها وأدواتها في المكتبة المديتشية ـ اللورانزية في فلورانسا اعتباراً من سنة ١٨١٨ م حيث

ظلت تستعمل في طبع بعض الكتب العربية حتى أواخر القرن التاسع عشر. ولعل أهم الكتب العربية التي طبعت بها كتاب **زهر الأفكار** لأحمد بن يوسف التيفاشي، وذلك سنة ١٨١٨ م. وطبع فيها سنة ١٨٦٣ م كتاب **الشهادات العربية**. وقد قام بتحقيقه ونشره والإشراف على طبعه المستشرق الإيطالي المعروف ميخائيل أماري. كذلك طبع في هذه المطبعة مخطوطة المكتبة الريكاردية في فلورنسا، وهي عبارة عن قاموس عربي - لاتيني، وكان ذلك سنة ١٨٧١ م. كذلك لابد من ذكر عدد من الكتب العربية التي طبعت خلال القرن السادس عشر في عدد من المدن الألمانية. فقد ألف يعقوب كريستمان أول أستاذ للغة العربية في جامعة هايدلبرغ كتاباً عنوانه **في الألفباء العربية**، وطبع الكتاب أول ما طبع في نيوشتاد من ألمانيا وذلك عام ١٥٨٢ م. وقد استعملت في طبع الكتاب أحرف خشبية حفرت في الخشب . وقد استعملت نفس الأحرف لطبع كتاب عربي آخر في هايدلبرغ جرئ طبعه عام ١٥٨٣ م . والكتاب هو الترجمة العربية لرسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية بعنوان **إلى غلاطية** . وقد قام بنقلها إلى العربية روتجر سبأي .

وقد ألف أحدهم وهو بارثولوماوس رادتمان كتاباً بعنوان **المقدمة في اللغة العربية** . وقد تم طبعه في فرانكفورت سنة ١٥٩٢ م ، وأضيفت الكلمات العربية إلى النص اللاتيني بالريشة .

هذا ومع مطلع القرن السابع عشر أصبحت الدراسات العربية في إيطاليا محصورة بالرهبان والأساقفة الذين لم يهتموا كثيراً بالعلوم الدنيوية ، وإنما اهتموا بنشر الوسائط التي تمكنهم وتمكن الطلاب من دراسة وتعلم وتعليم اللغة العربية وتعاليم الدين المسيحي الكاثوليكي ، وذلك من أجل تعليم المبشرين الذين يوفدون إلى العالم العربي لتعليم النصارئ الناطقين بالضاد اللغة العربية والكتب الدينية النصرانية على مذهب روما النصراني . وكذلك طبعت الكتب المفيدة والمساعدة في الجدل ضد المسلمين . وقد أصبحت كلية الموارنة في مار بطرس في مونتوريو مركز تعليم اللغة العربية والترجمات إلى اللغة العربية حيث كان يُهيّأ ويعمل بها أشهر المستشرقين الإيطاليين مكانة

وأعلاهم سمعة ورتبة وكعباً .

ومن المطابع العربية الرائعة في روما تلك المطبعة التي أسسها سافاري دوبريف Savary De Brèves ، ذلك أن سافاري هذا كان قنصلاً لدى الباب العالي في استانبول ومال إلى العلوم الشرقية فحفر أمهات للحروف العربية كانت أجمل من حروف مطبعة آل مديتشي ، ثم أسس مطبعته في روما ، ونقل إليها تلك الأمهات وبدأ نشاطه الطباعي . وقد افتتح نشاطه الطباعي بطبع كتاب **التعليم المسيحي** الذي ألفه الكاردينال بلارمينو ونقل إلى العربية وطبعت الترجمة في مطبعة سافاري المذكورة آنفاً وذلك سنة ١٦١٣ م . ثم طبعت المطبعة سنة ١٦١٤ م كتاب **مزامير داود** بالنصين العربي واللاتيني . ثم طبع كتاب **أصول اللغة العربية** سنة ١٦٢٠ م ، ثم طبع كتاب **مبادىء اللغة العربية** لمنصور شلق ، **ونحو اللغة العربية** لبطرس المطوشي الماروني سنة ١٦٢٤ م . وأخيراً تم طبع كتاب **أيساغوجي في المنطق** في نفس المطبعة سنة ١٦٢٥ م ويسمى الكتاب أيضاً المقدمة المختصرة العربية في المنطق .

وبعد ذلك بعامين أي في عام ١٦٢٧ م احتفل بافتتاح المطبعة العربية التي أسسها المجمع المقدس لانتشار الإيمان وبدأت إنتاجها في نفس العام . فقد أعادت طبع عدد من الكتب العربية التي كانت طبعتها سابقاً مطبعة آل مديتشي ، ثم بدأت بطباعة مختلف الكتب في القواعد العربية والنحو العربي التي يحتاج إليها الدارسون أثناء تعلمهم اللغة العربية من أمثال كتاب **المختصر في أصول اللغة العربية** الذي تم طبعه سنة ١٦٢٨ م ، وهو من تأليف إبراهيم الحقيل . وتم في سنة ١٦٣١ م في نفس المطبعة طبع كتاب **نص الاجرومية** للصنهاجي مع ترجمة لاتينية لها . وقد ألف الراهب الإيطالي دومينيكو جرمانوس قاموساً لاتينياً عربياً بعنوان **قاموس اللغة العربية مع شرح باللاتينية والإيطالية** . وقد قامت مطبعة المجمع المقدس لانتشار الإيمان بطبعه سنة ١٦٣٩ م .

وقد تم في النصف الثاني من القرن السابع عشر طبع مؤلفين يعتبران بدون شك أكثر أهمية وأضخم مما جرى طبعه سابقاً في نفس المطبعة

وذلك من وجهة نظر طباعية . فقد تم طبع الترجمة العربية الكاملة لـ **الحوليات الكنائسية** وذلك بين عامي ١٦٥٣ و١٦٧١ م . كذلك تم طبع **الكتاب المقدس في اللغة العربية** في سنة ١٦٧١ م في نفس المطبعة . وهذا الكتاب المقدس أعد من أجل استعماله في الكنائس الشرقية ، وهو أول ترجمة عربية للنص الكامل للكتاب المقدس النصراني بعهده القديم والجديد ويضم أربعة مجلدات .

وآخر كتاب عربي تم طبعه في القرن السابع عشر هو كتاب نادر جداً عنوانه **المجمل عن المجمع المسكوني الخلقدوني المقدس** ، وكان ذلك سنة ١٦٩٤ م في نفس المطبعة المذكورة .

كذلك كان لبعض الكليات والمعاهد نشاط طباعي ، وإن يكن على مستوىٰ أقل مما ذكرنا . فقد صدر عن مطبعة الكلية الامبروزيانية في ميلانو كتاب واحد وحيد هو ترجمة قام بها انطونيو جيمي لقاموس الفيروز آبادي المشهور والمعروف باسم « القاموس المحيط » في أربعة مجلدات ضخمة وكان ذلك سنة ١٦٣٢ م .

وقد تم في أواخر القرن السابع عشر إنجاز عمل ضخم مهم في إيطاليا وهو طبع النص العربي الكامل مع الترجمة اللاتينية والمقدمة والشروح المأخوذة من مؤلفات محلية نصرانية للقرآن الكريم ونشر جميع ذلك في سفر ضخم تحت اسم **النص الكامل للقرآن** .

وقد ضعفت حركة طباعة الكتب العربية في إيطاليا كل الضعف وذلك خلال القرن الثامن عشر ، ولم يبق سوى مطبعة مجمع انتشار الإيمان تتابع نشاطها ، إلاّ أن نشاط ضعيف وليس له كبير فائدة ولم يصدر عن تلك المطبعة سوى بعض الأعمال الهزيلة والتي ليس لها كبير فائدة مثل **كتاب العهد الجديد** الذي صدر سنة ١٧٠٣ م ، **والكتاب المقدس** الذي صدر سنة ١٧٥٢ م ، إلى جانب بعض الأعمال الأخرىٰ الأقل أهمية .

وقد ازدهر الاستشراق في إيطاليا من جديد في القرن التاسع عشر وأدىٰ

ذلك ، بالتالي ، إلى تأليف كتب عربية كثيرة وتحقيق كتب عربية مهمة مما تطلب وجود مطابع مزودة بوسائل حديثة للقيام بطبع هذه الكتب وتغطية هذا النشاط الكبير . وقد تم ذلك وتأسس في إيطاليا خلال القرن التاسع عشر عدد مهم من المطابع العربية المزودة بأفضل تجهيزات العصر الطباعية وصدر عنها عدد كبير ومهم من الكتب العربية .

هذا وقد انتشرت الطباعة العربية وأسست المطابع العربية في عدد من البلدان الأوربية المتقدمة والمهتمة بالدراسات الشرقية والعربية وبالتبشير . وقد لقيت هذه المطابع وحركة طبع الكتب العربية رعاية وعناية عظيمة من المشرفين على الأمور في تلك البلدان وتعتبر مدينة ليدن في هولندا من أشهر وأقدم مراكز الاستشراق في أوربة . وقد أسس مطبعة فيها سنة ١٥٩٥ م توماس أربينيوس Erpenius . وقد ظهر أول كتاب من طباعتها وهو كتاب **قواعد اللغة العربية** من تأليف أربينيوس سالف الذكر وكان ذلك سنة ١٦١٣ م . ويعتبر كتاب **أمثال لقمان** من مطبوعاتها الجيدة وصدر عام ١٦١٥ م . كما طبع كتاب **المجموع المبارك** لابن العميد المعروف بالمكين مع ترجمة لاتينية فيها وذلك سنة ١٦٢٥ م . ثم صدر فيها **العهد الجديد** سنة ١٦١٦ م . وإن **قصة يوسف** المستلة من القرآن الكريم والتي طبعت في هذه المطبعة هي أول كتاب عربي طبع مضبوطاً بالشكل الكامل . وقد نالت مطبعة ليدن شهرة واسعة وحازت سمعة عالية جداً بسبب ما نشرته وطبعته من كتب باللغة العربية وبشكل متقن كل الاتقان .

ولقد اهتمت فرنسا بتعليم اللغة العربية وتأسيس المطابع العربية ، فقد استدعى الملك فرنسوا الأول الأسقف جوستنياني من جنوى لتعليم اللغتين العربية والعبرية في ريمس سنة ١٥١٩ م . كذلك قلدت فرنسا إيطاليا في تأسيس المطابع العربية في بلادها وبدأت بطباعة الكتب العربية . وقد كان مركز النشاط الطباعي العربي في المطبعة الملكية في باريس ، فقد حفر لها الحروف العربية وصبها وسبكها سافاري دوبريف سالف الذكر . وأول كتاب عربي مطبوع صدر عن هذه المطبعة هو كتاب « **في صناعة النحو** » من تأليف

القسيس العربي جبرائيل الصهيوني والشماسي الماروني يوحنا الحصروني ، وكان ذلك سنة ١٦١٣ م .

كذلك تأسست مطبعة عربية في لندن لطبع الكتب العربية والمساهمة في حركة الاستشراق والتبشير وبث تعاليم النصرانية في العالم العربي . ويعتبر كتاب **تاريخ الدولة الخوارزمية** المستل من كتاب أبي الفداء الشهير **المختصر في أخبار البشر** من أهم ما طبعته وقت إنشائها ، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٦٥٠ م .

ولم تبق جامعة اكسفورد بعيدة عن هذه الحركة فأدلت دلوها بين الدلاء وأسست مطبعة عربية في أواسط القرن السابع عشر لنفس الغايات المعروفة والتي ورد ذكرها سابقاً . وقد طبع بها عدد كبير من الكتب العربية من وقت إنشائها ، فقد طبعت بها كتب أدوارد بوكوك الأب E. Pocock [١٦٠٤ - ١٦٩١ م] مثل كتاب **تاريخ مختصر الدول** لابن العبري مع ترجمة لاتينية ، وكتاب **نظم الجوهر** لابن البطريق . كما وإنه نقل إلى اللاتينية قصة حي بن يقظان لابن الطفيل فطبعت هناك . كذلك طبع ابنه توماس كوك كتبه هناك . ويعتبر كتاب عبد اللطيف البغدادي المسمىٰ باسم كتاب **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر** من أهم ما أصدرته المطبعة وكان ذلك سنة ١٨٠٠ م .

أما في القرن الثامن عشر فما بعده فقد انتشرت الطباعة العربية في أغلب عواصم أوربه ومدنها الرئيسية ، وتأسس فيها مطابع عربية انتجت ما لا يقع تحت الحصر من الكتب العربية من أمثال فينا ومدريد وبطرسبورج وغوتنجن وغيرها .

وهكذا نلاحظ مما عرضناه سابقاً أن إيطاليا يعود لها الفضل الأول في استباق باقي الدول الأوربية إلى إدخال الطباعة العربية وتأسيس المطابع العربية وإصدار الكتب العربية لغايات تبشيرية ودينية وجدلية وتعليمية وعلمية .

الفصل الثامن

إنتقال التراث العربي المخطوط إلى ديار الغرب

الفَصْل الثّامِن
إنتقال التّراث العَربي المَخطوط إلى دِيَار الغَرب

القسم الأول

بدأ الغرب يضع الخطط وينفذها للحصول على كنوز المعرفة الإنسانية الموجودة في ديار المسلمين منذ القرن السادس عشر وقد ساهمت في ذلك البابوية والملوك والأمراء والأفراد والمؤسسات العلمية ، ولكن هذه العملية أخذت طابع النشاط في القرن السابع عشر ، وبلغت العملية أوجها وذروة تطورها خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وقبل أن نبدأ بدراسة هذه العملية لابد لنا من أن نذكر بحال البلاد الإسلامية آنذاك .

ذلك أن الدولة العثمانية كانت هي الدولة الإسلامية الكبرىٰ آنذاك ، باستثناء أمبراطورية المغول التي نبعت في الهند وكان لها سياستها الخاصة ولا تعنينا هنا ، وقد سيطرت الدولة العثمانية على القسم الأكبر من العالم العربي ، بلاد الشام ، العراق ، مصر ، ليبيا ، تونس والجزائر . كما تبعتها ولو اسمياً الجزيرة العربية ، أو القسم الأكبر منها . فقد مارس العثمانيون في الحجاز نفوذاً حقيقياً . أما في اليمن فقد حاول العثمانيون احتلالها وتثبيت هذا الاحتلال ودارت معارك عنيفة بين العثمانيين وأهل اليمن فترة طويلة حتى سميت اليمن مقبرة الأناضول . كذلك كان نفوذ العثمانيين ضعيفاً في أطراف الجزيرة العربية .

احتل العثمانيون هذه البلاد باسم الدين ، ولذلك لم يثر ضدهم السكان ، وسلك العثمانيون سلوكاً معقولاً أول الأمر ، ولم يكن هناك تفرقة

وإنما حدث هذا فيما بعد أواخر القرن التاسع عشر عندما استلم الاتحاديون الحكم وميزوا بين تركي وغير تركي .

وعلىٰ الرغم من أن الأتراك حفظوا على البلاد التي كانت تحت حكمهم وحدتها وحموها من الأطماع الأجنبية حتى القرن التاسع عشر ، إلاَّ أنهم عجزوا عن تطوير أساليب الحياة الموروثة ، فقد تركوا القديم على قدمه ، ولم يبذلوا جهداً ما في سبيل نشر المعارف والعلوم والأخذ بأسباب وأساليب الحياة المتطورة المتجددة من حولهم . وكانت النتيجة أن انعزل الشعب عما يجري حوله وانطوىٰ على نفسه وانحطت الحياة الفكرية كل الانحطاط وانتشرت الأمية في طول البلاد وعرضها . ولما ضعفت الحكومة المركزية اضطرب حبل الأمن في البلاد وعدم الاستقرار أو كاد وتقهقرت الحياة الاقتصادية وتجمدت وسائل الإنتاج على ما كانت عليه سابقاً . وانحطت تبعاً لذلك الحياة الاجتماعية ، وانحط شأن المرأة وعادت العصبية البلدية والأسرية إلى الظهور .

وكان في البلاد العربية ، وبشكل خاص في بلاد الشام ومصر والعراق وشمالي إفريقية ، عدد من الأقليات غير المسلمة مثل النصارىٰ الكاثوليك والموارنة والأرثوذكس والسريان والبروتستانت والأقباط وما ماثل .

ولقد اتخذت الدول الأوربية هذه الأقليات ذريعة ممتازة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية بحجة حمايتها والدفاع عنها ، وذلك من أجل الحصول على الامتيازات التي شغل الحصول عليها حيزاً كبيراً جداً من تاريخ العلاقات الدولية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

كذلك حاولت البابوية مد الجسور بينها وبين تلك الأقليات ، واتخذت من الكلمة المطبوعة وسيلة ممتازة من أجل كسب ولاء هذه الأقليات لها . ولذا تأسست المطابع العربية في روما وصُدِّرت الكتب إلى هذه الأقليات وربطتها بها . وقد أدىٰ ذلك إلى ارتفاع المستوىٰ الفكري لهذه الأقليات ، على حين ظل المستوىٰ الفكري للغالبية العظمىٰ المسلمة من السكان راكداً

ليس فيه أية حركة أو دليل على الحياة . حتى لقد كان المرء يجد مشقة في الحصول على من يقرأ له رسالة وردته من أحد الأشخاص ، أو يكتب له رسالة إلىٰ غائب يريد إخباره بأشياء تهمه .

كما وإن البابوية وبعض الدول الأوربية حاولت التبشير بالنصرانية في بلاد المسلمين وذلك من أجل تنصير بعض المسلمين وضمهم إلى الكنيسة ، وكذلك من أجل تحويل النصارىٰ من مذهب إلى مذهب ، ولذلك لجأت، فيما لجأت إليه من وسائل إلى الكلمة المطبوعة تبثها بين الناس ، وإلى البعثات التبشيرية ترسلها إلى المدن والمراكز المهمة للدعاية لهذا المذهب أو ذاك ، وإلى المدارس تفتحها لتعليم الذين يرتادونها القراءة والكتابة وبعض المبادىء البسيطة من العلوم والمعارف الأخرىٰ ، ومبادىء المذهب الذي تتبعه المدرسة ومبادىء بعض اللغات الأوربية . وقد لاحظنا سابقاً أن أوائل الكتب العربية التي طبعت في رومه كانت كتباً دينية صرفة للتبشير بالدين النصراني وكتباً لغوية عربية من أجل التدريس في المدارس .

وكان من أولىٰ واجبات البعثات التبشيرية الحصول على المخطوطات العربية ، من أي نوع ومهما يكن موضوعها ، وإرسالها إلى مركز قياداتها . وقد تسرب إلى ديار الغرب بهذه الطريقة عدد عظيم جداً من المخطوطات . كما سنرىٰ في الفصل التالي .

ولم يكن حال مراكش التي لم تخضع للحكم التركي أحسن حالاً من بقية أجزاء العالم العربي وإنما ران عليها جهل مطبق وفقر وتقهقر في جميع الميادين جعلها لقمة سائغة للاستعمار والتبشير ومكاناً ممتازاً لشن الغارات عليه .

ولسوء الحظ ما انطبق على العالم العربي ، ينطبق على العالم الإسلامي بما في ذلك إيران ، التي شاهدت عصر انبعاث ثم دخلت في صراع مع الدولة العثمانية وأصابها ما أصاب بقية المسلمين من جهل وتقهقر وجمود وانقسام وتخاذل ونفوذ أجنبي وتبشير . كل هذا يجعلنا على يقين من

أن أحوال البلاد العربية الإسلامية كانت عاملاً مساعداً رئيسياً في الغارة الأوربية عليها واستيلاء الغرب على كنوزها وبشكل خاص المخطوطات التي يقدر عددها بالملايين ولا تقدر بثمن .

تفريطنا واهتمامهم:

إن ما أصاب العالم العربي من جهل وتفرق وجمود في الحياة العقلية ، ولا مبالاة جعل أغلب الناس يفرطون في تراثهم المخطوط ولا يبالون إن تلف أو سرق أو حرق أو أخذه القنصل الفلاني أو المبشر الفلاني . بل وجد كثير من الناس ساهموا كل المساهمة في عملية تسرب التراث المخطوط إلى ديار الغرب بوسائل قبيحة ولقاء دراهم معدودات .

وسنرىٰ فيما يلي أمثلة كثيرة على ذلك .

إن أقدم سجل عندنا يروي تدمير وإحراق مواد مخطوطة في العالم العربي هو عام ١٧٨٠ م. يذكر الجبرتي إنه تم العثور في دمياط على عدد كبير من لفائف البردىٰ فخاف شيوخ الأزهر أن يشيع السحر بين الناس ، لأن كتابتها [وهي الهيروغليفية القديمة] تشبه الرموز السحرية حسب معرفتهم ، فأمروا بإحراقها فأتلفت ، ولا ندري كم من مواد مخطوطة أحرقت وأتلفت قبل ذلك ولا يدري أحد عنها شيئاً .

وتقول السيدة بنت الشاطىء وعلى وهج النار التي التهمت مجموعة دمياط التفتت أوربا إلى هذا الكنز الذي هان على أهله ، وبدأ عملاؤها الذين كانوا يجوسون خلال الديار بحثاً عما تطوى أرضها من آثار ، يلتمسون البردي ويتسابقون على البحث عنه ويتنافسون على شراء ما يقع منه لتجار الآثار أو الفلاحين أو البدو . وامتدت هذه المرحلة إلى قرب منتصف القرن العشرين ، وفيها نشط البحث عن البردي واشتركت فيه بعثات الحفر الأثرية الأوربية ، إلى جانب نشاط علماء الآثار وقناصل أوربة وتجارها وعلمائها في تتبع ما يعثر عليه أبناء البلد من البردي ، وكان أكثر النشاط موجهاً إلى الغيوم والوجه القبلي بحكم جفاف المنطقة وقدرتها على الاحتفاظ بمثل هذه الودائع . . .

ولم تنته هذه المرحلة قبل منتصف هذا القرن الا بعد أن تسربت ذخائر العرب من بلادنا وتقاسمتها دول الغـرب من شيكاغـو إلى لينينغراد ومن فلورانسـا إلى أوسلو[1].

وكان البدو والفلاحون في منـطقة الفيـوم والوجـه القبلي ، وقد تسـامعوا بنشـاط البعثات الأثـرية ومـا كانت تـدفع من أثمـان من أجل لفـافات البـدو ، يعثرون الفينة بعد الفينة على ذخائر من هذه اللفافات أثناء بحثهم في الخرائب والأطلال والمقابر المهجورة عن بعض ما ينتفعون بـه للوقود أو للسمـاد . ومن أهم ما عثروا عليه كمية كبرىٰ من أوراق البردى العـربية في الأشمـونين حوالي سنـة ١٨٨٥ م ضم جزء هـام منها إلى مجمـوعـة النمسـا ، والبـاقي تقـاسمتـه مانشستر وهايدلبرج وهامبورغ والمكتبة الخديوية في القاهرة . وعثر فلاحو كوم اشقاو سنة ١٩٠١ م ، وتقع كوم اشقاو على سبعة كيلومترات من جنوبي غربي طمـا ، على كمية كبيـرة من لفائف البردي في مقبرة إسـلاميـة مهجـورة خلف كنيسة القرية . ولما لم يكونوا يعرفون لهذه اللفائف قيمة ، فقد أحرقوا بعضها وتركوا الباقي مكانه ، ولقد سمع عمدة القرية بما حدث . وكان قد وصـل إليه أخبـار عن تجار الآثـار واهتمامهم بهـذه اللفائف والأثمـان التي يدفعـونهـا من أجلها ، فأسرع إلى المقبرة وحمل منها مـا استطاع حمله من أوراق البـردي ، كمـا حمل الخفيـر الذي كـان يصطحبـه عدداً آخـر من أوراق البـردي . ولمـا تسامع أهل القرية بتصرف العمـدة أدركوا أن في الأمـر سراً وإن العمـدة يعرف أن لهـذه الأوراق ثمناً ، فثـارت شكوكهم فطالبوا العمـدة بنصيبهم مما عثـروا عليـه ، ولم يهدأوا حتى ظفـر كل فـرد منهم ببعض اللفائف . وتسـامـع تجـار العاديات والآثار بالحـادث ، فهرعوا من طمـا والأقصـر واخيمم يساومـون أهل القـريـة على شـراء مـا لـديهم من البـرديٰ . ووصـل الخبـر إلى مفتش آثـار أبيدوس ، فلجأ إلى مأمور طما الذي ذهب إلى كوم أشقاو مع قوة من الشـرطة أرهبت الفلاحين ، فسارعوا إلى إخفاء ما لديهم من لفائف أو إحراقه خوفاً من العقـاب . ولم يسفـر التفتيش عن نتيجـة . وأقـامت الشـرطـة حـراسـة على

(١) بنت الشاطىء . تراثنا بين ماضٍ وحاضر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ م . ص ١١٣ .

المنطقة ، وبدأ الحفر فيها بإشراف العالم الأثري كويبل J.E. Quibell. واستمر العمل في الحفر ثمانية عشر يوماً . فكان كل ما عثر عليه ثلاث برديات وبعض لفائف الرق القبطي والإغريقي . وبعد مضي بضعة أشهر ظهرت « مجموعة كوم أشقاو » التي أخفاها أهل القرية عند تاجر بالقاهرة . واستطاع الأستاذ موريتس Moritz أن يشتري قدراً كبيراً منها ، باع بعضها لدار الكتب الخديوية ، وكان مديراً لها ، واحتفظ بأكثرها لمجموعته الخاصة . كما وصلت لفائف من بردى كوم اشقاو إلى برلين وهايدلبرج ولندن وستراسبورج وموسكو ، فضلاً عما اشتراه بعض العلماء من أمثال مونستر Munster وتاشنر Tasechner من ذخائر المجموعة[1].

هذا غيض من فيض ، وكم من أمثال هذه الأعمال تمت وحدثت في عالمنا العربي ولم تصلنا أخبار عنها . يذكر الفيكونت دي طرازي أن خادماً يسمىٰ ابن السليماني عُيِّن في منتصف القرن التاسع عشر خازناً لثلاث مكتبات كبرىٰ في مساجد مصر ، وجعل له ديوان الأوقاف راتباً شهرياً قدره خمسة وعشرون قرشاً ، وكان الرجل يستعين على العيش ببيع قصب السكر ، فجعل يقف في زاوية تحت سلم مدرسة السلطان حسن ، ويضع بجانب بضاعته من القصب أكواماً من مخطوطات المكتبات الثلاث ويبذلها لمن يدفع له القرش والقرشين[2].

كذلك تذكر السيدة بنت الشاطىء نقلاً عن أحد أساتذتها ما يلي : « وقد حدث شاهد عيان من أساتذتنا ، إنه رأىٰ بعينيه خادم مسجد المؤيد يملأ السلال بنفائس المخطوطات ويبيعها لمن يطلبها بثمن بخس ، وربما قبل بعض القوت عوضاً عن الثمن[3] » .

---

(١) نفس المصدر. ص ١١١ ـ ١١٢ .

(٢) طرازي ، فيليب دي . خزائن الكتب العربية في الخافقين . بيروت ،دار الكتب ج ٢٠ ـ ج١ ص ١٩٠ .

(٣) بنت الشاطىء . المصدر المذكور آنفاً . ص ٣٨ .

وتروي نفس السيدة قصة جرت لها بحداثتها تتعلق بإهمال المخطوطات والعبث بها وإتلافها نوردها فيما يلي .

ولم تكن حال المخطوطات في بيوتنا بأحسن من حالها بين أيدي ابن السليماني وأمثاله . وقد مضىٰ جامعوها وآلت إلى خلف لهم يجهلون قيمتها ويضيقون بها .

وأذكر فيما اعي من ذكريات طفولتي ، قاعة مظلمة مهجورة في بيت جدي لأمي بدمياط كدست فيها أكوام من المخطوطات معفرة بالتراب تعبث فيها العتة والقرضة ، وبين حين وآخر ، كانت أوراق منها تؤخذ فينفض عنها التراب وتستخدم في بعض الأغراض المنزلية الهينة دون تهيب أو تحرج ، وربما تسلل صغار الأسرة ـ وأنا منهم ـ فحملوا منها وقوداً للحرائق الصغيرة التي جرت عادتنا على إشعالها في الصبح الباكر من شم النسيم ، دون أن نعي ما بذل جدنا الكبير ـ وقد كان شيخاً للأزهر ـ من عمره وماله ، لهذا التراث الذي نعبث به ونلقي به في لعبنا وقوداً للنار[1] .

وقد تكرر حدوث هذا في كل أجزاء وطننا العربي في بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية وشمالي افريقية ، لأن مصيبتنا واحدة وهي الجهل المزري المطبق والإهمال الذي أصاب كل مرافق الحياة . ولا عجب فالجاهل يفعل بنفسه ما لا يفعله العدو بعدوه .

ففي بلاد الشام حدثت أشباه كثيرة لما حدث في مصر ، ولم يقيض لنا من يحدثنا عن مثل هذه الأمور إلاّ عدد قليل جداً من العلماء الغيورين على التراث ، وعلى رأسهم المرحوم الأستاذ العلامة محمد كرد علي ، فقد سجل أشياء تؤلم وحوادث توجع عما حل بتراثنا على أيدي نفر منا وذلك في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين .

يحدثنا كرد علي في كتابه خطط الشام عن أمثال هذه المآسي ، وهو الخبير في الموضوع العارف بأهميته فيقول :

---

(١) نفس المصدر. ص ٣٩.

« ومن المصـائب التي اصيبت بهـا الكتب أن بعض دول أوربـا ومنهـا فرنسا وجرمانيا وبريطانيا العظمىٰ وهولاندة ، وروسيا أخذت تجمع منـذ القرن السـابع عشـر كتباً تبتـاعها من الشـام بواسـطة وكلائهـا وقنـاصلهـا والأسـاقفـة والمبشـرين من رجال الـدين . وكان الجهـل قد بلغ ببعض من اتسمـوا بشعار الـدين ومن كان يـرجع إليهم أمـر المدارس والجـوامع أن يفضلوا درهمـاً على أنفس كتاب ، فخانوا الأمانـة واستحلوا بيع مـا تحت أيديهم أو سـرقة مـا عند غيرهم والتصرف به . حدثني الثقة أن أحد سماسرة الكتب في القرن الماضي كـان يغشىٰ منازل بعض أربـاب العمائم في دمشق ويختلف إلى متـولي خزائن الكتب في المدارس والجوامـع فيبتاع منهـا ما طـاب له من الكتب المخـطوطة بـأثمـان زهيـدة . وكـان يبيعهـا على الأغلب ، وأغلبهـا في غيـر علوم الفقـه والحديث من قنصل بروسيا إذ ذاك بمـا يساوي ثمن ورقهـا أبيض ؛ وبقي هذا سنين يبتاع الأسفار المخـطوطة من أطـراف الشام حتى اجتمـع له منهـا خزانـة مهمة رحل بها فأخذتها حكومته منه وكافأته عليهـا . والغالب أن معـظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الأمة في برلين هي من هذا القطر » .

ومـن الـخزائن المشهورة التي بعثرت في عهدنـا ولم نعرف متى جمعت خزانة قبـة صحن الجامـع الأموي ، وكـانت مملوءة برقـوق نفيسة فتحت سنـة (١٣١٧ هـ ـ ١٨٩٩م) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني إجابة لمقترح الأمبراطور غليوم الثاني الألماني (١٨٨٨ ـ ١٩٤١ م) فعثروا فيهـا على قطع من الـرقوق كتبت فيهـا سور من القـرآن الكـريم بـالخط الكـوفي ، ومنهـا قـطع مهمـة من مصاحف وربعات وقـطع من الأسفار المقـدسة بـالآرامية الفلسـطينية وكتـابات دينية وأدبيات دينية وقصص رهبانيـة ومزاميـر عربيـة مكتوبـة بالحـرف اليونـاني ومقاطع شعـرية لأوميـروس وكراريس وأوراق بـالقبطيـة والكرجيـة والأرمنية في موضوعات دينية ، وجـذاذات عبرانيـة وسامـرية فيهـا نسخ من التـوراة وتقاويم أعياد السامريين وصلوات وصكوك للبيع والأوقاف وعهـود زواج وبينها مقـاطيع لاتينيـة وإفرنسيـة قديمـة وقصائـد شعريـة يرتقىٰ عهـدها إلى أيـام الصليبيين ، ونسخ إنجيل برقوق . فأهدىٰ السلطان بعضها لعاهل ألمانيا ، ووزع قسم منها

على بعض رجال الأستانة ورجال دمشق ، واستخلصتُ بعض قطع منها حفظت الآن في دار الآثار في دمشق ، وأهمها تلك القطعة الكوفية المكتوبة على رق من ربعة شريفة وقفها عبد المنعم بن أحمد سنة ١٢٩٨ م ، وعلى الوجه الثاني نقش مذهب باسم واقفها. ورأى شيخنا طاهر الجزائري في تلك القبة جزءاً مكتوباً عليه إنه حبس على مشهد زين العابدين صلوات الله عليه وعلىٰ أبنائه الأئمة سنة نيف وسبعين وأربعمائة[١].

ويذكر نفس الباحث مأساة دير صيدنايا الواقع في جبل القلمون شمالي دمشق فقد ذكر أنه كان يوجد في هذا الدير خزانة كتب حافلة بالمخطوطات النادرة ولا سيما السريانية ، فحاذر وكلاء الدير من كثرتها أن تكون حجة بيد السريان يتقوون بها على إثبات حقوقهم في الدير ، فأجمع رأيهم على إخراجها وإتلافها تخلصاً منها ، فجمعوها ، ومعظمها من النفائس المخطوطة على رق، وبدأوا يحرقونها وقوداً للفرن خبزوا عليه خبزتين. وكان هذا من نحو عشر سنين ومائة سنة . وهو عمل مَثَّل الجهل المطبق والتعصب الممقوت. وكم وقع من حوادث إفرادية على مثل هذه فضاعت فيها الكتب ولم تبلغنا تفاصيلها .

ومما أعان على تشتت الكتب أن بعض من أولعوا في العهد العثماني بتسنم ذرىٰ المناصب والقضاء ، وكان لهم مشاكل وقضايا يريدون حلها مع المراجع العليا ، أو لمجرد التقرب والتظرف كانوا يمعنون في مهاداة من يتوقعون الخير منهم بالكتب. وبذلك رحلت إلى الأستانة وغيرها أحمال من المخطوطات على هذا الوجه أيضاً ، فغدت هذه الهدايا في جملة مصائب الخزائن[٢].

---

(١) كرد علي ، محمد . خطط الشام . الطبعة الثانية . بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٧١ م ، ج ٦ - ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) نفس المصدر . ص ١٩٤ - ١٩٥ .

كذلك هناك رواية رواها شاهد عيان هو السيد محمد بن عمر الكيالي من أهالي حلب ، وذلك في كتابه الحلة السنية للرحلة الشامية . وقد ألفه سنة ١٢٣٣ م وفيه يروي أنه زار قلعة حلب « وصلّىٰ الظهر في مسجدها ، ثم تشرف بمشاهدة المصحف العثماني ذي النور الساطع ورأى في بعض الكلمات أثار الدم التي هي براهين وبنيات على شهادة عثمان رضي الله عنه » .

وقد وردت هذه القصة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٣ م عدد تشرين أول .

ويستطرد كاتب المقال عن مصير ذلك المصحف العثماني ، ألا يزال موجوداً هناك ؟ أم نقل إلى الأستانة قبل الحرب العالمية الأولىٰ وحفظ في متحف الأوقاف الإسلامية ؟ أم ـ على ما يقال ـ أخذه أمبراطور المانيا يوم زار بلاد الشام حتى قررت معاهدة سيفر إعادته إلى المسلمين وتسليمه للملك حسين ملك الحجاز ؟ وهل استلمه الملك حسين أم بقي لدىٰ الألمان ؟[1] .

هذه نبذ وصور من تفريطنا في تراثنا وعدم محافظتنا عليه والسماح للآخرين بأخذه والاستفادة منه . وهي صور قاتمة ومرعبة ، وعلى الرغم من مضي الزمن وانتشار التعليم في العالم العربي واشتداد الوعي بالنسبة لمثل هذه الأمور ، إلاّ أن الصورة لم تتغير كثيراً . فمكتبات العالم العربي التي تحوي ما تبقىٰ من ذلك التراث ليست معدة إعداداً فنياً له . فأولاً المجموعات التراثية فيها ليست مفهرسة ولا مصنفة حسب أنظمة التصنيف والفهرسة العالمية . كذلك موضوعة في أماكن غير مهيئة لحفظ المخطوطات . فالمخطوطات ، لكي تكون في أمان ، يجب أن تخزن في أماكن درجة حرارتها ثابتة ودرجة رطوبتها ثابتة ، كما وإن المواد التي استعملت في بناء أماكن الخزن يجب أن تكون من المواد المقاومة للنار والحريق ، بل والمستعصية على النار والحريق . أضف إلى ذلك أن خدمات الأفلام الصغيرة

(١) بنت الشاطىء . المصدر المذكور آنفاً . ص ٨٠.

عندنا مفقودة أو تكاد تكون مفقودة . على حين أن جميع هذه الشروط متوفرة في ديار الغرب . فالمخطوطات مخزونة في أماكن ضد النار والحريق ودرجة الحرارة والرطوبة فيها ثابتة ، كما وإنها منظمة تنظيماً يضمن حسن الاستفادة منها . أضف إلى ذلك أنها كلها جاهزة في أشرطة مصغرة أو على بطاقات مصغرة أو أوراق جلاتين مصغرة [المايكروفيلم والمايكروكارد والمايكروفيش]، فإذا أراد أحد الباحثين الاطلاع على مخطوط بعينه فإنه لا يراه وإنما يعطي أحد هذه الأنواع الثلاثة يستعين بها في تحقيق مخطوطه . على حين أن هذه الأشياء لا تزال تظلع في العالم العربي . إلى جانب أن المخطوطات لديهم محمية من العث والأرضة وغيرها من الآفات ، على حين أنها عرضة في العالم العربي للحرق والغرق وآفات الحشرات وسوء الاستعمال والسرقات الكثيرة .

والآن ننتقل فنعطي القارىء نبذاً عن اهتمام العالم الغربي بتراثنا وطرق حفظه والاهتمام به .

لقد اهتم الغربيون بتراثنا اهتماماً لا يوازيه الا تفريطنا وإهمالنا . وقد انفقوا الأموال الطائلة وبذلوا الجهود المضنية في سبيل حفظه وصيانته ونشره وتهيئته للدارسين وفي سبيل دراسته وتحقيقه ، وقد ظهر في الغرب مستشرقون بلغوا الغاية القصوىٰ في دراستهم الجادة للإسلام والشرق واللغة العربية ، ومنهم من أمضىٰ عمره وهو يبحث وينقب ومنهم من أنفق الكثير من صلب ماله في سبيل البحث والدرس في مثل هذه الموضوعات . ولنضرب على ذلك مثلاً بالمستشرق الإيطالي الأمير كاتياني المتخصص في دراسة تاريخ الإسلام ، فقد جهز على نفقته الخاصة ثلاث قوافل لترتاد مناطق الفتح الإسلامي وترسمها طبوغرافياً وجغرافياً ، وجمع كل الدوريات والمرويات عن حركة الفتوح ، في العربية والسريانية واللاتينية وقابلها واستخلص منها تاريخ الفتح الإسلامي في تسعة مجلدات بعنوان حوليات الإسلام **Annali del Islam** وبلغ بها سنة ٤٠ للهجرة . وكان حين الطبع يبعث بتجارب المطبعة إلى المتخصصين في الموضوع لإبداء ملاحظاتهم عليها ، ثم طبع الحوليات طبعة

فاخرة ووزعها على الدوائر العلمية ، وكلفته هذه العملية كل ثروته الطائلة فأفلس[1] .

نقف هنا لنسأل أنفسنا لم فعل هذا الرجل ما فعل ؟ هل هو مجنون أم معتوه ؟ أم إنه مغرم بحب العرب والمسلمين إلى الحد الذي جعله يضحي هذه التضحية الكبرى في سبيل ما عمل ؟ الواقع لاشيء من هذا ينطبق عليه ، وإنما هي همة القوم في خدمة أغراض التبشير والاستشراق والاستعمار المعروفة ، فهو يسجل اعترافاً صريحاً في مقدمة حولياته أنه إنما يريد أن يفهم سر المصيبة الإسلامية Catastrophica Islamica التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض ما يزالون حتى اليوم يدينون برسالة محمد ويؤمنون به نبياً ورسولاً[2] .

ثم نسأل سؤالاً آخر : هل في دنيا العروبة والإسلام من أقصاها إلى أقصاها من هو مستعد لعمل ما عمله هذا المستشرق الأجنبي في خدمة أهدافه ، وهي أهداف نؤمن نحن جميعاً أنها أهداف غير حقيقية وغير إنسانية وعدوانية في طبيعتها ؟

كذلك نذكر مثلاً آخر ذكرته السيدة بنت الشاطىء في كتابها المذكور على العناية التي بذلها الروس من أجل الحفاظ على مصحف يقال إنه مصحف عثمان الأصلي رضي الله عنه .

هذا المصحف موجود الآن في متحف تاريخ شعوب أوزبكستان في طاشقند عاصمة الجمهورية الأوزبكستانية .

هناك رواية تقول أن تيمورلنك نقله إلى سمرقند عاصمته مع جملة ما نقله من ذخائر الإسلام من البلدان الإسلامية التي اجتاحها ودمرها ونهبها .

يبدو أن هذه الرواية هي رواية المؤرخ الروسي المسلم الرمزي التي

---

(١) نفس المصدر . ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر . ص ٥١ .

يذكرها في كتابه تلفيق الأخبار وتنقيح الآثار في وقائع قازان وبلغار. وقد صدر الكتاب في قازان سنة ١٩٠٧ م . يتحدث هذا المؤلف في كتابه هذا عن « ختمة شريفة أهديت إلى السلطان بركة ـ من ملوك المغول المسلمين ـ يذكر أنها بخط الخليفة عثمان ، بغلاف أطلس مزركش ضمن درج أحمر من الجلد ، على كرسي من أبنوس وعاج مطعم بالفضة » ولا يستبعد المؤلف أن يكون هذا المصحف هو الذي حمله تيمورلنك من مدينة سراي إلى سمرقند .

وهناك رواية أخرىٰ تذكر أن طبيباً من إقليم أوزبكستان عالج أحد السلاطين الترك من مرض عضال ، فلما خيره السلطان في المكافأة أختار مصحف عثمان هذا ، ومنه انتقل إلى شيخ مسجد سمرقند . كما وإن هناك رواية ثالثة تقول أن السلطان التركي شفي من مرضه ببركة ولي الله « حاج إصرار قسطنطيني » ودعواته فأهداه هذا المصحف الثمين ، ورحل به الحاج إصرار إلى سمرقند حيث عثر عليه في مدفنه هناك . هذه هي الروايات المختلفة عن أصل هذا المصحف وكيفية وصوله إلى سمرقند . أما ما حدث بعد ذلك فمعروف .

ففي سنة ١٨٦٩ م غزت قوات روسية القيصرية إقليم أوزبكستان ، وكالعادة لما تحقق النصر للغزاة حملوا معهم ، فيما حملوا ، نفائس المخطوطات إلى بطرسبورج ومن جملتها هذا المصحف الأثري الذي تولىٰ الجنرال فون كاوفمان مهمة نقله ، مما يدل على أن المسألة لها وجه سياسي وآخر عسكري يتصل بما نعرف من حركة الاستشراق آنذاك وارتباطها بالاستعمار . هذا وإن قائد الحملة قرر نقل المصحف إلى بطرسبورج وبرر ذلك بأنه « ليست له قيمة عند أهله ، بل هو مجرد أثر يخص امراء بخاري ، وقد ظل بها مئات السنين دون أن يستطيع أحد قراءته أو الانتفاع به » وهذا قول ظاهره حق ، ولكنه يخفىٰ رغبة الحكام في نقل المخطوطات من بخاري وسمرقند إلى بطرسبورج .

وفي بطرسبورج بدأت مرحلة جديدة للمخطوط حيث كان في انتظاره ، مع بقية المخطوطات ، لجنة من الخبراء قامت بفحصه وعكفت على

ترميمه ودراسته وصيانته . وكان المصحف قد وصل من الشرق بحالة سيئة كل السوء ، فمن بين صفحاته البالغ عددها ثلاثمائة وثلاث وخمسين صفحة لم يسلم سوىٰ خمس عشرة صفحة من عبث الحشرات وأفاعيل البلى . وبقي المصحف في بطرسبورج مصوناً نحو نصف قرن ، حتىٰ إذا نشبت ثورة اوكتوبر سنة ١٩١٧ م واستلم لينين الحكم ، تقدم مسلمو أوزبكستان بطلب يطلبون منه العمل على نقل هذا المصحف إلى طاشقند . وقد استجاب لينين لطلبهم ونقل المصحف المبارك من لينينغراد (بطرسبورج سابقاً قبل الثورة الإشتراكية) إلى طاشقند عاصمة أوزبكستان بعد أن صارت ولاية روسية . وقد تم النقل سنة ١٩٢٢ م حيث أودع في المتحف التاريخي لشعوب أوزبكستان موضوعاً في علبة من الخشب الثمين داخل صندوق من فولاذ وإلى جانبه وعاء من الزجاج مملوء بسائل كيماوي ، لعله كافور ، للوقاية من الحشرات(١) .

كذلك لابد لنا هنا من ذكر أوراق البردىٰ العربية التي اكتشفت في مصر وانتقلت إلى أوربة ، ذلك أنها مواد مكتوبة ومن صلب تراثنا الحضاري .

تبدأ قصة الفحص والتنقيب عن أوراق البردى في مصر وانتقالها إلى أوربة منذ عام ١٨٢٤ م . حين عثر بعض الفلاحين في منطقة سقارة على ابريق صغير من الفخار فيه برديتان عربيتان ظفر بهما هاوي الأثريات المصرية برناردو دروفيتي Bernardo Drovetti قنصل فرنسا في مصر وبادر فقدمهما هدية إلى المستشرق الشهير سلفستر دوساسي الذي اهتم بدراستهما ، كما درس معهما برديات عربية أخرىٰ أهداها القنصل الانكليزي هنري سات Henry Satt إلى الملك لويس الثامن عشر. ومرت سنوات كثيرة والأمر على ما هو عليه . ثم عثر الفلاحون فجأة على أكوام من البردي في الخرائب المهجورة لأطلال مدينة أرسنوحي القديمة ومكانها الحالي كوم فارس في صيف سنة ١٨٧٧ م ، وعرضت هذه المجموعة من أوراق البردىٰ للبيع فاشتراها ج ترافرس G. Travers قنصل المانيا في القاهرة وأرسلها من فوره إلى المتحف المصري في

---

(١) نفس المصدر. ص ٧٧ ـ ٧٩ .

بـرلين . وفي شتاء العـام نفسه عثـر سكان الفيـوم على مجموعـة ضخمـة من البردى في خرائب كوم الحرانية اشترىٰ ترافرس أكثرها ، وذهب قـدر منها إلى متحف اللوفـر في بـاريس ، وقدر آخر اشتـراه بـورجسن وروجـرز القنصـل البريطاني في القاهرة . وانتقل بفضل جهود شيترن Stern إلى ملكيـة المتحف المصري في برلين سنة ١٨٨١ م .

وخلال هذه المدة انتبه المستشرق النمساوي كراباتشك J. Karabacck إلى أهميـة البردى بعـد أن كان متفـرغـاً لـدراسـة السجـاجيـد الشـرقيـة وفن النسيج . فقد صدف أن أرسل إليه مواطنـه تيودور غـراف Theodor Graf من القاهرة مجموعة من قطع النسيج الأثرية معهـا عدد من لفـائف البرديٰ لم يكن كراباتشك قد رآهـا من قبل ، وعنـدما وقـع بصره عليهـا أدرك مالهـا من أهمية وقيمـة أثريـة لا تقدر بمـال وبادر فـأرسل إلى غـراف يلفته إلى أهميـة البـرديٰ ويطلب إليه أن يسعىٰ لجمعه وإرسالـه إلى فينا . وبهـذا بدأ دخـول النمسا في التسابق على الظفر بكنوز البرديٰ ، وكان تيودور غراف هـو الذي سـاهم بأكبـر جهد في هذا السباق ، بمهارته وخبرته ومعرفته بمصر ، بعد إقامته بها سنـوات طويلة مستشاراً لبيت تجاري كبير .

وبعـدها اتسـع نـطاق البحث عن البـرديٰ فشمـل أكثـر منـاطق الصعيـد وشاركت الدلتا مع ذلـك في إضافـة قدر من الـذخائـر حيث عثر في الفسـطاط على برديات عربية من عصـر الفتح ، وأخـرىٰ من العهد الفـاطمي ، كما عثـر على قليـــل من أوراق البـرديٰ العـــربيـة قـــرب طنـطا وفي كـــوم القلزم قـرب السويس . ولم يترك الأمر للصدفة بل شاركت بعثـات أثـرية وعلمـاء حفريـات من أوربة في هذا النشاط إلىٰ جانب ما كان الفلاحون والبدو يعثرون عليـه بين الخرائب والأطلال. ومن أشهر العلماء الذين اشتغلوا بالبحث عن كنـز البردي شفـــاتيفــورت Shweinfurth (١٨٨٦ م) ويــوجنــت Jougnet (١٩٠٠) . وعثـرت بعثة الحفـريات الألمـانية بـإشـراف روبنســون ١٩٠٢ ـ ١٩٠٥ م علىٰ وثـائق هامـة ، ثم استأنفت نشـاطها من آذار سنـة ١٩٠٨ م بـإشـراف فيـريـك وتسـوكر Viereck and Zucker في منـطقـة الأشمـونين . وفي عـام ١٩١٠ م

عثرت البعثة الألمانية برئاسة شوبرت وتسوكر في عرب الكوم على برديات هامة وصكوك قبطية من القرنين السادس والسابع ميلاديين . وشارك الإيطاليون في الحفريات اعتباراً من عام ١٩٠٣ م فاكتشف فيلكن وشوفر Willcken and Schofer أكواماً من البردي العربية في أبو صير عام ١٩٠٤ م .

وقام جرنفيل وهانت Grenfell and Hunt بعدة حفريات في البهنسا سنة ١٨٩٦ م. وفي الفشن سنة ١٩٠٢ م كشفت عن برديات عربية هامة . وعثر الانكليز على كمية ضخمة من لفائف البردي الإغريقية . واشتغلت البعثة الفرنسية البولندية بالحفر فحصلت على نتائج هامة . وبدأ المعهد الفرنسي للآثار حفرياته في أدفو سنة ١٩١٤ م ثم تعطلت بسبب الحرب العالمية إلى أن استؤنفت في ديسمبر سنة ١٩٢١ م بإشراف سان بول جيرار Saint Paul Girard فعثرت على برديات عربية مهمة وعلى عقدين تجاريين على الرق ولوحات من الطين والخشب عليها كتابات عربية وقبطية . وظلت البعثات الأثرية تمارس نشاطها في البحث عن كنز البردي نحو نصف قرن . ففي سنة ١٩٣٧ م عثرت بعثة جامعة وارسو بالإشتراك مع المعهد الفرنسي للآثار على سبع برديات عربية في أطلال أدفو ووثائق أخرىٰ أثرية مدونة على الرق . كما عثرت البعثة الإيطالية للآثار المصرية Missione Archologica d'Egitto برئاسة الأستاذ فوليانو Vogliona في العام نفسه على مجموعات غنية من البردي الإغريقية والقبطية وبعض صكوك عربية للضرائب من القرن الثالث هجري[1].

والمؤلم في الموضوع أن مصر نفسها كانت في شغل عن المشاركة في البحث عن آثارها ولا تسجل السجلات أية مشاركة من هذا النوع الا ما ذكره جروهمان في كتابه أوراق البردي العربية من أن تاجراً عربياً اسمه الشيخ حسن قام بحفريات خفية في منطقة الفشن بقصد السرقة . ولكنه لا يذكر ما عثر عليه هذا الشيخ من آثار وكنوز .

---

(١) نفس المصدر . ص ١٠٩ ـ ١١١ .

بعد هذا العرض اتضح لنا بما لا يقبل الجدل والشك تفريطنا واهتمامهم . وهذه حقيقة يجب الاعتراف بها شئنا أم أبينا . ونحن وإن كنا نألم لما حدث ، إلاَّ أننا نحمد الله تعالىٰ أن قيض لتراثنا غيرنا ممن هم قادرون علي حفظه وصيانته ونشره وإذاعته بين الناس . سيقول البعض إن في هذا انحرافاً لصف المستشرقين والمستعمرين ، ولكن الأمر ليس كذلك فلو لم يهتم القوم بهذا التراث لتلف وتبدد أيدي سباً وزال من الوجود ، وزالت معه مخلفات حضارية لا تعوض ولا تقدر بثمن . ونحن نعلم أن الغرب فعل ما فعل ليس من أجلنا ولا من أجل مصلحتنا ، ولكن من أجل مصلحته هو لإحكام سيطرته علينا وامتصاص خيراتنا واستعمارنا وإذلالنا . ولكن تبقىٰ الحقيقة وهي إننا فرطنا وهم أبدوا اهتمامهم .

أعطيت ملكاً فلن تحسن سياسته ومن لا يحسن سياسة الملك يُضَيِّعه

هذا وقد تفرقت أوراق البردى العربية في دول أوربا كالنمسا والمانيا وإيطاليا وفرنسا وانكلترا وروسيا وغيرها، فقد حدث لها كما حدث للمخطوطات العربية تماماً .

وهذه الأوراق لها قيمة كبرىٰ في دراسة التاريخ الإسلامي ، فعن طريقها عرفت أسماء ملوك عظماء شيدوا آثاراً خالدة ،* وأمكن معرفة سيرة كثير من ولاة مصر وخاصة في العهد الأموي والعباسي ، وأمكن معرفة أشياء كثيرة عن نظام الدواوين وأحوال مصر الإدارية ونظمها الاقتصادية والحالة الاجتماعية ، ونعلم عن طريقها أثمان المواد النسيجية والصناعية والأراضي الزراعية والعقارات وقيمة النقود النسبية .

أما الحياة الداخلية فقد اتضحت صورتها عن طريق هذه الأوراق التي كشفت أموراً دقيقة ذات تأثير في مجرىٰ الحوادث الجارية في الداخل .

وأوراق البردىٰ العربية الخاصة بمصر تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية وقسم آخر مكتوب باللغة العربية . . . وهذه تحوي مراسلات إلى الوالي أو الخليفة في أمور الدولة المالية والعسكرية ، ومنها ما يتعلق

بالشؤون الاقتصادية للبلاد وتنظيم الخراج وكيفية جبايته ، وهناك مجموعة من الوثائق الفقهية من عتق وزواج وميراث وعقود بيع وشراء ؛ وتقدم لنا هذه الوثائق معلومات لفهم حياة الأولين والأساليب التي اتبعوها في معاملاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[1] .

ولم تظفر مصر ، كالعادة ، من تراثها هذا إلاَّ بالقليل النادر . فلم يزد عدد البرديات العربية الموجودة في دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة على الفي بردية . ويمكن موازنة مجموعة برديات القاهرة ، من حيث العدد والمرتبة العربية ، بالمجموعة من البرديات العربية التي تمتلكها هايدلبرج في ألمانيا ، ذلك أن مجموعة القاهرة تضم نصوصاً على جانب كبير من الأهمية العلمية والقيمة الأثرية. وجدير بالذكر أن دار الكتب المصرية حاولت من فترة بعيدة نشر محتويات هذه البرديات، أو القسم المهم منها، فعهدت إلى المستشرق أدولف جروهمان بهذه المهمة . فقام بدراستها وتحقيقها ونشر ما درسه وحققه في عدد من المجلدات ، وتولىٰ الأستاذ حسن إبراهيم حسن وآخرون نقل هذه الدراسة إلى اللغة العربية وبلغ عدد ما نقل حوالي سبعة مجلدات . وفيما يلي بيان بمجموعات البرديات المنتشرة في عواصم العالم الغربي ومدنه الرئيسية وجامعاته المشهورة .

(أ) مجموعة النمسا :

هناك مجموعتان من أوراق البردىٰ في النمسا الأولىٰ في فينا وتسمىٰ « مجموعة الأرشيدوق رينر» وهي أهم وأضخم مجموعة أوراق بردىٰ في العالم . والثانية مجموعة انسبروك Innsbruck وهي مجموعة مؤلفة من مائة وأربع برديات أقتنتها الجامعة [جامعة أنسبروك] عن طريق جروهمان، وفيها برديتان من الأشمونين ، أما الباقي فمما عثر عليه في الفسطاط وقرب طنطا على ندرة ما أعطىٰ الوجه البحري من هذه الذخائر .

أما مجموعة الأرشيدوق رينر والمودعة في خزائن البرتينا بالمكتبة الوطنية

---

(١) حمودة ، محمود عباس . تاريخ الكتاب الإسلامي . القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٩ م . ص ٧٥.

في فينا فهي ، كما سبق وقلنـا ، أهم مجموعـة من نوعهـا في العالـم وتستحق حديثاً أكثر تفصيلاً عن طرق جمعها ومحتـوياتهـا وكيف صارت إلى مـا صارت إليه . وإن ما جرىٰ من أجل مجموعة فينا ، جرىٰ مثله أو قريب منه ، بصـورة أو أخرىٰ ، من أجل بقية مجموعات البردىٰ الموجودة في الدول الأوربية .

لم تشتـرك النمسا في السبـاق من أجل الحصـول على أوراق البردىٰ إلاَّ في أواخـر القرن المـاضي ، وذلك بفضـل جهود إثنين من المستشـرقين الأول كراباتشيك والثاني غراف ، وهما اللذان كسبا للنمسا مجموعتها الكبرىٰ . كان كراباتشيك مهتماً بفن النسيـج الشرقي وكـان الآخر مشغـولاً بتجارة السجـاد . وكان الإثنان مقيمين في القاهرة فتوطدت بينهما أواصر صداقة متينة ، وبلغ من اهتمام كراباتشيك بفن النسيج الشرقي إنـه أغرىٰ غـراف بالحفـر في المناطق الجـافة بـالصعيد عن مقـابر العصـور التي تلت عصر الفـراعنة بمصـر املاً في العثور على خرق من النسيج من عهد الإغـريق والرومـان . وكانت مفـاجأة أن بعث إليـه صاحبـه بين عـامي ١٨٨١ و١٨٨٢ م بعض لفـافـات البـردىٰ ضمن مجموعة من قطع النسيج القديمة ؛ ومن هنا بدأ اهتمـام كراباتشيـك بالبردي المصري وبدأت معه قصة المجموعة الثمينة من أوراق البردىٰ المصـرية والتي تعدها النمسا اليوم من أمجد مآثرها على تـاريخ الحضـارة . فما كـادت تصل هذه البرديات إلى العالـم المستشرق حتى لفت نظر صـديقه التـاجر إلى أهميـة هذه اللفائـف، وألح عليه في بذل أقصىٰ الجهد في سبيـل الحصول على أكبـر كمية منها .

ولم يكن للقناصل الأوربيين الذين جندتهم دولهم للسباق على الكنز قبل تنظيم البعثات الحفرية من الخبرة بالسوق والصلة بـأبناء البلد مثـل ما لهـذا التاجـر الخبير الذي لم يكد يدخل الميدان حتى خرج من الجولة الأولىٰ بمجموعة من لفائف بردى الفيوم واهناسيا مقدارها عشرة الآف بردية ، ظهر بعد الفحص أنها مكتوبة بست لغات منها ثلاثة الآف بردية عربية . وعرفت برديات هذه الصفقة في الدوائر العلمية في أوربا باسم مجموعة غراف أو مجموعة الفيوم الأولىٰ .

تلقىٰ كراباتشيك هذه البضاعة وهو لا يكاد يصدق أنها صارت بحوزته . وكشف الفحص السريع لما تم تنظيفه وتطريته عن وجود نصوص ذات أهمية فائقة . ومع ذلك لم يبد المتحف النمساوي رغبة في شراء هذه المجموعة الثمينة واقتنائها ، وعبثاً حاول كراباتشيك أن يقنع المسؤولين بضرورة شرائها ، وخاصة بعد أن تحرج الموقف ، فقد دفع التاجر غراف ثمنها من ماله الخاص ، وقد طال انتظاره للبت في موضوع شراء النمسا لها ، في نفس الوقت الذي تعرض فيه لضغط الحاح شديد ومساومة مرهقة وإغراء عنيف من بعض الدول الأوربية وبخاصة من ألمانيا التي أبدت استعدادها لشراء المجموعة بالثمن الذي يرضيه ، وبدا كأن النمسا توشك أن تفقد ما وصل إلى عاصمتها من كنز البردي لولا أن سعي كراباتشيك لدىٰ الأرشيدوق رينر Rainer راعي المجمع العلمي آنذاك ، ونجح المسعى فدفع الأرشيدوق ثمن المجموعة كلها وأبقاها باسمه في متحف فيينا ، ثم أضاف إليها المجموعة التي اقتناها « كرال » أثناء مقامه بمصر سنة ١٨٨٢ م ، كما آلت إلى رينر بعد ذلك مجموعة العالم الأثري شفانيفورت Schweinfurth التي عرضها للبيع في القاهرة سنة ١٨٨٦ م ونجح التاجر غراف في شرائها ، وهي التي تعرف بمجموعة الفيوم الثانية . وظل الرصيد ينمو بما أضيف إلى مجموعة غراف مما كان غراف وغيره يرسلونه إلى فيينا من جديد مما يعثر عليه من لفائف البردىٰ المصرية. ومن هذه اللفائف كتاب الموتىٰ Totenbuch الذي أحضره هانريش Heinrich، ومخطوطات من هو ميروس جاء بها فيسيلي Wessely ، فضلاً عما اشتراه العالم الأثري غراف لاندبيرج Graf Landberg الذي كان يقوم آنذاك بحفريات في الجنوب الغربي موفداً من مجمع فيينا للعلوم . وقد الح عليه زميله كراباتشيك أن يمر بالقاهرة في خريف عام ١٨٩٨ م . وقد تم في العام المذكور شراء الآف من ملفات بردىٰ الأشمونين تمتاز بدقتها وتفوقها ولونها البني الفريد . وكانت كل المشتريات تتم لحساب الأرشيدوق رينر Arzhezog Rainer وتضاف إلى مجموعته التي بقيت في متحف الفنون بين أيدي الخبراء والدارسين .

وقد بلغت مجموعة رينر قبل سنة ١٨٩٩ م نحو سبعين ألف بردية . وفي آب سنة ١٨٩٩ م قدمها الأرشيدوق إلى مكتبة البلاط الأمبراطوري هدية منه للأمبراطور بمناسبة عيد ميلاده وهو الأمبراطور فرانسوا جوزيف . وكان كراباتشيك قد عين مديراً للمكتبة قبل ذلك حيث عاش ما بقي من عمره متفرغاً للمجموعة ينميها ويرعاها ويفحصها ويدرسها بمعونة عدد من الخبراء والعلماء إلى أن مات في التاسع من تشرين الأول سنة ١٩١٨ م . وبقيت المجموعة من بعده في مبنىٰ البرتينا بمكتبة فيينا ذخيرة وطنية غالية ومزاراً للعلماء والسائحين من أرجاء العالم الغربي المعاصر .

وهناك رسائل تبودلت بين عالم الآثار كراباتشيك وصديقه التاجر غراف حول البردى والبحث عنه وشرائه تكشف بوضوح كيفية الحصول على هذه الكنوز من البردى . وقد نشرت هذه المراسلات لأول مرة عام ١٩٦٠ م .

وفي رسالة بعث بها غراف إلى كراباتشيك سنة ١٨٨٢ م تكشف عن قلقه البالغ بسبب أحداث الثورة العرابية مما يمكن أن تسببه من تعطل التجارة بعد أن تقدم العمل في البردي بسرعة مدهشة ونجاح باهر ، ولكنه استطاع أن ينظم العمل بفضل رجاله من الاعراب الذين كانوا يجوسون خلال الديار ويحملون البضاعة إليه حيثما كان « رجالي العرب قد تعلموا الآن جيداً ، ودربوا على العمل تدريباً طيباً . وحتى في حالة اضطراري إلى الغياب عن مصر فإنهم سوف يحفظون لي كل ما يعثرون عليه من البردى ، ومنذ ثمانية أيام وهم غائبون عن القاهرة في جولة لجمع البضاعة . وأنا أنتظر عودتهم بصبر نافد ، واطمع في أن يحضروا لي هذه المرة شيئاً رائعاً»[1] .

هذا ويقدر الآن عدد البرديات الموجودة في فيينا [مجموعة الأرشيدوق رينر] بما ينوف على التسعين ألف بردية ، وهي محفوظة بعناية ، وتتضمن

---

(١) نفس المصدر . ص ١٢٨ . لخصنا هذه المعلومات المتعلقة بأوراق البردىٰ من كتاب السيدة بنت الشاطىء تراثنا . ص ١١٤ ـ ١٢٨ وتورد نفس السيدة نصوص الرسائل من ص ١٢٧ إلى ص ١٣٧ .

معلومات على جانب كبير من الأهمية لفروع العلوم المختلفة ، وتغطي فترة زمنية طويلة من تاريخ مصر الإسلامية تزيد على القرون الثمانية من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أواخر العهد المملوكي .

(ب)المانيا :

هناك ثلاثة مراكز تمتلك أوراق بردى أغلبها عربية [ونقصد بالمانيا هنا المانيا الغربية] هذه المراكز الثلاثة هي المتحف المصري في برلين وجامعة هامبورغ وجامعة هايدلبرغ .

١ ـ مجموعة المتحف المصري في برلين :

كان هذا المتحف يمتلك عدداً لا بأس به من أوراق البردى قبل أن يظفر بالصفقة التي اشتراها ترافرس Travers سنة ١٨٧٧ م من بردى الفيوم والبهنسا . ثم أضيف إليه ما اشتراه القنصل روجرز Rogers والأستاذ بورغيتش Burgsch والقنصل شميت Schmidt والدكتور بوك Boock وأصلها من الفيوم . وفي عام ١٨٨٦ م اشترى شتادر Stader مجموعة من أوراق البردى كان المهندس شتيرن Stern يمتلكها واضيفت إلى مقتنيات المتحف ، كما امتلك نفس المتحف ما عثر عليه شفاينفورت Schweinfurth من منطقة الفيوم وأهناسيا . وتبع ذلك شراء مجموعة بورجسن وما عثرت عليه بعثات الحضر الألمانية في الأشمونين سنة ١٩٠٥ م والنوبة وجزيرة الفيلة وأسيوط سنة ١٩١٠ م .

وقام في عام ١٩٥١ م شوبرت Schubert المشرف على مجموعة البردي في متحف برلين برحلة إلى مصر استطاع خلالها شراء ١٢٧ بردية قيمة من بردى الفيوم وأهناسيا والأشمونين. وتلقى المتحف سنة ١٩٢٨ م سبعاً وعشرين بردية أرسلها له بيكر Becker .

٢ ـ جامعة هامبورغ :

تلقت جامعة هامبورغ سنة ١٩٠٧ م وثائق من البردي المصري

الأغريقي ، ثم بدأت بعد عامين تهتم بالبردى العربي بالحاح من الأستاذ بيكر واستطاعت بين عامي ۱۹۱۰ و ۱۹۱۲ م أن تظفر بذخائر من بردى الفيوم والبهنسا والأشمونين وأدفو وأسوان ، فوصلت المجموعة عام ۱۹۳۸ م إلى ۱۳۰ بردية أشرف الأستاذ إيبشر على فكها وصيانتها بين ألواح من الزجاج .

٣ ـ جامعة هايدلبرج :

إقتنت الجامعة سنة ۱۸۹۷ م مجموعة من بردى الفيوم وأخميم والأشمونين وغيرها اشتراها الدكتور راينهارت Reinhardt معظمها مكتوب بالعربية وقليل منها بالعبرية ، وبعد أعوام ظفرت الجامعة بالمجموعة الخاصة بالدكتور راينهارت وعددها ألف بردية معظمها عربية ، وجزء منها بالقبطية والسريانية والأغريقية والفهلوية . وكانت هذه المجموعة قد آلت سنة ۱۹۰۳ م بعد وفاة راينهارت وبوصية منه ، إلى صديقه شوت Schott مدير جامعة هايدلبرج الذي قدمها بدوره هدية إلى الجامعة فاطلق على المجموعة كلها أسم مجموعة بردي شوت ـ راينهارت Schott - Reinhardt تحية وتكريماً لمن جمعها ولمن أهداها . وأصل المجموعة من بردى اهناسيا وكوم وأشقاو وأخيم والفيوم والأشمونين . وقد نمت بعد ذلك بما اضيف إليها من نتائج حفريات مجمع هايدلبرج والجمعية العلمية في فرايبورغ سنة ١٩١٤ م، إلى جانب ٥٩ بردية عربية من الفسطاط جاء بها جروهمان . وتعتبر مجموعة هايدلبرج هذه ثاني مجموعات البردىٰ العربية بعد مجموعة الأرشيدوق رينير . ومن أهم وثائق هذه المجموعة قطعة من كتاب المغازي لوهب بن منبه على الغالب . وقد تم نسخ هذه القطعة سنة ۲۲۸ هـ = ٨٤٢ م. ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الجزء ليس بشكل ملف وإنما بشكل الكتاب الكراسي ذي الصفحتين المتقابلتين وعدد صفحاته سبع وعشرون .

(ج) بريطانيا:

١ ـ المتحف البريطاني في لندن : يمتلك المتحف البريطاني مجموعة صغيرة

قيمة من أوراق البردى والرق العربي أصلها من سقارة والفيوم والأشمونين ، إلى جانب مجموعة من نصوص المراسيم والصكوك من بردى الأشمونين وكوم أشقاو .

٢ ـ مانشستر : يحتوي مركز المخطوطات الشرقية التابع لمكتبة رايلاندLibrary Joln Ryland على مجموعة ثمينة من حوالي ستمائة بردية عربية أكثرها من الأشمونين . وكان أيرل كراوفورد Earl Crouford قد اشتراها من مصر سنة ١٨٩٩ م وحملها إلى قصره في اسكوتلاندا فاشترتها مكتبة جون رايلاند سنة ١٩٠١ م . وكانت هذه المجموعة جزءً من مجموعة كبرىٰ مؤلفه من بضعة الآف بردية اشتراها كارلوغراف لاندبرج Carlo Graf Landberg سنة ١٨٩٨ م وذهب أكثرها إلى مجموعة الأرشيدوق رينير في فيينا . ويعتقد جروهمان أن المجموعتين تكمل أحداهما الأخرىٰ .

٣ ـ اكسفورد : تقتني المكتبة البودلية Bodlian Library مجموعة غنية من البردى منها أربع وتسعون بردية عربية بدأت بما جاء به شيستر Chester من بردىٰ الفيوم بين عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٤ م ، ثم تلتها مشتريات المستشرق دوساسي سنة ١٨٨٨ م وكانيبيرا Canybeara سنة ١٩٠٨ م وبيتري Petrie سنة ١٩٠٨ و ١٩٠٩ م ثم دوساسي مرة أخرىٰ سنة ١٩٣٣ م . وفيها ست وعشرون بردية مما عثر عليه في كوم اشقاو وأحدثها تاريخها سنة ٣٢٩ هـ.

(د) فرنسا :

١ ـ متحف اللوفر في باريس . تتكون مجموعة هذا المتحف من ٣٠٦ برديات عربية أغلبها جاء من الفيوم لم ينشر أغلبها .

٢ ـ المكتبة الأهلية في باريس : يوجد بين مخطوطاتها اثنتان وعشرون بردية عربية منها البرديتان اللتان أهداهما دروفيتي B. Drovetti إلى ملك فرنسا وأصلهما من سقارة . وقد نشرهما دوساسي .

٣ ـ جامعة ستراسبورج : اقتنت الجامعة والمكتبة فيها مجموعة جميلة من البردىٰ بفضل جهود سبيغلبيرج Spieglberge وريتزينشتاين Reitzenstein وبريسيفن Preisighen . وقد نمت المجموعة تباعاً بما أضيف إليها مما اشتراه ما يرهوف M. Meyerhof وراينهارت Reinhardt وبوركارت Borchardt، وتضم المجموعة إحدى عشرة بردية عربية ـ قبطية ، وثلاث برديات إغريقية ـ عربية و٦٨٠ بردية عربية .

(هـ) روسيا :

يوجد في أكادمية لينينغراد عدد كبير من قطع البردي العربية ، ويضم متحف الفنون الجميلة ١٠٠٩ بردية، وهي عبارة عن قطع أو بقايا عثر عليها في مصر .

(و) الولايات المتحدة الأمريكية .

١ ـ جامعة ميشيغان في مدينة آربور من ولاية ميشيغان : تحوي مكتبة الجامعة مجموعة من البرديات العربية المهمة ، وقد بلغ تعدادها سنة ١٩٣١ م حوالي ٦٥ بردية ، كلها بحالة جيدة ومحفوظة ومحمية بين الواح من الزجاج .

٢ ـ جامعة شيكاغو في مدينة شيكاغو من ولاية النيوى .

يوجد في المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو عدد لا بأس به من البرديات العربية .

من هذا العرض نلاحظ أن القسم الأكبر من البرديات العربية محفوظ في ديار الغرب ، ولا يوجد من هذا التراث العربي البالغ الأهمية الا عدد قليل جداً في دار الكتب المصرية ومركز الوثائق .

ونحب أن نختم هذا الفصل بذكر أن الكلفة الإجمالية والثمن الذي كان يدفع في أوائل القرن الحالي للبردية العربية لا يتجاوز الفرنكات الثلاث ، وفي وقتنا الحاضر يمكن دفع أكثر من ألف دولار ثمناً للبردية الواحدة .

والفرنكات الثلاث كان ثمنها آنذاك حوالي دولار ونصف . فإذا حسبنا ارتفاع المعيشة وغلاء الأسعار والتضخم النقدي والفرق بين العمّلات خلال حوالي تسعين عاماً أمكننا أن نقرر أن الثمن الذي كان يدفع للبردية آنذاك يقدر بحوالي ثلاثين دولاراً بأسعار اليوم على حين أنها اليوم تساوي أكثر من ألف دولار . وهذا وحده يعطينا فكرة عن الخسارة المادية التي لحقت بالعالم العربي من جراء تسرب هذا الكنز الثقافي الحضاري من البرديات ، بله الخسارة الثقافية والوطنية والمعنوية التي أصبنا بها جميعاً . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم وإنا لله وإن إليه راجعون .

الفصل التاسع

انتقال التراث العربي المخطوط الى ديار الغرب

الفصل التاسع

انتقال التراث العربي المخطوط إلى ديار الغرب

القسم الثاني

بحثنا في القسم الأول من هذا الفصل كيف فرطنا نحن في تراثنا وكيف اهتم الغرب به ، ثم اتبعنا ذلك بدراسة لأوراق البردى العربية وكيف اكتشفت في مصر وكيف انتقلت إلى الغرب.

ونحن هنا نتابع حديثنا عن المخطوطات العربية وكيف انتقلت إلى ديار الغرب. ذكرنا سابقاً، في الفصل الأول من هذه الدراسة ، إن جان من غورتز John of Gorze، وهو أحد رهبان دير غورتز في اللورين، كان أقدم أداة انتقلت عن طريقها وبواسطتها مخطوطات عربية إلى شمالي غربي أوربة في أواسط القرن العاشر . فقد أرسل الأمبراطور الألماني أوتو الكبير جان غورتز هذا في بعثة سياسية إلى بلاط الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة ٩٥٣ م، واستقر جان هذا في الأندلس مدة ثلاث سنوات تعلم خلالها اللغة العربية ، ولما رجع إلى ألمانيا سنة ٩٥٦ م أحضر معه حمل فرس كتباً عربية ، والغالب أن قسماً مهماً من هذه الكتب كان ولابد كتب رياضيات وفلك وكيمياء وطب وما ماثل(١)

كذلك يذكر البعض أن أديلارد دي باث ، وهو من أقدم النقلة من العربية إلى اللاتينية ، أحضر معه إلى بلاده انكلترا من جولة له قام بها في بلاد

(1) Thonpson. Op. Cit. p. 363- 364.

الشرق الأدنىٰ زمن الحروب الصليبية بعد سقوط القدس بيد الصليبيين بعشر سنوات ، نسخة من كتاب عناصر (أصول) اقليدس الخمسة عشر ، ونسخة أخرىٰ من جداول الخوارزمي الفلكية . ولما استقر به المقام قام بنقل هذين الأثرين إلى اللاتينية[1] .

ويذكر الباحث اللبناني الفيكونت دي طرازي أنه « ازداد اهتمام الفرنج بالكتب العربية أثر احتكاكهم بالشعوب الشرقيةأثناء الحروب الصليبية ، فكانوا يبتاعون ما تقع عليه عيونهم من المخطوطات الشرقية لاعتبارهم إياها من الآثار القديمة الغريبة الشكل واللسان ، والمجهولة في بلادهم . ومن الأدلة الراهنة على ذلك أن لويس التاسع ملك فرنسا (١٢٢٦ ـ ١٢٧٠ م) لما عاد من الحروب الصليبية نقل معه من مدينة دمياط مخطوطات عربية وقبطية زين بها خزائن قصره ، واحتذىٰ حذوه كثيرون من أمراء الفرنسيس وأغنياء حجاجهم الذين رافقوا الملك في زيارته الأماكن المقدسة »[2] .

هذا وقد ازداد اهتمام البابوات والملوك والحكام والهيئات والعلماء والرحالة والمستشرقين بالشرق وحضارته ومخلفاته الحضارية وكنوزه وآثاره ، وذلك مع بداية عصر النهضة الأوربية في مطالع القرن السادس عشر وتزايد هذا الاهتمام من أجل الحصول علىٰ هذا التراث الذي ضيّعه أهله وأهملوه ولم يعرفوا قيمته حتى وصل الأمر إلى ذروته خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . وكان حظ المخطوطات من هذا الاهتمام كبيراً بل وكبيراً جداً . فقد اغتنت المكتبة البابوية في روما [مكتبة الفاتيكان] بجهود بابوات من أمثال البابا سكتوس الرابع [متوفي سنة ١٤٨٤ م] وبيوس الرابع [متوفي سنة ١٥٦٥ م] وبولس الخامس [متوفي سنة ١٦٢١ م] وأوربان الثامن [متوفي سنة ١٦٤٤ م].

ومن أشهر البابوات الذين عنوا بالمخطوطات العربية واقتنائها البابا

(١) سيمايلوفيتش . المصدر المذكور آنفاً . ص ٥٨ .
(٢) طرازي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٥٧٠ . ج٢ .

كليمانس الحادي عشر (١٧٠٠-١٧٢١م) ، فقد وجه إلى الشرق عالماً لبنانياً اسمه الياس السمعاني لابتياع ما يعثر عليه من مخطوطات في سوريا ولبنان وفلسطين وادّيار ومصر . وفي سنة ١٧١٥ م كلف نفس البابا عالماً لبنانياً أخر هو يوسف شمعون السمعاني أن يرتحل إلى المشرق ويجمع ما يتيسر من المخطوطات العربية والسريانية والقبطية والحبشية ، فنهض السمعانيان بمهمتهما خير قيام وأغنيا المكتبة الفاتيكانية بما توفقا إلى جمعه من التحف الكتابية[1] .

وقد وجه نفس البابا سنة ١٧١٩م كاهناً مارونياً قبرصي الأصل اسمه أندراوس اسكندر إلى مدينة الموصل ليشتري مخطوطات عربية وسريانية تتعلق بالنساطرة ؛ فطل هذا الكاهن شهرين كاملين ضيفاً في بيت القسيس خدر الكلداني الذي بالغ في إكرامه وسهل له جميع الوسائل للفوز بأمنيته وفقاً لرغائب الحبر الروماني وقد استخدم البابوات الذين أتوا بعد كليمانس نفس الراهب من أجل اقتناء مخطوطات شرقية من أطراف الشام ومصر وما بين النهرين ، فجمع منها أندراوس جانباً كبيراً نقله إلى المكتبة الفاتيكانية البابوية . وتابع خلفاء البابا كليمانس الحادي عشر سياسته في جمع المخطوطات الشرقية على يد بعثات أوفدوها إلى سوريا ولبنان وفلسطين ومصر والعراق وما بين النهرين حتى أقصىٰ بلاد فارس والهند . فكان رسل البابا يطوفون مدن الشرق والغرب ويشترون أندر المخطوطات فيدفعون ثمن بعضها ما يوازي ثقله ذهباً[2] .

ولقد كان في أديرة الموارنة في جبل لبنان أعداد وفيرة من المخطوطات وقد انتقل قسم كبير منها إلى أوربا وخصوصاً إلى رومة ، فالعلماء الذين تثقفوا في المدرسة المارونية الأولىٰ (١٥٨٤ ـ ١٨٠٣) في رومة هم قاموا بجمع هذه المخطوطات من أجل البابوية ومكتبتها الفاتيكانية فقد جمع السماعنة

---

(١) نفس المصدر . ص ٥٧٩ ج ٢ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٨٠ ج ٢ .

الياس السمعاني ويوسف شمعون السمعاني ومرهج نيرون الباني المتوفي سنة ١٧١١م، واسطفان عواد المتوفي عام ١٧٨٢ م أعداداً غفيرة من المخطوطات من تلك الأديار والكنائس الرومانية ثم ضموها إلى المكتبة الفاتيكانية في رومة .

ولقد كانت أديار وكنائس وادي النيل تعج بالمكتبات الغنية بالمخطوطات العربية والسريانية والقبطية وغيرها ، وكان السواح يؤمونها من أنحاء العالم للاطلاع عليها أو لشراء بعض مخطوطاتها ولقد انتبهت البابوية لهذه المخطوطات وأهميتها فأوفدوا الرسل والتجار والرهبان للاطلاع عليها وشراء ما يمكن شراؤها ، ولقد أولىٰ البابا كليمانس الحادي عشر المار ذكره العملية اهتماماً واسعاً عظيماً ، فأوفد الخوري الياس السمعاني الماروني سنة ١٧٠٧ م لشراء ما يمكن شراؤه من هذه المخطوطات ، وقد أفلح الخوري في شراء عدد لا بأس به من هذه المخطوطات من أجل مكتبة الفاتيكان ، ثم جاء بعده بأمر من البابا المذكور يوسف شمعون السمعاني اللبناني الماروني فابتاع من أجل المكتبة الفاتيكانية كل ما استطاع الحصول عليه من الكتب والمخطوطات الوافرة العدد والغالية الثمن ، ثم شحنها في ثلاث سفن على نهر النيل قاصداً بها رومة ، غير أن ريحاً شديدة واجهت القافلة وتغلبت على سفينتين من السفن الثلاث فأغرقتهما بما فيهما من كنوز علمية وذخائر ثقافية هيهات أن تعوض ولا يقدر ما غرق من المخطوطات بأقل من عشرة آلاف مجلد . ولما وصل السمعاني إلى رومة ألف رسالة في الموضوع وأذاعها في الغرب ، فانتبه القوم إلى أهمية مكتبات أديار مصر ، وبدأت الغارة الشعواء على مصر لتجريدها من تراثها الثقافي وبدأت مختلف الدول ترسل البعوث إلى تلك الديار لاقتناء شيء من تلك الذخائر النادرة والتحف الغالية . وهكذا تيسر لمكتبات باريس ولندن وبرلين واكسفورد وغيرها أن تزداد وأن تزهو بحصة من تلك الآثار الفكرية والكنوز الغالية التي هانت على أهلها ولم يعرفوا قيمتها ، فأخذها من عرف قيمتها واستفاد منها .

ولم يكن الحكام أقل اهتماماً بالحصول على المخطوطات العربية

والشرقية من البابوية . ويأتي على رأس الحكام ملوك فرنسا وأشهرهم لويس الرابع عشر (١٦٤٣ ـ ١٧١٥ م). فقد اهتم بالأمر شخصياً وأوعز إلى جميع مبعوثيه الدبلوماسيين في الشرق أن يبتاعوا المخطوطات مهما يكن الثمن ، كما وأوعز اليهم جميعاً أن يسهلوا مهمة من يرسله إلى تلك البلاد لابتياع مثل هذه الأشياء . فقد فوض الملك المذكور سفيره دومونسو De Monceoux الذي أرسله في مهمة خطيرة إلى المغرب الأقصىٰ أن يشتري ما يقع تحت يده من المخطوطات العربية في تلك الأصقاع ، وأمره أن ينقب تنقيباً دقيقاً عن مخطوطات عربية وفارسية ويونانية وغيرها ، وكان ذلك سنة ١٦٦٧ م . ولقد كان الملك مطلعاً على أماكن وجود المخطوطات العربية ، فأردف قوله لسفيره أن من تلك المخطوطات أعداداً وفيرة في خزائن جامع القرويين بمدينة فاس . كما فوض الملك سفيره أن يشتري ألف وستمائة قطعة من الجلد المراكشي الكبيرة الحجم ذات اللون الأخضر والأرجواني (٥٠٠ قطعة خضراء والباقي أرجواني) لتجليد الكتب .

كذلك أرسل لويس الرابع عشر نفسه سنة ١٦٧١ م عالماً آخر إلى بلاد الشرق وعمم على جميع مبعوثيه الدبلوماسيين أن يسهلوا مهمته وأن يدفعوا ثمن المخطوطات التي يشتريها مهما كان الثمن . ذلك إنه يوجد في مكتبة دير الشير بلبنان مخطوطة من كتاب **وفيات الأعيان** لابن خلكان، على هامشها حاشية اثبتها أبو النصر الخازن ، الذي كان قنصلاً لفرنسا في بيروت على عهد الملك لويس الرابع عشر . تقول الحاشية أنه « في سنة ١٦٧١ م أرسل عالي الجناب الملك لويس الرابع عشر رسله إلى جميع بلدان الإسلام لشراء المخطوطات وزود مبعوثيه بأوامر شريفة إلى جميع القناصل الفرنساوية ليضعوا رجالهم وأموالهم في خدمة هؤلاء المبعوثين . وتضيف الحاشية أن مستشاراً للملك توجه إلى قبرص فالشام فمصر فإسلامبول فبغداد وظفر من كل بلد منها بكثير من المخطوطات »[1].

---

(١) نفس المصدر . ج٢ ـ ٥٨٧ .

ولويس الرابع عشر نفسه أرسل رسالة إلى سفيره لدىٰ مملكة المغرب الأقصىٰ سنت أمان يخبره فيها أنه سمع بوجود مخطوطات ثمينة ونفيسة وإنه أرسل أهل المعرفة للاطلاع عليها وشراء ما يريدون منها ، وطلب منه أن يسهل مهمتهم .

كذلك كانت الجيوش الأوربية التي تغزو بلاد الإسلام تعود من غزوها بغنائم عظيمة ، ومن جملتها المخطوطات .

فقد غزا الأسبان سبتة سنة ٨١٧ هـ= ١٤١٤ م ، وكان فيها خزانة كتب عظيمة حافلة ، فحملوا كل ما وجدوه فيها حتى كتب العلم [يقصد بها علوم الدين الإسلامي] وكانت وفيرة(١). كذلك غزت الجيوش الروسية إيران الحديثة واحتلت مدينة أردبيل، وكان فيها خزانة كتب عامرة سميت باسم الخزانة الصفوية نسبة للشيخ صفي الدين جد الملوك الصفويين . وكان الشاه عباس الكبير الصفوي قد عني بجمعها وتنظيمها وبقيت مفتوحة للاستعمال العام حتى سنة ١٨٢٨ م عندما احتلت الجيوش الروسية أردبيل ، وكان بصحبتها المستشرق الروسي سنكوسكي فاطلع على المكتبة المذكورة ووقف على نفائسها فنقلها إلى خزانة بطرسبورج حيث ضمت إلى الخزانة العمومية(٢) .

كذلك ساهمت القرصنة الغربية والقراصنة الأوربيون في إغناء مكتبات ملوكهم بالمخطوطات العربية التي صادروها من المسلمين أثناء مصادرة سفنهم وحمولتها التي تمخر في البحار . فقد حدث أن أحد الملوك السعديين حكام المغرب الأقصىٰ في القرن السابع عشر هُزم أمام خصمه فاضطر لمغادرة عاصمته فحدث له ما حدث .

وتفصيل القصة أن السلطان السعدي مولاي زيدان (١٠١٢ ـ ١٠٣٧ هـ = ١٦٠٣ ـ ١٦٢٨ م) ثار ضده ثائر قوي سنة ١٦١٢م هو أبو

---

(١) نفس المصدر . ج١ ـ ٢٣٨ .

(٢) نفس المصدر. ج١ ـ ٣٣٠ / ٣٣١.

محلي واستفحل أمره ودارت بينهما معارك دامية دارت الدائرة في نهايتها على مولاي زيدان ، فاضطر في مايس من السنة المذكورة أن يغادر قصره مع حاشيته وذخائره وأهله وما يقتنيه من تحف ومخطوطات والتجأ إلى ثغر سافي Safi ، وهو ثغر علىٰ الساحل المراكشي ، على أن يذهب منه إلى السوس، فاستأجر مركباً من سافي بثلاثة الآف دوق إلى أغادير وحمل جميع كنوزه وكتبه التي ورثها عن والده السلطان السعدي مولاي أبي العباس أحمد المنصور الذهبي . وعند وصوله إلى أغادير أبى الربان واسمه جان فيليب كاستلان أن يفرغ حمول المركب قبل أن يتقاضىٰ الأجرة المتفق عليها بتمامها . ولما لم يكن باستطاعة السلطان أن يدفعها فوراً ، فقد فر الربان بالسفينة ليلاً تاركاً أغادير متجهاً إلى مرسيليا وهو يحمل في مركبه جميع ذخائر السلطان وتحفه وكتبه وأمواله. ولما بلغ ساله Salé التقىٰ بثلاثة مراكب من مراكب القراصنة الأسبان فاستولوا علىٰ المركب بما فيه وذهبوا به إلى إسبانيا غنيمة باردة. فأمر الملك فيليب الثالث أن توضع الكتب في مكتبة الأسكوريال ، وعددها نحو من أربعة آلاف مخطوط على ظهر الصفحة الأولىٰ من كل مخطوط عبارة تنص على ملكية السلاطين السعديين لذلك المخطوط . ولكن الله العلي القدير لم يشأ أن يهنأ الاسبانيون بثمار هذه القرصنة طويلاً ، فقد شب حريق هائل في ٧ حزيران سنة ١٦٧١ م في الأسكوريال التهم قسماً كبيراً من هذه المخطوطات ولم ينج منها سوى قرابة ألف مجلد وهي ما تبقىٰ من ذلك الكنز ولا تزال موجودة في مكتبة الأسكوريال(١) .

ولقد قام بالقسط الأكبر والعبء الأهم من عملية تجريد الشرق من تراثه ونقله إلى ديار الغرب الأفراد والتجار والوسطاء والرحالة والمستشرقون ومن لف لفهم .

فقد أرسل ملك فرنسا فرانسوا الأول سنة ١٥٣٤م غليوم بوستل Postel إلى مصر ثم إلى استانبول حيث تعلم العربية والعبرانية والتركية وقليلاً من

---

(١) نفس المصدر . ج٢ - ٥٩٠.

الحبشية . وقد أحضر معه عدداً من المخطوطات باعها إلى مكتبة جامعة هايدلبرغ الألمانية فأصبحت هذه المخطوطات أساساً مهماً بنيت عليه دراسة اللغات الشرقية في ألمانيا في مهدها[1] . وغليوم بوستل هذا معتبر أبا الاستشراق الفرنسي الحديث.

وقد لعبت هولندا دوراً مهماً في تطوير الدراسات الشرقية والعربية . وكان توماس أربينيوس Erpenius (١٥٨٤ ـ ١٦٢٤ م) أول من قام بنشر متن مأخوذ من الأدب العربي في أوربا ، وذلك عندما قام بتحقيق وطبع ونشر كتاب الأمثال للميداني سنة ١٦١٥ م . وقد أتم عمله خليفته من بعده في جامعة ليدن يعقوب غوليوس Golius (١٥٩٦ ـ ١٦٦٧ م) الذي نشر عدداً من الآثار المشهورة منها لأمية العجم للطغرائي ، وعجائب المقدور لابن عربشاه . زد على ذلك أنه اشترى أثناء سياحته في سوريا وتركيا نحو ٢٥٠ مخطوطة عربية ما زالت محفوظة في مكتبة جامعة ليدن إلى الآن ، وأضاف إليها فيما بعد وارنر Warner ، وهو أحد تلاميذ غوليوس ما يقارب الألف مخطوط من المخطوطات ذات القيمة ، فأصبحت مدينة ليدن مركزاً مهماً كل الأهمية من مراكز الاستشراق في أوربا . هذا وقد ثبت من مجموعة المخطوطات التي أتى بها غوليوس إلى جامعة ليدن أن القسم الأهم منها قد جمعه من حلب . ومن الملاحظ ، كما يقول المستشرق الروسي الشهير كراتشكوفسكي ، أن أفضل مخطوطات مجموعة روسو Rousseau التي تزين معهد الدراسات الشرقية لأكادمية العلوم السوفيتية قد جاءت من حلب[2] .

هذا ويعتبر أدوار بوكوك الأب (١٦٠٤ ـ ١٦٩١ م) من كبار المستشرقين الانكليز وممن أرسوا قواعد علم الاستشراق الحديث في أوربا . ارتحل إلى

---

(١) المنجد ، صلاح الدين. المستشرقون الألمان : ما أسهموا به في الدراسات العربية . . . بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٨ م ج١ ـ ص ١٠ .

(٢) كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفيتش . تاريخ الأدب الجغرافي العربي . تعريب صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، الدائرة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ١٩٦١ م . ص ٦٢١ .

الشرق وأقام في حلب مدة خمس سنوات اتقن خلالها اللغة العربيـة الفصحىٰ واللغة الدارجة واقتنىٰ مخطوطات قديمة ، ثم رجع إلى بلده ، ولقـد عاد بعـد فتـرة إلى حلب وذلـك سنـة ١٦٣٧ م واستـزاد من المخطوطـات ، وفي سنـة ١٦٤١ م رجع إلى انكلترا حاملاً معه ، في جملة ما حمل ، شجرة تين نصبها في حـديقة جـامعـة اكسفـورد ، فكـانت ولا تـزال أول شجـرة من نـوعهـا في انكلترا . هذا ويبلغ عدد المخطوطـات التي اقتناهـا هذا المستشـرق من حلب بحـوالي ٤٢٠ مخطوطـاً ، منها مثـلاً كتاب الأمثـال للميـداني ، ومنهـا كتـاب عبد اللطيف البغدادي كتاب الإفادة والاعتبـار في الأمور المشـاهدة والحـوادث المعـانيـة في أرض مصـر . وقـد عين بـوكـوك استـاذاً في جـامعــة اكسفـورد للدراسـات العربيـة ، وعندمـا أسست الجـامعـة مـطبعـة عـربيـة عهـدت إليـه بـالإشراف عليهـا . وقد انتقلت هـذه المخـطوطـات بعـد وفـاتـه إلى جـامعـة اكسفـورد ، وتشكـل الآن قسمـاً مهمـاً كـل الأهميـة وثمينـاً لا يقـدر بثمن من مجموعة مخطوطات المكتبة البودلية العربية .

وقـد أرسل المتحف البـريطاني في لنـدن مندوبـاً لـه ليسـاهم في شـراء المخطوطات الشرقية المنبثة في أديار وادي النيل خلال القـرن التاسـع عشر ، وقد تمكن هذا المندوب والمسمىٰ باسم ناثام من الحصول على ثروة لا تقـدر بثمن من هذه المخطوطات ، فقد اتجـه سنة ١٨٤٤ م نحـو وادي النيل وبحث في مكتبات الأديرة هناك وبذل أقصىٰ ما وسعه من جهد حتى اشتراها برمتهـا ، وكان من جملة ما اشتراه ثلاثمائة قطعة من الخطوط اليدوية المكتوبة على رق الغـزال ، عـدا عن عـدد عـظيم من المخـطوطـات التي لا تثمن ولا تعـرف قيمتهـا ، وقد حمـل المستر نـاثام هـذه النفـائس إلى لنـدن حيث نشـر علمـاء الانكليز فهارسها في ثلاثة مجلدات وصرحوا بما لها من الأهمية والخطورة وما تضمنته من الفوائد العلمية والتاريخية(١) .

كذلك يوجد في صحراء سيناء دير القديسـة كاتـرين ويحوي مكتبـة فيها

---

(١) طرازي . المصدر المذكور آنفاً . ج٢ ـ ٥٤٦ .

أقدم المخطوطات وأندرها . فقد وجد فيها أقدم نسخة سريانية للإنجيل ، وقد انتقل إلى لندن مع طائفة كبيرة من المخطوطات التي تفتخر بامتلاكها مكتبة المتحف البريطاني في لندن وتعتبرها من أغلىٰ وأبهىٰ كنوزها الكتابية . كذلك كان فيها نسخة يونانية لأقدم إنجيل نقلت في أواخر القرن التاسع عشر إلى مكتبة القياصرة في بطرسبورج . ولهذا المخطوط النادر قصة يحسن ذكرها . فقد زار أحد المستشرقين الروس دير سان كاترين في سيناء، وصدفة شاهد راهباً يحمل أوراقاً مخلعة وقد همّ بإحراقها، فاستوقفه واطلع على المخطوط فإذا به هذا الإنجيل الموغل في القدم ، فاستنقذه من يده وأرسله إلى بلاده ، وفي سنة ١٩٣٤ م اشترت مكتبة المتحف البريطاني هذه المخطوطة من حكومة الاتحاد السوفيتي بمبلغ مائة ألف جنيه انكليزي ذهباً(١) . وتسمىٰ هذه المخطوطة باسم مخطوطة سيناء The Codex Sinaiticus . وهي معتبرة من أثمن وأندر المخطوطات في العالم .

وقد كان لأغلب دول أوربا وكلاء وسماسرة للكتب في أغلب مدن المسلمين المهمة . فقد حدث كرد علي بما يلي :

عرفنا فريقاً من سماسرة الفرنج الذين ابتاعوا كميات كبيرة وافرة من مخطوطات بلاد الشام وبعثوا بها إلى غلاة الكتب في أوربا ، نذكر منهم أدمون دوريغلو وهنري داريكارير مدير فندق السياح في بيروت في عهد مضى . وكان هذا الأخير خبيراً بالخط الكوفي علىٰ اختلاف أشكاله يقرأه بسهولة وسرعة كأين من علماء الاستشراق . وممن لم يزل على قيد الحياة من عشاق المخطوطات الشرقية وسماسرتها بين الافرنج مسيو ليبان Lépine الفرنسي النحلة . فقد اعتاد هذا الرحالة أن يختلف إلى الأمصار العربية عاماً بعد عام للتنقيب عن مخطوطات نفيسة ونادرة فيشتريها بأغلىٰ الأسعار ، ثم يعود بعد كل رحلة إلى بلاده حاملاً مالا يحصىٰ من التحف الكتابية (٢).

ولقد أسس الشاه فتح الله الإيراني خزانة

(١) نفس المصدر . ج٢ ـ ٥٥١ .

(٢) كرد علي ، محمد . المصدر المذكور آنفاً . ج٦ ـ ١٩٢/ ١٩٣ .

كتب رائعة في طهران باسم الخزانة الشاهانية ، ثم أضاف إليها حفيده ناصر الدين شاه (١٨٤٦ - ١٨٩٦ م) طائفة عظيمة من نوادر المخطوطات المصورة وغير المصورة بلغ عددها ٤٨٠٧ مخطوطاً . وفي أواخر عهد مظفر الدين شاه (١٨٥٣ - ١٩١٧ م) تواطأ خازن هذه المكتبة مع تاجر أرمني اسمه أرشاك خان كريانس على اختلاس نفائسها وبيعها في أوربة . ومنذ ذلك الحين منعت الحكومة الإيرانية منعاً باتاً إخراج الكتب المخطوطة من مملكتها[1] .

وقد أسس الكردينال فريدريك بوروميو المكتبة الامبروسية في ميلانو سنة ١٦٠٩ م ، ولما أصبح بابا باسم بيوس الحادي عشر (١٦٢٢ - ١٦٣٩ م) وجه عناية مخصوصة نحو المكتبة الفاتيكانية فعززها بمصاحف عربية جمعها له من أنحاء الشرق الكردينال أغناطيوس جبرائيل بتوني بطريرك السريان الأنطاكي . وقد أصبح الأب أخيل راني أميناً لمكتبة الامبروسية [الامبروزيانا] وعمل بها مدة عشرين سنة (١٨٨٨ - ١٩١٠ م) فسعىٰ لتحصيل مخطوطات شرقية ولا سيما العربية منها ، فاقتنىٰ منها نحو ستة آلاف مجلد أتىٰ بها من اليمن الرحالة المستشرق أدوار غلازر Edward Glaser ، وأتباعها لمكتبة الأمبروزيانا التاجر الإيطالي كابروتي وغيره Caprotti . وأغلبها من مصنفات الزيدية[2] .

وكانت المخطوطات العربية تستعمل أحياناً هدايا بالغة القيمة للاباطرة والملوك والحكام من رعاياهم في المناسبات الهامة جداً والسعيدة جداً . فقد أهدى بطريرك إنطاكية وسائر المشرق غريغوريوس الرابع مجموعة قيمة من المخطوطات العربية إلى القيصر نيقولا الثالث يوم ذهب إلى روسيا سنة ١٩١٣ م احتفاءً باليوبيل المئوي الثالث لاعتلاء آل رومانوف عرش القياصرة في روسيا . وقد ضمت تلك المجموعة التي كانت موجودة في القصر الملكي إلى

(١) طرازي . المصدر المذكور آنفاً . ج١ - ٣٢٥ .

(٢) بروكلمان ، كارل . تاريخ الأدب العربي . تعريب عبد الحليم النجار . القاهرة ، دار المعارف . ج٣ - ٣٢١ .

المتحف الآسيوي بعد الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ م[١] .

كذلك اعتاد بعض الباحثين أن يتحفوا جامعاتهم التي تخرجوا منها أو مدنهم التي أتوا منها بنوادر المخطوطات .

فمثلاً مصنف الخوارزمي الشهير المسمى بأسم صورة الأرض ، لا يوجد منه سوى نسخة وحيدة موجودة في مكتبة جامعة ستراسبورج تاريخها رمضان سنة ٤٢٨ هـ . عثر عليها في القاهرة في تشرين الأول سنة ١٨٧٨ م المستعرب سبيتا B. Spitta الذي كان آنذاك مديراً لدار الكتب الخديوية ، وانتقلت بعد وفاته سنة ١٨٨٣ م إلى مكتبة جامعة ستراسبورج[٢] .

وهناك مثل آخر عن كتاب لا يوجد منه سوى نسخة وحيدة هو كتاب البلدان لليعقوبي الشهير . أحضر هذه المخطوطة الفريدة من الشرق مخلينسكي A. Mukhlinski (١٨٠٨ - ١٨٧٧ م) الاستاذ في جامعة بطرسبورج، وهي الآن في ميونيخ[٣] .

ومن الأشياء المثيرة حقاً والتي لها دلالتها فيما نحن بصدد بحثه العثور على مجموعة من الأوراق العربية والمخطوطات العربية في إحدىٰ مدن الأندلس كان الموريسكيون ، على ما يظهر ، قد أخفوها ضمن أحد الأبنية لتسلم من الاضطهاد . فبينما كان البناؤون يعملون في بيت من بيوت مدينة مناقد الشارة Almonacid de la Sierra من أعمال المنيه Almunia على بعد ثلاثين كيلومتراً من الجنوب الغربي من سرقسطة عثروا على بضع مئات من الكتب الخطية كانت قد خزنت هناك منذ ثلاثة أو أربعة قرون بين جدار وحاجز من الآجر ، وأغلبها مكتوب بالحرف العربي وهي تحوي صكوكاً وحججاً ومؤلفات ، والبعض الآخر كتب مترجماً إلى اللغة القسطلانية ، لكنها مكتوبة

---

(١) داغر ، يوسف أسعد. دليل الأعارب إلى علم المكتبات وفن الكاتب . بيروت ، ١٩٤٧ م. ج ١ - ١٤٣.

(٢) كراتشكوفسكي . المصدر المذكور آنفاً . ص ٩٩.

(٣) نفس المصدر . ص ١٥٩.

بحروف عربية . وقد أهمل شأن هذه الكتب بعد إخراجها ، وتركت العوبة بيد هذا أو ذاك ، ثم اقتناها أحد الإسبانيين ، ثم اشترتها شركة المباحث العلمية الشرقية . وأول من عني بوصفها طلبة المستشرقين ريبيرا وآسين ، ثم أعادا النظر فيها وطبعاها، وعدد المخطوطات ثلاثة وستون مخطوطاً . وقد وصفا الأوراق القديمة التي جلدت بها المخطوطات . وليس بين هذه المؤلفات شيء يستحق الذكر أو نادر الوجود ، لأن أغلبها مخطوطات دينية أو فقهية أو مواعظ وحكايات لغوية . وقد وضع المحققان ١٨ لوحة منقولة من الأصل الذي يرجع تاريخ كتابته إلى سنة ٤٣٥ هـ = ١٠٤٣ م . وعنوان المجموعة ما يلي[1]: وقد تم كشف هذه المخطوطات سنة ١٨٨٤ م .

Riban, J. and Asin, M. Manuscritos Arabes Y Aljamiados de la Biblioteca de la Junta Madrid, 1912.

هذا وسنورد فيما يلي دراسة لعدد من أهم مكتبات الغرب نبين مجموعاتها من المخطوطات العربية وموضوعاتها وكيف حصلت عليها وما ماثل ذلك .

١ ـ مكتبة باريس الوطنية Bibliothèque Nationale :

بدأت هذه المكتبة في اقتناء الكتب العربية منذ كانت في بلوا ثم في فونتبنلو ، ومن مكتبات كاترين دي مديتشي ومازاران والرئيس غولن، وعلى أيدي المستشرقين الذين أوفدهم الملك لويس الرابع عشر إلى العالم العربي فابتاعوا عدد كبيراً من المخطوطات العربية أودعت في المكتبة ، ومن قبل أضاف إليها المستشرق الفرنسي بوستيل في القرن السادس عشر عدداً كبيراً من المخطوطات العربية ، ذلك أن ملك فرنسا آنذاك فرانسوا الأول الحقه بالسفارة الفرنسية في استانبول ، وطلب اليه شراء ما يستطيع شراءه من المخطوطات الشرقية وذلك سنة ١٥٣٤ م ، فقام بالمهمة خير قيام واشترى عدداً كبيراً من المخطوطات أودعت في المكتبة ، وقد اقتنت المكتبة سنة

---

(١) داغر ، يوسف أسعد. المصدر المذكور آنفاً . ج ١ ـ ١٤٢ .

١٧٠٠ م أربعة مخطوطات عربية تبحث في الديانة الدرزية أهداها طبيب لبناني بباريس إلى الملك لويس الرابع عشر . وقد أعد الخوري سركيس اللبناني قائمة بالمخطوطات العربية والسريانية التي تمتلكها الدار وقدمها إلى الكاردينال ريشيليو سنة ١٦٤٢ م .

كذلك أضيف إلى المكتبة المخطوطات التي كانت موجودة في عدد من الأديرة كدير السوربون ودير سان جرمان وقد بلغ عدد ما أضيف إليها من مخطوطات حوالي ثلاثمائة مخطوط. كذلك أضيف إليها ما اشتراه باسمها المستشرق هربلو وما صادره ونهبه نابليون من مصر وبلاد الشام أثناء حملته الفرنسية ويقدر بحوالي ٣٢٠ مخطوطاً عربياً . كذلك أضيف إليها ما اشترته المكتبة من أسلن دوشرفيل الذي كان موظفاً في قنصلية فرنسا بالقاهرة وعالماً بالآثار ، ويقدر بحوالي ١٥٠٠ مخطوط . وكذلك أضيف إليها عدد كبير من المخطوطات التي كان يمتلكها شيفر [توفي سنة ١٨٩٩ م] وكان مستشرقاً شهيراً أمضىٰ سنوات طويلة من عمره في الشرق الأوسط اشترىٰ خلالها عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة واستنسخ الشيء الكثير ويقدر عدد هذه المخطوطات بما يلي : ٢٧٦ مخطوطاً عربياً و٢٧٦ مخطوطاً فارسياً و٢٣٩ مخطوطاً تركياً . كذلك أهدىٰ هذه المكتبة دو كوروا عدداً من المخطوطات وفعل مثله ديكور ديمانش الذي أهداها ١١٨ مخطوطاً، إلى جانب المشتريات الخاصة التي قامت بها المكتبة .

وهكذا تجمع للمكتبة خلال فترة طويلة من عمرها عدد من المخطوطات العربية ينوف علىٰ سبعة الآف مخطوط بينها نفائس أدبية وعلمية وتاريخية ونوادر .

فقد تجمع للمكتبة قطع من القرآن الكريم على الرق من القرون الثاني والثالث والرابع للهجرة ، وتاريخ بني هود على جلد الغزال المدبوغ ، وقسم من كتاب العقاقير الطبية. لديو سقوريدس على الرق من القرن الثاني أو الثالث للهجرة (نشره دويلر المستشرق السويسري) ، والمدخل الكبير في أحكام

النجوم لأبي معشر البلخي ، وكتاب الكنى والألقاب للدولابي (٣٨١ هـ) والتمهيد في الرد على الملحدة للباقلاني المتوفي سنة ٤٧٢ هـ ، وهو مكتوب على الرق ، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي ، وكتاب تحقيق ما للهند من مقولة . . . للبيروني [وتاريخ نسخ المخطوط سنة ٥٥٤ هـ]، ومقامات الحريري ، وهي مزدانة بأروع الصور وتاريخ المخطوط سنة ٦١٣ هـ ، ونسخة كاملة من كتاب الشريف الإدريسي نزهة المشتاق . . . الخ . وتضم المكتبة ، خلا المخطوطات النفيسة ، نوادر النقود والأوسمة والأختام والخرائط ، وعدداً كبيراً من الكتب العربية المطبوعة ، ولا سيما ما طبع منها في أوربا منذ أوائل عهد الطباعة .

هذا وقد صدرت عدة فهارس ودراسات تفهرس للمخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في هذه المكتبة ، منها ما يلي :

١ ـ حميد الله ، محمد . المخطوطات العربية في باريس . في : مجلة معهد المخطوطات العربية . العدد الثاني ، ١٩٥٦ م . ص ٢٣٩ ـ ٢٤٥ .

٢ ـ Slame, M. De. Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque Nationale. Paris, 1883 - 1895.

هذا فهرس للمخطوطات العربية أعده دوسلان تتناول المخطوطات من رقم واحد حتى ٤٦٦٥ من المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس .

٣ ـ Blochet, E. Catalogue des manscrits arabes des nouvelles acquitions (1884 - 1924). Paris, 1925.

فهرس للمخطوطات العربية التي اقتنتها المكتبة الوطنية في باريس حديثاً بين عامي ١٨٨٤ و ١٩٢٤ م ويتضمن المخطوطات من ٤٦٦٦ إلى ٦٧٥٣ . وهو من إعداد بلوشية .

٤ ـ Vajda, G. Index général des manuscrits arabes musulmans de la Bibliothèque National de Paris. Paris, 1953.

فهرس أعده فايداً للمخطوطات العربية الإسلامية في المكتبة الوطنية في باريس يتضمن ٦٨٥٣ مخطوطاً تشكل كل الرصيد الموجود حتى سنة ١٩٥٠ م .

٢ ـ مكتبة الفاتيكان .

وهي من أشهر مكتبات العالم الغربي في اقتنائها للمخطوطات العربية والشرقية . وقد اهتم بها البابوات منذ القديم ، وكانوا يرسلون الرسل إلى مختلف الأصقاع الشرقية والغربية لجلب المخطوطات لها . وقد ازدادت مقتنياتها بمخطوطات قبطية وعربية وسريانية وفيرة في عهد البابوات بولس السادس وأربانيوس الثامن واسكندر السابع الذي عين إبراهيم الحاقلاني أميناً لقسم المخطوطات السريانية والعربية فيها . وكان بعض الموارنة يشرفون عليها من غير لقب، ثم خلف الحاقلاني ابن اخته حنا متىٰ نمرون فأصبح عدد أمنائها سبعة . وقد وضع بمعاونة ابن أخته مرهج بن نمرون فهرساً لمخطوطاتها الشرقية وكان ذلك عام ١٦٦٠م. وأوفد البابا كليمانس الحادي عشر الأب الياس سمعان رئيس كهنة انطاكية إلى دير وادي النطرون بمصر فعاد من رحلته هذه بستة وثلاثين مخطوطاً ، ثم كلف ابن اخته يوسف شمعون السمعاني بتلخيصها وفهرستها مع ترتيب المخطوطات الشرقية في المكتبة كلها . وأوفد البابا كليمانس نفسه يوسف شمعون السمعاني إلى الشرق الأدنىٰ ، فذهب إلى وادي النيل وأدياره فوجد فيها مجموعة ضخمة نفيسة من المخطوطات العربية واليونانية فاشترىٰ أكثرها . ثم شحن بضاعته الثمينة هذه في ثلاث سفن في نهر النيل لأجل إرسالها إلى أوربا ومن ثم إلى روما عاصمة البابوية . وكل هذه المخطوطات اشتريت من أجل مكتبة الفاتيكان وبناء على طلب من البابوية ، وقد غرقت سفينتان من السفن الثلاث المشحونة بالمخطوطات وسلمت واحدة ، كما ذكرنا سابقاً[1] .

كذلك جمع أندره اسكندر المترجم في مجمع نشر الإيمان سنة ١٧١٩م واحداً

---

(١)انظر ما مر صفحة ٢٨٨ .

وستين مخطوطاً كـانت حصة مكتبـة الفاتيكـان منها أربعـة وثلاثين مخـطوطاً . فوضع يوسف السمعاني بمعـاونة ابن شقيقتـه اسطفـان عواد السمعـاني فهرس المكتبـة الشرقيـة ، وتتضمن وصفاً شاملاً لمخـطوطاتهـا السـريـانيـة والعـربيـة والفارسية والتركية والعبـرية . . . وتـراجم أمينة لمؤلفيهـا في أربعة مجلدات . وخلف يـوسف السمعـاني ابن شقيقتـه اسـطفـان عـواد السمعـاني فـزاد في مخـطوطاتهـا على أثر رحلة قـام بها إلى الشـرق وأصدر فهـرساً لهـا في ثلاثـة مجلدات .

وتضم المكتبة اليوم حوالي ٦٠ ألف مخطوط بين شرقي وغربي .

هذا وقد صدرت الفهارس التالية تصف بعضاً من محتويات المكتبة .

١ - ASSEMANI, S. E. et J.S. Bibliothecae Apostolicae Vaticanae Codicum Manuscriptarum Catalogues. P.I. Rome, 1756.

أعد هذا الفهرس الياس السمعاني ويوسف شمعون السمعاني لمخطوطات مكتبة الفاتيكان طبع في روما سنة ١٧٥٦ م.

٢ - ASSEMANUS, J.S. Biblioteca orientalis clementino - Viticana, in qua manuscriptos Codices Syriacos, arabicos, Persicos, turcicos... avectos et Bibliothecae Vatieanae addictos... Rome, 1719 - 1728. Neudr 1975.

أعد هذا الفهرس يوسف شمعون السمعاني يتناول المخطوطات السريـانية والعربية والفارسية والتركية المـوجودة في مكتبـة الفاتيكـان. وقد طبـع في روما في ثلاثة مجلدات (١٧١٩ ـ ١٧٢٨ م) وأعيد طبعه سنة ١٩٧٥ م.

٣ - ASSEMANUS, S.E. Catalogus Codicum Bibliothecae Vaticanae arabicorum, Persicorum, turcicorum... A. Mai. Rome, 1931.

أعد هذا الفهرس ماي وجعله ذيلاً على الفهرس السابق وأصدره في رومـا وشمـل المخطوطـات العربيـة والفارسية والتـركيـة المـوجـودة حتى سنـة ١٩٣١ م.

٤ ـ Della Vida, Levi. Elenco dei manoscritti arabi islamici della Biblioteca Vaticana. Vaticani,Barberiniani, Borgians, Rossioni. Vatikanstadt, 1935.

أعد هذا الفهرس ديلالافيد للمخطوطات العربية الإسلامية الموجودة في مكتبة الفاتيكان حتى سنة ١٩٣٥ م

٥ ـ Della Vido, Levi. Secondo elenco dei manoscritti arabi Islamici della Bibliotecae Vaticana. Vatikanstadt, 1965.

أعد هذا الفهرس ديللافيدا للمخطوطات العربية الإسلامية التي أضيفت إلى مكتبة الفاتيكان حتى سنة ١٩٦٥ م.

٣ ـ المكتبة الامبروزيانية

تضم هذه المكتبة حوالي ١٤٠٠٠ مخطوط عربي ، من بينها مصاحف غاية في الاتقان كتبت في العصور الإسلامية الأولىٰ وما بعدها ، ومن بينها تفسير البيضاوي وكتب ألفت في العصور الإسلامية الأولىٰ لعدد من الأئمة كعلي بن الحسين والقاسم ، ومصنفات الغزالي وابن حبيس وغيرهما ، وفيها سجل طريف للمعاملات الجمركية اليومية في الجديدة في موسم الحج ، ومجموعة في قواعد اللغة والحكم والطب لابن سينا ، والمرغني الميموني وجالينوس وأبقراط وأفلاطون ، وتآليف في جغرافية بلاد العرب وأصل الأسماء واشتقاقها وتاريخ صنعاء وقبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام وأساطير العرب ، وهناك مخطوطات باحثة في اللغة والنحو والصرف وعلم المعاني والمعاجم ، ومجموعة قوانين عربية يبلغ عددها ١٨٤٦ قانوناً . وقد أقام جوزيبي دوماجنتا في القرن التاسع عشر ثلاثين عاماً في اليمن جمع خلالها مدونات ومخطوطات ونقوشاً وفيرة أودعها الأب راني في المكتبة الأمبروزيانية، وفيها من دواوين الشعر مجموعة لامرىء القيس والبحتري والعريسي والمتنبي واليشكري وجمال الدين والقاسم وغيرهم .

٤ ـ المكتبة المديتشية :

أسسها الكردينال فردينانـدو دو مديتشي في فلورانسا ، وأرسـل يبتاع لهـا المخطوطات من الشرق ، ونسخ له الموارنة بعضها وأهدوه غيرها فاغتنت بهذه المخطوطات ، ثم نظمها بـطرس مبارك، وفهـرس مخطوطـاتها اسـطفان عـواد السمعاني .

٥ ـ مكتبة المتحف البريطاني في لندن :

تعتبر هذه المكتبة مكتبة المملكة المتحدة الـوطنية وتحـوي كثيراً وكثيـراً جداً من المخطوطات العربية . وقد اتسعت مجموعات المخـطوطات فيهـا بما انضاف إليها من هدايا العظماء من أمثـال مارسـدين الذي رحـل إلى سومـطرة وأهدىٰ المكتبة مخطوطات عربية وفيـرة وأقدم مخـطوطتين في الطب كـالغاذي والمغتذىٰ لابن أبي الأشعث [٤٣٨ هـ] ، ومخطوطة المقصور والممدود لابن ولاد [٣٦٥ هـ]. ثم أضيف إلى مقتنيـات المكتبة من المخـطوطات العـربية مجموعات من المخطوطات الشرقية كانت في حوزة السير مري قنصل بريطانيا في القاهرة ، والسير هنري رولنسون قنصل بريطانيا في بغداد ، وفـون كريمـر الذي جمع القسم الأكبر من مخطوطاته من دمشق والأقل من القاهرة . وادوارد غلازر من رحلته الثـالثة إلى اليمن ، وأدواردلين ممـا اعتمـد عليـه في تـأليف كتابيه من **القـاموس** ، **وأخـلاق وعادات المصـريين المعاصـرين** ، ثم أضيف إليها ما جمعه برج ووكر ، وغوردن وتشرشل من المـوصل وزنجيبـار والسودان حتى بلغ عدد المخطوطات ستة وخمسين ألفاً . بمختلف اللغات .

وقد صدر عدد من الفهارس للمخطوطات الشرقية في هذه المكتبة ، من أهمها :

1 — Cureton, W. and Rieu, C. Catalogus Codicum manuscriptorum orientalium qui in Museo Britannico asservantur.. London, 1846 (1871).

أعـد كيرتـون ورى فهرسـاً للمخطوطـات الشرقيـة المحفـوظـة في مكتبـة

المتحف البريطاني ، يتناول القسم الثاني منه بالبحث في المخطوطات العربية .

2 — Rieu, C. Supplement to the Catalogue of the Arabic manuscripts in the British Museum. London, 1894.

هذا ملحق للفهرس المذكور أعلاه أعده ري للمخطوطات العربية في مكتبة المتحف البريطاني .

3 — Ellis, A.G. and Edwards, E. A descriptive list of the Arabic Manuscripts acquired by the trustees of the British Museum Since 1894. London, 1912.

أعد أليس وأدوارد فهرساً وصفياً للمخطوطات العربية التي اشترتها واقتنتها هيئة أمناء مكتبة المتحف البريطاني منذ سنة ١٨٩٤ م .

4 — Department of Oriental... Manuscripts. Acquisitions. Brit. Mu. Oby.

يصدر قسم المخطوطات الشرقية قوائم دورية بالمخطوطات الجديدة وتنشر هذه القوائم في دورية المتحف البريطاني الفصلية .

٦ - المكتبة البودلية [مكتبة جامعة أكسفورد] :

اغتنت هذه المكتبة بالمخطوطات العربية النفيسة بما انضم إليها من مجموعات رائعة كمجموعة هنتجتون (٨٨ مخطوطاً أغلبها عربي) ومجموعة توماس مارشال (١٥٩ مخطوطاً عربياً) حتى بلغ عدد المخطوطات فيها حوالي ٤٠ ألف مخطوط سنة ١٩٤٠ م .

وهناك عدد من الفهارس لهذه المكتبة أهمها :

1 — Uri, J. Bibliothecae Bodleianae Codicum Manuscriptorum Orientalium Videliced... Arabicorum... Catalogus... Oxford, 1787.

يضم هذا الفهرس المخطوطات الشرقية المكتوبة بالعبرية والكلدانية والسريانية والحبشية والعربية والفارسية والتركية والقبطية . يضم الجزء الأول منه وصفاً للمخطوطات العربية من ٩٩ إلى ٢٦٨ ص .

2 — NICOLL, A. Bibliothecae Bodleianae Codicum manuscriptorum Catalogi partis secundae volumen primum, arabicus Complectens. Oxford, 1821 - 1835.

أعد هذا الفهرس التكميلي للمخطوطات الشرقية في المكتبة البودلية نيكول ، ويضم المجلد الأول من القسم الثاني منه وصفاً لمخطوطات عربية .

3 — NICOLL, A. and Pusey, E.B. Bibliothecae Bibliothecae Codicum manuscriptorum orientalium Catalogi Partis sacundae volumen Sencundum, arabicus complectens Oxford, 1835.

أعد نيكول وبوسي مجلداً ثانياً للفهرس التكميلي للمخطوطات العربية في المكتبة البودلية .

٧ ـ مكتبة جون ريلاندز في مانشستر John Rylands :

تحوي هذه المكتبة ، فيما تحويه من مخطوطات عربية ، ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم مكتوبة بخط مذهب فاخر ، أحدها مغربي الأصل (٤٠٠ هـ)، وهناك مصحف عليه ختم السلطان المملوكي قانصوه الغوري (توفي ١٥١٥ م). وقد ابتاعت معظم هذه الأشياء السيدة ريلاندز من الأيرل أوف كروفورد (١٩٠١ م) وهي ما اقتناه هو وورثه عن جده الأعلىٰ الذي اقتناه أثناء قيامه برحلة في مصر وسورية ولبنان سنة ١٨٣٦ م ، ثم أضيفت إليها مجموعات الأيرل الكازار وناثانيال والعقيد هاملتون وبعض ما كان لدىٰ دوساسي ودوبرسفال ، وما اشتراه لها منفنا من مخطوطات أثناء رحلاته في الشرق الأدنىٰ (١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ م) و(١٩٢٩ م).

٨ ـ مكتبة الأسكوريال في اسبانيا:

أسسها الملك فيليب الثاني ملك إسبانيا سنة ١٥٥٧ م، جمع نواتها، وما كانت تزيد عن ١٨٣ مخطوطاً عربياً من بقايا المكتبة الأندلسية الإسلامية التي كانت موجودة في مدن الأندلس وبخاصة في غرناطة، ثم أضيف إليها سنة ١٦١٤ م مكتبة مولاي زيدان سلطان مراكش السعدي الذي استولىٰ القراصنة الأسبان على متاعه كله، ومن بينها مخطوطاته التي لا تقوم بثمن، فأمر ملك اسبانيا آنذاك أن توضع المخطوطات في مكتبة الأسكوريال وقد قارب عددها أربعة الآف مخطوط. وفي عام ١٦٧١ م شب حريق رهيب في الأسكوريال التهم القسم الأكبر من المخطوطات العربية، وأصبح عدد المخطوطات العربية بعد الحريق حوالي ١٩٠٠ مخطوط. وقد عهد إلى الأب ميخائيل الغزيري الماروني اللبناني بوضع فهرس لها وذلك سنة ١٧٤٩ م فدرسها ووصفها ورتبها حسب موضوعاتها، كل مخطوط على حدة من رقم ١ حتى وصل إلى رقم ١٨٥٣ واصفاً كل مخطوط بالعربية وباللاتينية، فتم له مجلدان الأول يقع في ٥٤٤ صفحة والثاني يقع في ٥٣٢. وقد ذيل الجزء الثاني بجردٍ عام لأسماء المؤلفين ونشر المجلدين بعنوان **فهرس المكتبة العربية الإسبانية في الأسكوريال** (مدريد ١٧٦٠ ـ ١٧٧٠ م)، ثم أضيف إلى المكتبة خمسة الآف مجلد بأمر ملكي، وتشتمل المكتبة اليوم علىٰ أربعة الآف كتاب مطبوع و١٩٠٠ مخطوط عربي، و٧٠٠ مخطوط يوناني و٢٠٨٦ مخطوطاً لاتينياً و٧٣ مخطوطاً عبرياً.

وقد أكمل ديرنبورغ عمل الغزيري في فهرسة المخطوطات العربية في هذه المكتبة فأصدر فهرساً في جزءين، ثم أتىٰ ليفي بروفنسال فأكمل عمل ديرنبورغ في عملية الفهرسة فأصدر جزءين آخرين الثالث والرابع. ومن فوائد هذا الفهرس إنه يهدينا إلى معرفة أصل المخطوطات العربية ومن أين أتت وفي مفتتح الجزء الثالث رسم يمثل صحيفتين من مصحف شريف كان يستعمله السلطان مولاي زيدان السعدي.

هذا ولم ينشر الكثير من مخطوطات الاسكوريال العربية، سوى بضع

عشرات أشهرها ما نشر في مجموعة المكتبة العربية الإسبانية التي صدرت في مدريد - سرقسطة بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٩٥ م بإشراف كوديرا وريبيرا ، فصدرت في عشرة أجزاء . وإليك بياناً موجزاً بها .

(أ) الجزءان الأول والثاني : كتاب الصلة . . . لابن بشكوال في مجلدين تحقيق كوديرا . صدر سنة (١٨٨٣ م).

(ب) الجزء الثالث : كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس . . . للضبي تحقيق كوديرا وريبيرا صدر سنة (١٨٨٥م).

(جـ) الجزء الرابع : المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصفدي لابن الأبار تحقيق كوديرا وريبيرا (١٨٨٦ م).

(د) الجزءان الخامس والسادس : التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار في مجلدين تحقيق كوديرا (١٨٨٧ - ٨٩ م).

(هـ) الجزءان السابع والثامن : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي في مجلدين تحقيق كوديرا (١٨٩١ - ١٨٩٢ م).

(و) الجزءان التاسع والعاشر : كتاب فهرسة ما رواه عن شيوخه . . . أبو بكر الاشبيلي في مجلدين تحقيق كوديرا وريبيرا . صدرا سنة (١٨٩٥م).

وبهذا الكتاب تمت مجموعة المكتبة العربية الإسبانية . ولئن عيب عليها تحريف وسقط إلاّ أنهما يغفران لها إلى جانب العناية بطبعها وتنظيم فهارسها .

وفيما يلي بيان بالفهارس التي أعدت لمكتبة الاسكوريال :

1 — Casiri, M. Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialensis. Madrid, 1760 - 1770.

أعد هذا الفهرس ميخائيل الغزيري للمكتبة العربية في الأسكوريال في مجلدين .

2 — Derenbourg, H. Les manuscrits arabes de l'Escurial. Bd .I

Grammaire, rhétorique, poésie, philologie et belles - lettres, lexicographie, philosophie. Paris, 1884. Bd II, Morale et politique. Ebd. 1903 - Bd 11; 2 Médécine et histoire naturelle. Bd.11,3: Sciences exactes et Sciences ocultes أعـده رينو ، Bd. III: Théologie, gégraphie, histoire. 1928 أعده ليفي بروفنسال .

٩ ـ مكتبة فيينا الوطنيـة :

تحوي مئات من المخطوطات العـربية النفيسـة ، منها مجمـوعة نسخهـا فـون بوشبيـك بخطه ، وغيـرها بـالخط المغربي و٢٥٠ مخـطوطاً من مؤلفـات الزيديين جمعها غلازر من اليمن .

وفيما يلي بيان بفهارس هذه المكتبة للمخطوطات العربية .

1 — Flügel, G. Die arabischen und türkischen Handschriften der kaiserlich - Königlichen Hofbibliothek zu Wien. 3 Bde. Wien, 1865 - 1867.

أعد هذا الفهـرس الذي يحـوي المخطوطـات العربيـة والفارسيـة والتركيـة في مكتبة فيينا الوطنية [وكانت سابقاً تسمىٰ المكتبة الأمبراطورية] فلوجل في ثلاثة أجزاء .

2 —Loebenstein, Helene. Katalog der arabischen Handschriften der Qsterreichischen Nationalbibliothek Neuerwerbungen. 1868 - 1968. Bd. I . Wien, 1970.

أصدرت هيلين لوبنشتاين فهرساً للمخطوطات العربية بالمكتبة الوطنيـة في فيينا المقتنيات الجديدة من ١٨٦٨ إلى ١٨٦٩ م . الجزء الأول فيينا ١٩٧٠ م .

١٠ ـ مكتبة جامعة ليدن في هولندا :

أسست جـامعـة ليـدن سنـة ١٥٧٥ م ولم تمض فتـرة حتى أصبحت من أشهر مراكز الاستشراق في العـالم . وتضم مكتبة الجـامعة مخـطوطات نفيسـة

نادرة وافرة قضىٰ المستشرقون الهولنديون قروناً طوالاً في جمعها وتغذيتها . وقد كانت نواتها ما خلفه لها سكاليغر من أولى المخطوطات العربية والعبرية أشهرها تعليق الرازي على التوراة ، ثم ما حمله إليها غوليوس المتوفي سنة ١٦٦٧ م تلميذ أربانيوس من رحلته إلى المغرب الأقصىٰ ، ومن جملته جزء من كتاب مروج الذهب للمسعودي ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ، وكتاب المستعين في الطب لابن بكلاريش الإسرائيلي . ولما خلف غوليوس أستاذه أربانيوس في كرسي العربية استأذن جامعة ليدن في رحلة إلى الشرق سنة ١٦٢٥ م حيث أمضىٰ أربع سنوات متنقلاً بين آسيا الصغرىٰ وبلاد الشام والقسطنطينية ، وكان له فيها أخ من الرهبنة الكرملية فساعده في شراء الكتب النادرة والمخطوطات المهمة ، وقد احتفظ ببعض ما اشتراه لنفسه ودفع القسم الآخر الذي اشتراه بمال الجامعة إلى مكتبتها وفيها تحف وقطع نفيسة ، منها على سبيل المثال : القاموس المحيط للفيروز آبادي ومعجم الصحاح للجوهري ، ونسخة قديمة من كتاب المعرب للجواليقي ، والمزهر للسيوطي ، وأجزاء من كتاب نهاية الأرب للنويري ، ونسخة بديعة من معاهد التنصيص لعبد الرحمن العباسي ، ونسخة قديمة من كتاب لزوم ما لا يلزم للمعري بخط الجواليقي ، وجزءان من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصفهاني ، وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي . ولما كان غوليوس أستاذاً للرياضيات إلى جانب كونه استاذاً للغة العربية في جامعة ليدن ، فقد اهتم باقتناء مخطوطات في الرياضيات وعلم الفلك والطب والفلسفة لكبار علمائها من أمثال : أبي الوفاء البوزجاني وأبي سعيد السجزي ، وابن يونس والرازي وحنين بن اسحاق وابن سينا والقزويني وغيرهم .

وقد وقف ورنر سنة ١٦٦٥ م مجموعة مخطوطاته على مكتبة جامعة ليدن ، وكان في ذلك إثراء هائل لها ، فقد أضافت إليها هذه المجموعة حوالي ألف مخطوط بين عربي وفارسي وتركي وعبري اقتناها ورنر طوال فترة إقامته في القسطنطينية (١٦٤٤ ـ ١٦٦٥ م) من مكتبة حاجي خليفة وغيرها من

المكتبات الخاصة . وتحوي هذه المجموعة كثيراً من أنواع المعارف والعلوم وامتاز بعضها باتقانه ، والبعض الآخر بقدمه ، والبعض الآخر بندرته ، وأشهرها نسخة قديمة من كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت بإصلاح التبريزي ، وكتاب تهذيب الألفاظ لنفس المؤلف وتصحيح نفس المصحح ، وكتاب الألفاظ لعبد الرحمن الهمذاني بخط الجواليقي ، وكتاب الجمهرة لابن دريد وكتاب الأضداد لابن الأنباري، وكتاب سر الصناعة لابن جني ، وجزء من رسائل المعري ، ونسخة فريدة من كتاب طوق الحمامة لابن حزم ، ونسخة قديمة من ديوان امرىء القيس ، ومجموعة أشعار الهذليين بشرح السكري ، وديوان جرير وحماسة البحتري ، وكتاب المسالك والممالك لابن حوقل ، ومعجم أبي عبيد البكري ، وجزء من تاريخ الطبري ، وجزءان من مروج الذهب للمسعودي . . . وهكذا لم يمض قرن واحد على مكتبة الجامعة حتى حوت بفضل هذه الهبة أكثر من ١٢٠٠ مخطوطاً أغلبها نادر ونفيس . وقد نشر المستشرقون معظمها بدقة جعلت المحققين العرب عندما ينشرون مثل هذه الكتب في العالم العربي يكتبون عليها إنها قورنت ووزنت بالنسخة المطبوعة في ليدن .

ثم قلت العناية بالاستشراق في هولندا أواخر القرن السابع عشر ، فضاعت على الجامعة فرصة اقتناء المخطوطات النفيسة من مكتبة غوليوس الخاصة التي بيعت بالمزاد العلني سنة ١٦٩٦ م. وانقضىٰ قرن من الزمان لم يضف إلى محتويات المكتبة من المخطوطات العربية إلاّ القليل النادر من بعض الهدايا . فلما كان أواخر القرن الثامن عشر ابتاعت المجموعة التي خلفها شولتنس من المخطوطات العربية والفارسية والتركية . ثم أضيف إليها في أواسط القرن التاسع عشر ما ابتاعته من مجموعة دو تستاو من مكتبة دير بالم. وحمل أمين بن حسن الحلواني سنة ١٨٨٣ م وهو من سكان المدينة المنورة ، مجموعة مخطوطات من مكتبته إلى امستردام ، فاقترح الكونت لندبرج على جامعة ليدن شراءها فتقاسمتها مع دار بريل للنشر ، وفي عام ١٩٠٤ م باع أمين المذكور ما تبقىٰ من مكتبته من جامعة برينستون في

الولايات المتحدة ، ومن المكتبة الملكية في برلين ومن مكتبة جامعة ليدن ، فخص الجامعة منها ٦٦٣ مخطوطاً للمشاهير من أمثال الذهبي والمقريزي ومحمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية ، وبضعة دواوين لشعراء من اليمن كعبد الله بن حمزة والهادي السعودي وحاتم الأهدل ، وقلادة النحر في وفيات أعيان الدهر لأبي مخرمة ، والكامل للمبرد ، والمجمل في اللغة لابن فارس ، والمحاسن والمساوىء للبيهقي ، وديوان الأمير الفاطمي تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، والحصون في سر الهوى المكنون للحصري ، وتحفة الإشراف في معرفة الأطراف . . .

فبلغت المخطوطات الشرقية من عربية وفارسية وتركية ٢٦٠٠ مخطوطاً . ويبلغ اليوم تعداد المخطوطات الشرقية في مكتبة الجامعة ما ينوف على ثمانية الآف مخطوط .

وهذه أسماء بعض الفهارس التي تحوي أسماء المخطوطات العربية والشرقية في مكتبة الجامعة :

1 — Weigers, H.E. and Jong De, P. Catalogus codicum orientalium Bibliothecae Academiae Regiae Scientiarum. Leiden, 1862.

أعد هذا الفهرس فيرزويونغ وهو يحوي المخطوطات الشرقية بمكتبة الأكادمية العلمية الملكية ، وهي الآن حالياً في مكتبة جامعة ليدن .

2 — Catalogus Codicum orientalum Bibliothecae Academiae Lugduno - Batavae , Bd . Iand II , Verf . von A. Dozy . Leiden , 1851 - Bd . III and IV : Verf . vonp . De Jong M .J . De Goeje . Ebd . 1865 - 1866 . bd . V : Verf . von M .J . De Goeje . Ebd . 1873 - Bd VI . Verf . von M . Th . Houtsma . Ebd. 1877.

(١) يحب المؤلف أن يشير إلى أن المعلومات الواردة في موضوعات المخطوطات في المكتبات الوطنية بدءاً من المكتبة الوطنية في باريس حتى مكتبة جامعة ليدن مأخوذة من كتاب نجيب العقيقي : المستشرقون مع تغييرات وإضافات تقتضيها طبيعة البحث .

هذا فهرس للمخطوطات الشرقية الموجودة بمكتبة اكاديمية ليدن يقع في ستة مجلدات : الأول والثـاني من إعـداد دوزي طبعـا في ليـدن ١٨٥١ م ، والثالث والرابع من إعداد دويـونـغ ودوغـويـه طبعـا في ليـدن ١٨٦٥ - ١٨٦٦ م . والخـامس من إعـداد دوغـويـه طبـع في ليـدن ١٨٧٣ م ، والسادس من إعداد هوتس طبع في ليدن ١٨٧٧م .

3 — Catalogus. Codicum arabicorum... Editio Secundo bd. I. verf. von M.J. De Goehe and M. Th. Houtsma. Leiden, 1888. Bs. II. Verf. von M.J. De Goeje and Th. W. Juynboll. Ebd, 1907.

هذا فهرس للمخطوطات العـربية . الـطبعة الثـانية في مجلدين . الأول من إعـداد دوغويـه وهوتسمـا . طبـع في ليـدن ١٨٨٨ م. والثـاني من إعـداد دوغويه وجونبول ، طبع في ليدن ١٩٠٧ م.

4 — Voorhoeve, P. Handlisf of Arabic maniscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands . Leiden 1957.

أعـد فورهـوف قائمـة بـالمخـطوطـات العـربيـة المـوجـودة في جـامعـة ليـدن والمجموعات الأخرىٰ في الأراضي الواطئة.

١١ - مكتبة برلين الملكية :

والتي أصبحت تسمىٰ بعد الحرب العـالمية الأولىٰ مكتبـة الدولـة . وقد كـانت ولا زالت معتبرة مكتبـة المـانيـا الـوطنيـة . وقـد اغتنـت عبـر العصـور بمجموعات مهمة من المخطوطات العربية والشرقية أضافها إليها المستشـرقون والرحالة والقناصل والسفراء . وقد بدأت مجمـوعة المخـطوطات العـربية بهـا بحوالي ستمائـة مخطوط . ثم أضيف إليهـا سنة ١٨١٧ م مجلدات أخـرىٰ من ممتلكات القائم بالأعمال البروسي لدىٰ الباب العالي هانيرش فريدريك بارون فـون ديتز . ونمت هـذه المجموعـة المتواضعـة نمواً سـريعـاً في عهـد الملك فريدريك وليام الرابع . كمـا اهتم الأمبراطـور غليوم الأول بشـراء مخطوطـات

أخرىٰ . ثم ساهم القنصل البروسي في دمشق بين سنتي ١٨٥٢ و١٨٦٢ م بـ ٢١٠٠ مخطوط اشتراها من بلاد الشام . وباع الاستاذ هانيريش بيترمان للمكتبة بين سنتي ١٨٥٣ م و١٨٧٠ م ما يزيد على الألف ومائة مجلد . وخلف المستشرق الويس شبرنغو عام ١٨٥٧ م للمكتبة ١١٠٠ مجلد ، واشترت المكتبة عام ١٨٨٤ م من شركة بريل في ليدن ما يزيد على الألف مخطوط من مجموعة الكونت لاندبيرغ . وفي سنة ١٨٨٧م انتقلت إلى ملكية المكتبة مجموعة من المخطوطات تناهز الـ ٢٤٠ مخطوطاً كان قد أحضرها غلازر من رحلاته في جنوبي الجزيرة العربية عامي ١٨٨٥ و١٨٨٦ م . بالإضافة إلى مقتنيات صغيرة أخرىٰ جعلت رصيد المكتبة يصل إلى ٦٤٥٠ مخطوطاً تبحث في جميع فروع المعرفة الإنسانية باللغة العربية .

ولقد هال ذلك المرحوم محمد كرد علي وأدرك أن معظم المخطوطات العربية في بلاد الشام كانت تتسرب عن طريق الشراء إلى هذه المكتبة عن طريق قنصل بروسيا في دمشق الذي كان يشتريها بأبخس الأسعار وبقي سنين وهو يجمع هذه المخطوطات حتى تجمع له منها خزانة مهمة رحل بها فأخذتها حكومته منه وكافأته عليها . « والغالب أن معظم الكتب العربية المحفوظة في خزانة الأمة في برلين هي من هذا القطر »[1] .

1 — Ahlwardt, W. Verzlichnib der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin. 10 Bde. Berlin, 1887 - 1899

أعد اللورد فهرساً للمخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين . ويقع هذا الفهرس في عشرة مجلدات .

2 — Well, G. Die orientalische Abteilung der Preubischen staatbibliothek in: Zentralblatt Für Bibliothekawesen 37 - 1920 - 57 - 66.

كتب فيل تقريراً عن القسم الشرقي من مكتبة الدولة في برلين .

---

(١) كرد علي . محمد . المصدر المذكور آنفاً . ج ٦ - ١٩٣ - ١٩٤ .

١٢ ـ مكتبة جامعة برينستون في الولايات المتحدة الأمريكية :

تعتبر جامعة برينستون من أشهر مراكز الاستشراق في الولايات المتحدة ، وتحوي مكتبتها مجموعة ممتازة من المخطوطات العربية الثمينة والنادرة ، حتىٰ لقد تجاوز عددها في مجموعة غاريت وحدها العشرة الآف مخطوط .

هذا وكان رصيد هذه المكتبة من المخطوطات العربية عند نهاية القرن الماضي لا يذكر . ففي سنة ١٨٨٣ م ، كما ذكرنا في غير هذا المكان من هذه الدراسة، حمل أحد علماء المدينة المنورة السيد أمين بن حسن الحلواني المدني مجموعة من المخطوطات النادرة إلى امستردام بمناسبة المعرض الاستعماري العام الذي عقد في نفس السنة . وهناك باع قسماً من هذه المخطوطات من المكتبة الملكية الألمانية ، واشترت دار بريل للنشر في ليدن قسماً آخر . وقد اقترح المستشرق السويدي الكونت ليندبرغ Landberg على جامعة برينستون أن تشتري هذه المجموعة وقد فعلت الجامعة ذلك واشترتها .

ثم حضر الشيخ أمين المدني إلى امستردام ثانية وهو يحمل شحنة ثانية من المخطوطات النادرة الفاخرة وباعها من دار بريل وكان ذلك سنة ١٩٠٤ م ، فابتاعت الجامعة قسماً مهماً منها ، كما ابتاعت جامعة ليدن قسماً آخر ، وقسم ثالث ذهب إلى المكتبة الملكية في برلين .

والقسم الثالث من هذه المجموعة هو مجموعة المخطوطات العربية التي اشترتها الجامعة من ورثة مراد البارودي من بيروت ، وعددها ٤٢٠ مخطوطاً اشتراها منها روبرت غاريت سنة ١٩٢٥ م .

والقسم الرابع من هذه المجموعة أتىٰ هدية من أحد طلاب الجامعة القدامىٰ ، إذ أنه أهدىٰ إلى جامعته مكتبة كاملة من المخطوطات العربية عددها ستة الآف مجلد اشتراها من أحد مستشرقي الانكليز .

وقد عمل للمجموعة عدة فهارس وتجاوز عددها العشرة آلاف مخطوط ، وتشمل نماذج من جميع البلدان الإسلامية والموضوعات العلمية ، ويوجد فيها مؤلفات بعض أعاظم مفكري الإسلام كابن سينا وابن رشد والفارابي والفرغاني والرازي والغزالي . وقد سميت هذه المجموعة باسم الخزانة الشرقية أو مجموعة غاريت .

ويبحث القسم الأكبر من هذه المجموعة في الدين والعقائد الإسلامية والفقه والعادات ، وتليه الكتب التي تبحث في اللغة والأدب ، وتشتمل هذه المجموعة على أسفار وأبحاث قيمة في الطب وعلم الفلك والرياضيات والفلسفة .

هذا ومن المصنفات ذات الأهمية العلمية الفذة رسالة تبحث في السكر يعود تأليفها إلى القرن السادس عشر ميلادي ورسالة في البارود والألعاب النارية ألفها عثمان المهتدي وقد كان مترجماً في قلعة بلغار التي لا تبعد عن ضفاف نهر الفولغا الأسفل ، ورسالة فريدة في بابها عن النبال والرماية ، وقد نقلها إلى الانكليزية سنة ١٩٤٥ م نبيه أمين فارس تحت عنوان Arab Archery .

وهناك مخطوط طبي يتألف من عدة مجلدات هو ترجمة لعشرة من الكتب الطبية التي ألفها باليونانية جالينوس ونقلها إلى العربية الناقل الشهير حنين بن اسحاق ، ونُسخ القسم الأكبر من هذا المخطوط سنة ١١٧٦ م ، وهو أقدم من أي نص يوناني أو ترجمة لاتينية في حيز الوجود .

وهناك رسالة طبية أخرىٰ قيمة وضعها الرازي على منوال الخلاصات « الفصول » المنسوبة إلى أبقراط . وهناك مصنف طبي مهم آخر هو الموسوعة الطبية التي ألفها العالم المشهور علي بن عباس للسلطان عضد الدولة البويهي وتسمىٰ الكتاب الملكي أو الكناش الملكي أو كامل الصناعة الطبية ، وهذه النسخة هي النسخة الوحيدة الكاملة المعروفة من هذا المصنف . وهناك رسالة علمية طبية أخرىٰ وضعها ابن النفيس الذي اكتشف دورة الدم الصغرىٰ قبل

قرنين ونصف من اكتشاف سرفيتوس لها وهو الذي ينسب إليه عادة شرف هذا الاكتشاف .

ويوجد بين مجموعة المخطوطات الفلسفية نسخة من كتاب الشفاء لابن سينا يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر . وهناك مخطوطة فريدة ـ بقدر ما هو معروف ـ ألفها الآمدي تبحث في المنطق والفيزياء وما وراء الطبيعة ومبنية ـ كما ورد في مقدمتها ـ على آراء أفلاطون وأرسطو وفيثاغوراس .

ومن بين المخطوطات الرياضية ، هناك نص منقح لكتاب إقليدس في الهندسة نقحه ووضعه الرياضي والفلكي المشهور نصير الدين الطوسي وزير السفاك هولاكو في القرن الثالث عشر ميلادي ، وهذه النسخة مزينة بالرسوم الهندسية .

وإلى جانب هذه المخطوطات الطبية والفلسفية والرياضية يوجد مخطوطات تبحث في الموسيقىٰ ، والأبحاث الموسيقية وثيقة العرى بالأبحاث الفلسفية ، ومن أقدم العلماء الذين اشتغلوا في هذا الحقل وأشهرهم الفيلسوف الفارابي الذي له في هذه المجموعة رسالة عن نظرية الصوت والموسيقىٰ ، وتعليمات في كيفية صنع العود والقانون . وهذه النسخة مزينة بأشكال هندسية ومقاييس موسيقية متقنة .

ومن المخطوطات ما تعود أهميته إلى شهرة مالكيها ، من ذلك نسخة كانت في مكتبة السلطان الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن العزيز (متوفي سنة ٦٥٩ هـ = ١٢٦١ م) عن أداب الملوك في حياتهم الخاصة والعامة وضعها له أحد رجال حاشيته . ويوجد في مكتبة الملك العظيم عيسىٰ بن الملك العادل ، وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وسلطان دمشق من سنة ١٢١٨ م إلى سنة ١٢٢٧ م كتاب فريد عن الفقه جمع بناء على أمره ، وكان يستخدمه للمراجعة عند إصداره الأحكام هو « التذكرة المعظمية في الأحكام الشريفة » . ويقال إن هذا الكتاب كان دائماً في صحبة السلطان ، سواء أكان في قصره أم مسافراً . وهناك أيضاً رسالة في التنجيم

والنجامة نسخت خصيصاً لمكتبة صلاح الدين الثاني أحد أحفاد صلاح الدين الكبير بعنوان « أحكام الدرج للمواليد » . وقد كان سلطان دمشق وحلب حتى سنة ١٢٦١ م .

ومن النفائس الملكية رسالة فذة في مدح الخيل وفي أصائلها الموجودة في اصطبلات الحكام المماليك في القاهرة . وقد كتبت هذه الرسالة للسلطان المملوكي الناصر محمد قبل سنة ١٣٢٩ م . وفي هذه المجموعة من المخطوطات العربية يوجد مخطوط كان في خزانة السلطان العثماني بايزيد الثاني بن السلطان محمد الثاني الفاتح ، وهي محلاة بالذهب ومزخرفة بالألوان كتبت لتعليم السلطان العثماني قراءة القرآن الكريم وصحة النطق بكلماته. هذا ويستخدم العلماء والبحاثة كثيراً مجموعات هذه المكتبة من المخطوطات العربية وبشكل خاص من أجل تأريخ الحضارة العربية الإسلامية ، كما فعل فيليب حتي رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة برينستون سابقاً ، وذلك عندما ألف كتابه « تاريخ العرب » ، كما يلجأ إليها المستشرقون الأمريكان من أجل تحقيق النصوص وعند البحث عن مواد تهمهم فيما يتعلق بنظرية الحكومة والحكم الشوري في الإسلام ، ودراسة الهندسة الكروية كما حفظها العرب ودراسة التصوف في الإسلام وغير ذلك من الموضوعات .

وهناك فهرسان يصفان مجموعة غاريت من المخطوطات العربية التي تمتلكها جامعة برينستون :

1 — Hitti, P. K. Faris, N.A. and Abd - al Malik, B. DescriptiveCatalogue of the Garret Collection of Arabic manuscripts in the Princeton University Library. Princetion, 1938.

مجموعة غاريت وهذه موجودة في مكتبة جامعة برينستون ولها فهرس وصفي وضعه فيليب حتي ونبيه أمين فارس وبطرس عبد الملك . طبع في برينستون سنة ١٩٣٨ م .

2 — Littmun, E. Alist of Arabic manuserîpts in Princeton University Library. Princeton and Leipzig, 1904. أعد ليتمان قائمة بالمخطوطات العربية بمكتبة جامعة برينستون . وقد طبعت القائمة في برينستون ولاينبريغ سنة ١٩٠٤ م .

والآن وبعد أن انتهينا في بحثنا في المخطوطات العربية وعرفنا أنها موجودة بغزارة في مكتبات وجامعات ومعاهد الغرب والشرق ، قد يتساءل أحدنا كم يبلغ عدد المخطوطات العربية في العالم ؟ . هذا سؤال من الصعب جداً الجواب عنه بدقة .

فأولاً : لا يزال قسم مهم من تراثنا المخطوط مبعثراً في أرجاء العالم العربي والعالم الإسلامي ، وكم اكتشف العلماء والبحاثة والرحالة مخطوطات كثيرة في أماكن لا يخطر على البال وجودها . إذ لا يزال حتى الآن في أغلب الأقطار الإسلامية والعربية مخطوطات كثيرة لا يعرف أهلها عنها شيئاً ولا يدري أحد كم عددها ومكانها .

ثانياً : قد يوجد من المؤلف الواحد أكثر من نسخة مخطوطة ، فهناك عشرات من النسخ المخطوطة لبعض المؤلفات الهامة ككتاب المنصوري للرازي أو كتاب ابن سينا القانون في الطب ، فهل تدخل النسخ المكررة في الحسبان أم لا .

ثالثاً : هناك أقسام من مخطوطات ، فهذا نصف مخطوط وهذا ربع مخطوط ، وهذه كراسة أو كراستان من مخطوط ، وهذا مخطوط ينقصه من أوله عدد من الأوراق أو من آخره ، فكيف يمكن حساب هذه الأنواع .

رابعاً : هناك كثير من المخطوطات حققت ونشرت نشراً علمياً ولم يعد هناك حاجة علمية لها وإنما تحفظ على أنها شيء ثمين تراثي ، كيف تعامل هذه الأنواع .

أخيراً : الإحصاءات ، ولا سيما في البلاد العربية والإسلامية ليست دقيقة مما يوجب صعوبة الإتيان بأرقام أقرب إلى الصحة في هذا المجال .

ولكي نأخذ فكرة صحيحة نسبياً عن الموضوع نذكر أن الباحث التركي فؤاد سيزيكين ألف كتاباً بالألمانية عنوانه «تاريخ التراث العربي». وقد نقل الكتاب إلى العربية محمود فتحي حجازي فصدر في خمسة مجلدات . وقد خصص الجزء الأول من هذا الكتاب لذكر فهارس المخطوطات العربية في جميع بلاد العالم . وحسبك أن تعلم أنه ذكر في هذا الجزء الأول أسماء فهارس مخطوطات عربية يبلغ تعدادها ١٦٧٣ فهرساً . هذا مع العلم أن العنوان الواحد للفهرس قد يشتمل على مجلد أو مجلدين أو أكثر حتى يصل إلى عشرة أجزاء كما في حال فهارس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الملكية . وإذا لاحظنا أن هناك الكثير من المخطوطات العربية ليس لها فهارس تعرف بها ويعرف عن طريقها عددها وأوصافها أدركنا صعوبة بل استحالة إعطاء رقم تقريبي لعدد المخطوطات العربية المنتشرة في العالم .

والمهم في الموضوع أن نحسن الاستفادة من هذا التراث ، وأن يكون حافزاً لنا لدراسته ونشره وتحقيقه ودافعاً قوياً من أجل العمل على اللحاق بركب الحضارة العالمية التي ساهم أجدادنا أجمل مساهمة وأجلها في خدمتها وكانوا نبراساً يستضاء به ونوراً يهتدىٰ بنوره ، فعسىٰ أن يتم ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز .

كشاف هجائي بأسماء الأعلام

كشاف هجائي بأسماء الكتب

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

كشاف هجائي بأسماء الأمكنة

مصادر البحث
القسم العربي

١ ـ أحمد، إبراهيم خليل. **الاستشراق والاستعمار وصلتهما بالامبريالية العالمية** القاهرة ، مكتبة الوعي العربي ، ١٩٧٢م.

٢ ـ أربري، أ .ج. **المستشرقون البريطانيون** . تأليف أ. ج. أربري تعريب محمد الدسوقي النويهي. لندن ، وليام كولينز ، ١٩٤٦ م.

٣ ـ أرنولد ، توماس (محرر). **تراث الإسلام**. تعريب جرجيس فتح الله . الطبعة الثانية. بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢ م.

٤ ـ الدوميلي. **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي**. تعريب عبد الحليم نجار ومحمد يوسف مرسي . القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٢ م.

٥ ـ أوليري، ديلاسي. **الفكر العربي ومكانه في التاريخ** تأليف ديلاسي أوليري تعريب تمام إحسان . القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦١ م.

٦ ـ بدوي ، عبد الرحمن. **دور العرب في تكوين الفكر الأوربي**. الطبعة الثانية. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧ م.

٧ ـ بروكلمان، كارل . **تاريخ الأدب العربي** تأليف كارل بروكلمان تعريب عبد الحليم نجار . القاهرة ، دار المعارف .

٨ ـ بور ، ت، ج. دي. **تاريخ الفلسفة في الإسلام** تأليف ت، ج. دي بور تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧ م.

٩ ـ بنت الشاطىء [اسم مستعار]. **تراثنا بين ماضٍ وحاضر** . القاهـرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ م

١٠ ـ بيروت ، جامعة بيروت العربية. **الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلدان الأوربية** . بيروت ، ١٩٧٣م .

١١ ـ بينتو، أولغا . **الطباعة العربيـة في إيطاليـا من القرن السـادس عشر حتى القرن التاسع عشر**.

١٢ ـ جرونيباوم ، جوستاف . **حضـارة الإسلام** . تـأليف جوستـاف جرونيبـاوم تعريب عبد العزيز جاويد . القاهرة، ١٩٦٠ م .

١٣ ـ حمادة، محمد ماهر . **الكتاب العربي مخطوطاً ومطبوعاً** . . . الرياض ، مكتبة دار العلوم ، ١٩٨٤ م .

١٤ حمادة ، محمد ماهر . **مراجع مختـارة عن حياة رسـول الله صلّى الله عليه وسلم** . الرياض . مكتبة دار العلوم ، ١٩٨٢ م .

١٥ ـ حمـادة ، محمد مـاهر . **المكتبـات في الإسلام** . . . الـطبعة الثـانيـة . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٨ م .

١٦ ـ حمادة ، محمد ماهر . **المكتبـات في العالم** . . . الـرياض ، مكتبـة دار العلوم ، ١٩٨١ م .

١٧ ـ حمـودة ، محمود عبـاس . **تاريـخ الكتـاب الإسـلامي** . القـاهـرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٩ م .

١٨ ـ خـدابخش، صـلاح الـدين . **حضـارة الإسـلام** تـأليف صـلاح الـدين خدابخش تعـريب علي حسن الخـربـوطلي . بيـروت، دار الثقـافـة، ١٩٧١ م .

١٩ ـ داغـر ، يـوسف أسعـد . **دليـل الأعـارب إلى علم المكتبـات وفن المكاتب** . بيروت ، ١٩٤٧ م .

٢٠ ـ رضوان، أبو الفتوح. **تاريخ مطبعة بولاق** . القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٣ م .

٢١ ـ زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللغة العربيـة** . الطبعـة الثانيـة . بيروت،

دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٨ م.
٢٢ ـ سيزيكين، فؤاد . تاريخ التراث العربي تأليف فؤاد سيزيكين تعريب محمود فهمي حجازي . الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٢ م. ج ٥.
٢٣ ـ سيمايلوفيتش، أحمد . فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ م.
٢٤ ـ شو ، س. س. الهلال والوردة: الإسلام وأنكلترا في عهد النهضة . نيويورك ، مطبعة جامعة اكسفورد ، ١٩٣٧ م.
٢٥ ـ شيخو ، لويس . الآداب العربية في القرن التاسع عشر . الطبعة الثانية . مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٢٦ م. ج ٣.
٢٦ ـ طرازي ، فيليب دي . خزائن الكتب العربية في الخافقين . بيروت ، دار الكتب .
٢٧ ـ طوقان، قدري حافظ. تراث العرب العلمي في الرياضيات. والفلك. الطبعة الثالثة . فريدة منقحة ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٣ م.
٢٨ ـ عقيقي ، نجيب . المستشرقون . الطبعة الثالثة . القاهرة، دار المعارف ، ١٩٦٤ م ج ٣.
٢٩ ـ كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفيتش . تاريخ الأدب الجغرافي العربي تأليف اغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي تغريب صلاح الدين عثمان هاشم . القاهرة ، الدائرة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ١٩٦١ م.
٣٠ ـ كرد علي ، محمد. الإسلام والحضارة العربية . الطبعة الثانية فريدة منقحة ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ م.
٣١ ـ كرد علي، محمد. خطط الشام . بيروت ، دار العلم للملايين، ١٩٧١ م. ج ٦.
٣٢ ـ لوبون ، غوستاف . حضارة العرب تأليف غوستاف لوبون تعريب عادل زعيتر. الطبعة الثالثة . القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٥٦ م.

٣٣ ـ مظهر ، جلال . **أثر العرب في الحضارة الأوربية** . بيروت ، دار الرائد ، ١٩٦٧ م .
٣٤ ـ مظهر، جلال . **مآثر العرب على الحضارة الأوربية** . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ م .
٣٥ ـ المنجد ، صلاح الدين . **المستشرقون الألمان: ما أسهموا به في الدراسات العربية**. بيروت، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٨ م .
٣٦ ـ هونكه ، زيغريد . **شمس العرب تسطع على الغرب** تأليف زيغريد هونكه تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي . بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٦٩م .
٣٧ ـ هيسيل ، الفرد . **تاريخ المكتبات** تأليف الفرد هيسيل تعريب شعبان عبد العزيز خليفة . القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٣ م .

مصادر البحث
القسم الأجنبي

1 — Arnold, Thomas (Edidor). **The Hegacy of Islam**. Oxford Clarendem Press, 1931.

2 — **Encycolopedia of Library and Information Science**. Edited by Alan Kant and Harold Lancker. N.Y., Marsell Dakker, 1968.

3 — Rosenthal, Franz. **A History of Muslim Historiography.** Leiden, Brill, 1952.

4 — Said, Edward. **Orientalism.** London, Routledge..., 1978.

5 — Sartun, George. **Introduction to the History of Science.** N.Y., Robert Kruger Publ. Comp. untington, 1975.

6 — Thompson, J.W. **The Medieval Library.** N.Y., Hafner Publishing Comp, 1967.

المحتويات

٥ ـ الفصل الثالث : النقل والنقلة في القرن الثالث عشر